

حوليات جزائرية

بقلم
أ. بيليسي

المجلد الأول



حوليات جزائرية

بقلم:
أ. بيليسي

قائد الأركان ورئيس مكتب العرب بالجزائر في 1833 و 1834

انشاء مستعمرة يتطلب الحكمة أكثر
من النفقات (المصاريف)
راينال

المجلد الأول

تمهيد

عندما كنت أقدر لأول مرة حجم المهمة التي أردت من خلالها أن أفرض نفسي بنشر حوليات الجزائر، كان يبدو لي أن الإعفاءات التي كانت تفرض علي موقف التبعية والدونية ستزيد من الصعوبات التي تواجهها المهمة. ولهذا اخترت بعض الموضوعات التي يكون فيها اللوم عاما ومرتبطا بكثير من العدالة مع أعمال الإدارة الجزائرية، وأجبرت نفسي على التعامل معها بما أمكن من اعتدال، دون تشويه طبيعة الأحداث. تركت هذه المؤلفات جانبا لبعض الوقت، وأعدت قراءتها بعد ذلك بعيدا عن دور الكاتب

العنوان الأصلي: Annales algériennes

Tome premier

الترجمة: دليلة حباتي

أنفوغرافيا: محمد مغاري

© Assala Culture, 2013

رمك: 978-9931-340-47-8

الإبداع القانوني: 2012-3877

(الوالف). لم أكن راغبا عن الإطباع الذي تركته في نفسي، لأنها كانت في الحقيقة شيئا غاليا من الحياة واللون، والذي لم يكن حقيقة أسلوب إطره لكنه لم يكن أيضا لغة الحقيقة.

رسمت الصفحات التي كتبها في النار، وعدت للكتابة حول الأحداث جديدة وهذه المرة اقترحت على نفسي عدم إهمال أي شيء في تقييم المخطوطة، ولكن مع تركها على شكلها الخام الأولي، حتى تركز كتابتي على ظروف الأخطاء التي أحسست أنها تسبب لبعض الأشخاص. كما وقع اختياري أيضا على مواضيع صالحة للمدح، وقد تعاملت معها بشكل يجعلها كاملة بوعب في قراءتها مع أمل لحظيم مشاعر اللوم والاستياء بما لحقه من مدح، ومن خلال اختيار ما كتبت لم أكن معيدا بهذه الطريقة التي يكون الاتصال فيها من الآخر فقط، مما يجعل السرد مربكا ومزعجا وقلبا، خصوصا وأنها بدت حادة لتقليل من الكرامة. وفي حين أحسست بالأسى لأنني لم أستطع أن أوفق بين مصالح الحقيقة ومصالح الحقيقة في ظروف لا يحسن فيها شيء على الكتابة، فرددت أن أقفل عن مشروع بعض الوقت.

لكنني شعرت بالحاجة إلى نشر خاتمتي، فوجدتها في الطريق.

مرتبطه حسب تفكيري، بترجيح من نظام سام من أجل مستقل الشعوب والرجعة الورتية الاجتماعية. الآن أرى أنها خطوة نحو اندماج والتصهار كبير بين الشرق والغرب لإعلان وتخصيص كل شيء، لمعرفة المخطوطة، كما كان في زمن المسيح وعبد عليها السلام كدفعة جديدة للثور ولحول جديد للمجتمع البشري.

روية الانتباه من هذه النقطة المرتفعة بالنسبة إلى حاجة حوية تقريبا، فالاهتمام بهك ينضم - أكبر تصديق في المجتمع المعاصر - موضوعات في اتصال مستمر - بوجوب تقويمها - بالنسبة إلى محاربة الأحكام المسبقة التي توضع بجهل بين هاتين المكتبتين القويتين، كما يعتبر ذلك بالنسبة إلى حاجة إلى الإعلان عن الأخطاء التي اقترناها والأخطاء التي يجب تصحيحها، كما أنه محاولة إمر لا حصى وكادمية المهمة هؤلاء الذين يقولون حكمهم المرفوق، إلى جانب كون ذلك في الأعيان مجرد وسادة من أجل تحقيق المصالح الخاصة هؤلاء الرجال في هذه المناصب المعالمة.

لذلك استأنفت كتابة سولوا، لأنني كنت أعتقد أنها مفيدة، وفردت في كلمة واحدة قول المخطوطة شيئا أكثر جاذبية أو إلهام دون أن أضع نفسي حدودا أخرى مثل التي نمرض على المكتبات التي

يحترم نفسه، وعلى قواعد اللغة التي يكتب بها وعادات الناس الذين يكتب لهم. صراحتي ليست نتيجة للحقد ولكنها نتيجة قناعتي، وسأعني عليها رجال نزهاء كما أتمنى أن يساعني عليها كل من يمكن أن يفرحهم للحققة. أريد بهذه المناسبة أن أذكر خصلة تشرف الجنرال موتك دوزي. هذا الضابط العام كتب تقريرا مشرقا جدا لأحد أتباعه. بعض الأشخاص الذين كانت لهم مصلحة في القضاء على تأثير هذا التقرير، حاولوا أن يشتروا للجنرال بأن الضابط الذي تعاطف معه انتقد بمرارة أعمال إدارته، وأنه لم يحترم شخصه. وكان رد السيد أوزي في هذا السياق: ربما يكون هذا الضابط مخطئا وقد يكون محقا. إذا كان محقا، ليس لدي شيء أفعله إلا الاستفادة من تقدمه، أما إذا كان مخطئا، لا يجب أن أكون غير منصف نحوه لأنه كان كذلك نحوي.

كان هذا الرد سخيا جدا، لأن الجنرال دوزي كانت لديه دوافع من أجل الاكتفاء بقول مثل شخصية أخرى متواجدة في نفس الحالة، ماذا تريدون؟ يمكن لكلينا أن نخطئ وعلاوة على ذلك، فإن المساوي الشخصية التي يمكن أن تأخذ حين من الحقيقة ليست بالنوع القوي الخطير، ولا يمكنها إلا تأخير تقدمي في حياتي المهنية

التي أرى فيها مستقبلا مشرقا. وبالإضافة فإن الرتبة لا توفر الكثير من الراحة النفسية العابرة، وأتمنى أن أتمتع بفضل رغباتي المعتدلة بزيادة طفيفة في راحتي الجسدية. إن هذا التصريح عن اللامبالاة من أجل المصالح التي نعتبرها كبيرة عموما، لا يجعل غيري يعتقد بأن هدفي هو وضع اللوم على كل تصرفات وإجراءات الإدارة الفرنسية بالجزائر العاصمة، وهذا سيجعله يبدو نظاما بغضا لنشويه السمعة وهذا الحكم بعيد كل البعد عن ما يجول في أفكاري. سأقول كل ما هو جيد وكل ما هو سيء. ولن يكن خطئي إذا مالت الكفة في معظم الأحيان إلى هذا الأخير.

وعلاوة على ذلك، فالرجال الذين حكموا الجزائر منذ خمس سنوات، ليسوا وحدهم المدنيين في هذه الإدارة المرتبطة لحد الآن بشؤون مجلس الوصاية على العرش، وقد شاركت الحكومة الفرنسية، وبعض الخواص القادمين من أوروبا لاستغلال هذه الوضعية، بشكل كبير في هذه الإدارة.

أهملت الحكومة الفرنسية، التي كان محكوم عليها بفترة من التغيير والتحول كبقية الحكومات الأخرى، ما تطالب به الكتل والمجموعات من عناية، وذلك للإهتمام حصريا بكيفية الحفاظ على

تواجدها وجها لوجه مع القوى الأوروبية، وضد مختلف الأطراف التي كانت مضطربة بالداخل، وهذا ما جعلها غير مبالية تماما لأمر شؤون مجلس الوصاية بالجزائر العاصمة. لقد كانت هذه الحكومة مترعجة ومخرجة أيضا، ولم تر أنها ستكون قوية اذا وافقت على العهد الوطني، وقد تعلقتم بمسألة إفريقيا بشكل جدي، ولذلك، لم يستطع فهم مستقبل هذا البلد.

بدلا من رؤية الأفارقة كشعب يمكن حكمه، لم تكن ترى الا أعداءا يجب محاربتهم، وأغبياء يمكن إفسادهم وخونة يمكن شراءهم، ولم تكن تعرف حتى كيفية المحاربة أو الإفساد أو الشراء. لقد كانت مشغولة دائما بوضع الأرقام واحساب ما يمكن أن تأتي به مثل هذه العملية (حكم إفريقيا) وما يكلفه البلد بالفرنك والستيم، وكانت تسأل كل سنة ان كانت ستبقى عليه أو ستخليه. ولا أعني بالحكومة الوزراء فحسب وانما الغرف البرلمانية أيضا. ونتيجة لهذا الغموض تم اهمال شؤون مجلس الوصاية بالصدفة أو بالمؤامرة: تم إهمالها في الأشخاص والأشياء وحتى في أبسط الأحكام الإدارية. كان بإمكان الخواص القادمين من أوروبا أن يكونوا عناصر استشارية جيدة وقوية لو تم تسييرهم بشكل جيد،

لكن السبل لم تكن مجهزة لأي صناعة صالحة لمستقبل البلد، والكثير منها تبنت عادات تعيد التقدم. وقد أخذ الكثير منها احتياطات غير عادلة ضد السكان الأصليين. نظام الإبادة كان موجودا فيهم وفي أتباع كثر، مما كان يثير السلطة بشكل مستمر للقيام بأعمال عنف. لقد حملوا افكارا حصرية الى إفريقيا حول حقوق ملكية الأراضي، والتي لم تتجسد كما في أوروبا وكانت ادعاءاتهم دائما بالضغط بكل قوة وهو ما خلق بعض الشكاوي من طرف القبائل المجاورة. وبما أنني قررت أن لا أترك أي خطأ إداري في الخفاء، فيجب أن تفكر بأنني لن أخفي في صفحات هذا العمل أي خطأ من أخطاء الأفراد، لكن لن أتولى هذه المهمة الصعبة، اذا لم أحافظ على أمل أنه سيساهم في وقف هذه التجاوزات والإساءات، بإبراز المساوي التي أعقبت ذلك.

سأعمل على إضعاف التحيزات العرقية بإظهار السكان الأصليين كما هم في الحقيقة، أي كما هو الأمر بالنسبة إلينا، لسنا جيدين تماما ولنا سيئين تماما. سأبرز عدم إنصاف هذه الجمل الطنانة التي اعتمدت لوصف عرق كامل من البشر، من خلال مجموعة من النعوت المهيبة. سنرى إن كنا نستطيع أن نقدم للعرب المعرفة التي

تدين بها للحضارة، سوف يتواصلون معنا عن طريق تبادل المشاعر
القوية والقوة التي بدأت تغيب عنا، الاندماج بيننا وبينهم ليس
مستحيلا، يمكننا الوصول الى ذلك عن طريق التنازل المتبادل عن
الأحكام المسبقة، يجب علينا الأخذ بزمام المبادرة، بما أننا الأكثر
تطورا في الفهم. وفي الأخير، سوف أشير من بعيد الى النقطة المهمة
(الهدف) التي يجب أن تسمو إليها جهودنا، هذا الشعاع من الآمال
الجديدة، وهذا النجم للمسيح الجديد الذي يتظره العالم، والذي
سيخلق زواجا باطنيا بين الشرق والغرب. أرجو أن لا يعتقد القراء
الإيجابيون بأنني سأضيع في التجريدات.

بالرغم من أنني أعتقد بأن المذاهب التي توفر قوة ومستقبلا
لل بشرية وطريقا لمجد حقيقي تحمل شيئا أكثر ايجابية وأكثر واقعية
من المنطق الهزيل لقاعدة الوحدات الثلاث والمجتمع، وهو ما
يعارضه بعض الأشخاص في المهام الكبيرة الأكثر سخاءا.
وبالرغم من كوني مقتنعا بشكل نهائي بأن المعتقدات القوية هي
التي تصنع شؤون هذا العالم، وليس خطابات رجال الأرقام، الا
أنني لم أكن مشغولا بكل هذه المصالح المادية التي تأتي كعناصر
مهمة لدى الآخرين. لقد عاجلت هذا الجزء باهتمام، بطريقة كاملة

بقدر الامكان، سواء بإدراج ذكرياتي أو استعمال الوثائق الأصلية
التي سمع لي القائد العام أن أطلبها من جميع رؤساء الأقسام،
وأخيرا بواسطة البحوث الضميرية التي أجريت مع المستوطنين
والتجار. أما بالنسبة للأحداث السياسية والعسكرية، فقد كنت
عاملا مشاركا فيها أو على الأقل شاهدا عليها. الأحداث الأخرى
رواها لي أشخاص مختلفون باستمرار، وبالكاد يمكنني أن أخادع في
كيفية تقديمها. وعلاوة على ذلك، قرأت كل التقارير والمراسلات
الرسمية التي سجلت فيها (الأحداث). بالرغم من أنني قمت
بحملة 1830، الا أنني لم آخذ قسطا من الراحة كي أكتب ذكرياتي
الوحيدة. واضطرت للاستعانة بحشود كبيرة من الضباط الذين
شاركوا فيها مثلي. أدين كثيرا للسيد دومونيكار فيل، قائد الأسطول
بيتة الأركان العامة وأسطول السيد دوموسيون، النقيب المكلف
بتاريخ الحملة، كما أدين لهذا الضابط الأخير وسجل المجلس القوي
حرره ضباط الهندسة بجدارة من حيث الأسلوب ومعرفة واسعة
للأحداث، كما كان سجل المدفعية مفيدا جدا. وإلى جانب ذلك،
تصفحت الكتاب الذي نشره الجنرال ديسبري. اتصالاتي المتكررة
مع العرب والرحلات التي قمت بها عندهم جعلني في وضعية

يمكنني التحدث فيها بدراسة عن الأحداث التي وقعت في القبائل، وتقديم صورة كاملة بهذه الطريقة. كما كنت على اتصال مع الأشخاص الذين يعرفون جيدا كل ما يتعلق بشؤون عتابة، وهران، وبجاية معلومات التي تحصلت عليها من هذا المصدر مع الوثائق الرسمية، وراقبتها الواحدة تلو الأخرى، وأخذت بعين الاعتبار تأثير الوضعية الشخصية على تقييم الأحداث. وفي الأخير، لم أهمل أي شيء يمكنه أن يقودني إلى الحقيقة. قسمت كل مجلد من كتابي هذا إلى جزأين. الأول مخصص للسرد والإيضاحات اللازمة للفهم، ويتعلق الأمر بالأحداث والقضايا السياسية والعسكرية والإدارية المترابطة. ولا أعطي هذه الإيضاحات إلا إذا قادتنى القصة التي أرويها إلى ذلك. ونفس الشيء بالنسبة إلى وصف الأماكن والأخلاق، محاولة مني لتجنب هذا النوع من حالات الخروج عن الموضوع التي تكون في بعض الأحيان ضرورية، والتي يمكن أن تخفي طول الأحداث وتزيد من الفائدة.

لاحظت دائما بأن ليس هناك ما هو متعب أكثر من ضرورة القيام بكتابة المذكرات، حيث تكون بداية الكتاب مليئة بالكثير من التفاصيل التي لا نعرف الفائدة منها بعد. لقد حاولت من خلال ذلك أن أجنب القارئ الاحساس بالملل. كما أنني اقتصررت في الجزء الأول من الكتاب على التعريف بإيجاز بمجلس الوصاية والحكومة التركية عندما كانت فرنسا تتجند ضده. أما بقية الكتاب فقد تضمن الوصف التفصيلي لكل محافظة، ووفرت للقارئ صورة توضيحية لوضعيتها السياسية والاجتماعية. يتضمن الجزء الثاني سلسلة من الاعتبارات والملاحظات التي لم يكن من الممكن أن تندرج في الجزء الأول

دون التوقف عن السرد. كنت أجري في بعض الأحيان على إعطاء نظرياتي الخاصة حول طريقة حكم إفريقيا. ومع ذلك، فإن هذا الجزء ليس تأمليا بحتا لأنه يحوي عددا كبيرا من الوثائق الإيجابية حول الأشخاص والأشياء والأمكنة. لقد ظهر ما يعادل ثلاثين كتابا حول الجزائر العاصمة، ولكن لم يتمكن أي واحد منها من تقديم مجموعة كاملة. سيشمل المجلد الأول إدارات (حكومة) الجنرالات بورمون وكلوزال وبرتران، أما المجلد الثاني فسيركز على إدارات الجنرالات روفيغو وفوارول وايرلون. الإطار الذي رسمته سيسمح لي بتصحيح، في مجلد، الأخطاء غير المقصودة التي ارتكبت في المجلد الآخر: فاذا تذوق أو أعجب الجمهور بهذا الكتاب فهذا يمكن من إصداره كل عام. وسأطالب، لتشكيل هذا الكتاب، بمسابقة لكل الرجال المستيرين المهتمين بالبلد.

حوليات جزائرية

الجزء الأول

الكتاب 1

نظرة عامة حول المميزات الجغرافية والتاريخية والسياسية لمجلس وصاية
الجزائر العاصمة: أسباب الحرب الفرنسية على الجزائر - الحصار - التحصينات
البعثة - انطلاق جيش البعثة.

الجزء البربري (المحمي) الذي كان يعرف تحت اسم مجلس وصاية
الجزائر العاصمة ، والذي كان يحتل شمال إفريقيا، كان يشغل طول ساحل
بحوالي مئتي ناحية (بلدية)، من ترونت في الغرب إلى طبرقة في الشرق، أما
عرض هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب، فلم تحدد بشكل كلي. الجغرافيون
يمددون هذه المساحة إلى غاية الصحراء الكبرى، بالرغم من هذا النطاق من
البلد لم يعرف سيطرة دايات الجزائر.

تتميز هذه المنطقة بجبال الأطلس التي تمتد من الغرب إلى الشرق
وهي تتكون من العديد من السلاسل المتوازية مفصولة بوديان عميقة كما
ترتبط في بعض الأحيان بحلقات (روابط) وسيطة. السلسلة التي تتواجد
في أقصى الشمال هي ما نسميه الأطلس الصغير. هي بعيدة قليلا عن البحر،
لكنها تقترب منه بما يكفي في نقاط عديدة من أجل جعل منطقة السهول
(الأراضي المنخفضة) تحتفي تماما. نجد في جنوب جبال الأطلس، وقبل

أخذ الكتاب للطباعة بداية نوفمبر 1835. بعثة معسكر التي لم تتواجد إلا في وقت
لاحق، لم تكن مسألة في هذا المجلد إلا فيما يتعلق بما حدث في إفريقيا قبل العودة إلى الجزائر
الجزائريين كنز.

فيما يلي

الوصول إلى الصحراء، منطقة أخرى من السهول أكثر اتساعا من الأولى، وهي التي نعرفها في أوروبا باسم "بلاد الجريد" أو بلد التمر، أو كما تسمى بالعربية بلد النخيل. وفي الأخير، تتوسع وديان مختلف سلاسل الأطلس باستمرار وبطريقة تسمح بتشكيل سهول حقيقية يكون البعض منها كبيرا جدا. قبل أن نتعود على الملاحظات الجيولوجية، نحصلنا بسهولة على الاستنتاج الخاص بالوصف الموجز لبنية الجزائر.

1- يجب أن نفي بالكثير من جداول الماء الصغيرة، لكن لم تكن هناك أنهار كثيرة.

2- يجب أن تكون تربة الوديان والسهول المحيطة بالجبال خصبة، ولكن المياه، وبسبب اتجاه التلال، لم يكن لديها مجرى حر نحو البحر بشكل دائم، ووجب أن تشكل (المياه) البحيرات والمستنقعات.

3- الجبال التي لم تجمع قواعدها بسبب تيارات المياه القوية، يجب أن تحفظ دبالها النباتي لتكون بذلك خضراء ومشجرة.

4- أن يكون نتيجة المزرع بين الطبيعة الوعرة للبلاد وخط عرضها المتوسط ذو 36 درجة شمالا، كما يجب أن تكون حرارتها متنوعة ومعتدلة عموما، ليتبع عن ذلك تنوع في المتوجات.

كل هذه الاستنتاجات الجيولوجية تم تأكيدها بالملاحظة التطبيقية. الجزائر في الواقع بلاد خصبة ومناسبة للتنوع الكبير في المتوجات والتطور الضخم في مجال الزراعة: يمكن أن يكون السقي جيدا لكن لا يوجد نهر

صالح للملاحة. غياب الوسائل هذا في مجال الملاحة الداخلية سيكون دائما عائقا أمام تمتع هذا البلد بكل هذه المزايا التي منحها له الطبيعة، وفي نفس الموقف تقريبا نجد اسبانيا التي تتفوق عليها في الجبال وخصوبة التربة. إذا ساعدتنا الملاحظات الجيولوجية على الانتقال إلى الملاحظات السياسية والاستراتيجية، فسiquودنا التفنيس في هذه البنية إلى النتائج التالية:

1- اتجاه التلال (القمم) الموازية للبحر كانت نقطة انطلاق الفرنسيين، وكل سلاسل الأطلس كانت تحوي أسوارا كثيرة ذات فتحات بحيث يجب عبورها، من أجل حمل السلاح في المناطق الداخلية.

2- غياب الأنهار الكبيرة منعهم من تحقيق عمليات لغزو عام ومتزامن. لكن هذه العقبات كانت تقف أمام قوة السلاح وعنف الغزو: يمكنهم أن يتغلبوا عليها بالحكمة والسياسة. ولأننا نرى بأن تكوين بلد يتعارض مع التسلل بسهولة إلى السكان الأصليين بدلا من الذهاب إليهم، فوجب علينا أن نجلبهم إلينا ثم ندخل إليهم برفقتهم وبواسطتهم أيضا. هذا ما قادتنا إليه تقييم دقيق لمجرد واقع جيولوجي، الملاحظة والتجريد (إزالة الغموض) الذي أجري على هندسة الناس الذين يقطنون هذه الأرض. التجربة تأتي هنا أيضا لدعم النتائج النظرية، لأنها تبين لنا، منذ أربع سنوات بأننا لا نقوم بأي شيء دائم دون مساعدة السكان الأصليين (الأهالي). يسمى هؤلاء الناس إلى أعراق مختلفة الأصل والمنشأ واللغة، والأكثر انتشارا هم العرب (العرق العربي)، الذين غزوا هذا البلد الجميل في القرن السابع من

الجزء الأول

عصرنا، وقد شغلوا السهول، وكلما كانت الأمكنة التي يقطنون فيها بعيدة عن البحر، كلما حافظت بنقاء على نوعها الأصلي. العرب الذين نجدهم بين البحر والسلسلة الأولى للأطلس لديهم مساكن ثابتة، أو اقلها مبيتا على الأقل. أما العرب الذين يتواجدون في السهول التي تعانق تشعبات الأطلس، فهم الأكثر عرضة للترحال (البدو الرحل)، وهي الحياة العادية لعرب الصحراء، الذين يعتزون بحريتهم وفخرهم واستقلاليتهم لعدم انحنائهم أمام عبودية الأجنبي. كان بإمكانهم أن يصيروا حلفاء ولكن لن يكونوا رعايا الأتراك. أما العرب الآخرون فقد كانوا تحت حكم داي الجزائر، وعرفوا تسلط القادة الأتراك الذي فرض عليهم. ولكن لا يجب أن نعتقد بأن الاستبداد الشرقي رمى بكل حمله عليهم أو أثر عليهم كثيرا. كان الأتراك حذرين جدا أمام هؤلاء الناس، صحيح أنه من وقت لآخر، وعندما كانت الحكومة تتدهر كثيرا من قبيلة ما، كانت ترسل بعثة حربية مواجهة ضدها، ثم يكون العقاب سريعا ورهيبا. ولكن في التقارير العادية واليومية تثبت أن تأثيرها لم يكن بالحجم الكبير. ومع ذلك كان على القبائل الأكثر قربا إلى المدن والتي استعملت كمراكز نشاط الأتراك بشكل طبيعي، أن تتحمل بعض الشتم والبطش والغضب.

وبعد العرب يأتي "القبائل" الذين ننظر اليهم بصفة عامة كسلالة (ذرية) التوميديين القدماء. وبالنسبة الي، لا أعتقد بأننا يجب أن نسبهم إلى هذا الأصل الوحيد فقط، بل اعتبرهم بقايا (مخلوقات) ومزيجا من كل الأجناس

(الأعراق) التي قاومت الغزو القرطاجي (البوني) والروماني والوندالي واليوناني والعربي. وشكلهم الخارجي يفسح المجال أمام هذا الافتراض، لأننا لا نستطيع تحديد معالمهم (معالم وجههم وجسدهم). الصفات المميزة للأعراق التي تعيش في الجنوب نجدتها قريبة من تلك الأعراق التي تعيش في الشمال. كما نجد أيضا قبيلة "قبائلية" محافظة على أصلها الأوروبي بحكم التقاليد.

تسمية البربر (الآمازيغ) التي تنسب في العديد من الكتب إلى "القبائل" نقطة غير معروفة في مجلس وصاية الجزائر العاصمة. ولا تستعمل إلا في الجزء البربري (الهمجي) الذي يمس مصر. كان القبائل يقطنون بالجبال ويتمتعون بقدر كبير من الحرية. كانوا يعملون بكد ومستقيمون وشجعان لا يقهرون. ما أقوله عن القبائل ينطبق بشكل خاص على هؤلاء الذين يعيشون في جبال بجاية أو سلسلة الأطلس، فهم أكثر اقترابا من بعضهم وأكثر تماسكا، ويمكن أن تعرض اللجوء السياسي لبقية الشعوب القديمة. ومن هنا شكلت أمة حقيقية لم يستطع العرب ولا الترك البدء في غزوها. وعلاوة على ذلك، لا يمثلون إلى كتلات (تجمعات) للأفراد، التي تكون في بعض الأحيان خاضعة وأحيان أخرى متمردة على العنصر (العرق) المهيمن. وتكون هيمنة البربريين (المور) بصفة عامة لسكان المدن. البربر (المور) كانوا السكان الأوائل المعروفين لدى الغرب بالبربرية. بعض المؤلفين يعتقدون أن أصلهم المفقود يعود إلى العرب. نحن نعلم بأن العرب في العصور الماضية غزوا مصر واستقروا فيها وقتا طويلا، ومن الممكن، من هذا المنطلق، أن يكون العديد من المهاجرين من هذه

الامة قد استقروا بهذا البلد (المطقة) التي أطلق عليها الرومان اسم موريطانيا. لما جاء العرب من حيل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لفتح هذا البلد، بعد ثلاثة أو أربعة آلاف سنة، استقروا بشكل ضئيل في المدن حيث كانت أخلاقهم تبعدهم عن الاستقرار بها، وعلى عكس ذلك، فضل البربر (المور) أن يتركزوا في المدن بالرغم من أنهم كانوا يفضلون الابتعاد عن العرب. ومن هنا، وبدون أي أدنى شك، بدأت عادة تسمية البربر أو (المور المشتقة من كلمة موريطانيا) على سكان المدن، وإن كانت بعض الأسر العربية قد اندمجت معهم. وبالرغم من هذا الاندماج (الاختلاط) الجزئي، مازال العرب ينظرون بازدراء إلى المور (البربر) الفلاطيين بالمدن، ويعتبرون أنهم لا يزيدون شأنًا عن اليهود إلا بالقليل فقط.

اليهود متواجدون بكثرة في مجلس الوصاية على العرش، ولكن في المدن فقط، وتواجدتهم هنا يعني تواجدهم في كل مكان.

استقر الأتراك بالجزائر في القرن السادس عشر، والمناسبة كانت عندما بدأت الامبراطورية العظمى للخلفاء تفقد توازنها فانقلصت اسبانيا وأفريقيا على التوالي. وفي هذه الأخيرة (أفريقيا)، انقسمت الهيمنة العربية مرة أخرى، وتشكلت امبراطوريتين جديدتين الأولى في قاس والثانية في مصر، لتترك فيما بينها مساحات شاسعة سمحت بنشأة دول صغيرة ومستقلة. وفي هذا المبني القديم أيضا بدأت الركيزة المتأكلة مع الوقت تتحطم، وبقي الطرفين راسخين على الجدران، لينهار وسط هذا المبني بعيدا. شكلت الجزائر إحدى أصغر دولها، حيث بدى أن بعض الأمراء الحكماء ساهموا في ازدهار الصناعة

والفلاحة بفتح حق اللجوء السياسي للمسلمين المضطهدين خلال الفتوحات المسيحية بإسبانيا. ولكن بعد التحطم الكلي للقوة العربية في اسبانيا، وأصل الاسبان إلى أفريقيا ببقية فتوحاتهم القديمة. لقد استولوا على وهران وبجاية وأماكن أخرى، واستقروا على صحرة متواجدة في البحر أما الجزائر العاصمة. أمير هذه المدينة، الذي أتعبته هذه المجاورة غير المرغوب فيها، نادى المرتد الشهير عروج بربروس لنجدته. ولكن الخليف القوي جدا يكون في معظم الأحيان أسوأ عدو. وقد مات الأمير مسموما واستولى بربروس على السلطة (الحكم). وبعد وفاته، أصبح أخوه خير الدين باشا الجزائر بواسطة الواية العثمانية، وكان هذا البلد جزء من هذه الامبراطورية العثمانية العظمى. ولكن خير الدين بالرغم من كونه مزربان (حاكم ولاية) سلطان القسطنطينية، فقد كان في الواقع مؤسس دولة أصبحت مستقلة بشكل سريع.

هذه الدولة هي الجمهورية العسكرية التي يجب أن ينتخب رئيسها ولاقي يحيي أن يكون أعضاؤها أتراكا. كان السكان الأصليون رعايا أو حلفاء، حسب ما كانوا يقدمون من خدمات للأتراك، لكن لم يكن بمقدورهم ممارسة أي نشاط سياسي خارج العرق الذي يتمون إليه. أبناء الأتراك أو الكراغل، كانوا يعتبرون بهذا الصدد سكانا أصليين، وبذلك لا يحق لهم أن يحصلوا على أي وظيفة حكومية. استمرت الجمهورية، التي كانت مجرد جسد لوحدة عسكرية (مجموعة جنود)، في التوظيف الذي كان في القسطنطينية وخصوصا بـ "سميرنا". كل فرد تركي تم نقله بهذه الطريقة أصبح عضوا في الدولة، وبإمكانه أن يحتل أعلى المناصب.

كانت الميليشيا (القوة العسكرية) التركية مقسمة الى كتائب أو فروع (عزف) بحكمها ضباط سامون يدعون "بولكباشي"، وهم يضعون مجموعة من الضباط المساعدين تحت أوامرهم. تم وضع قواعد الترقية بطريقة تضمن حقوق الأقدمية دون اذاء من يستحقونها. يتلقى أعضاء الميليشيا رطلين من الخبز يوميا وأجرا متواضعا ومختلفا حسب الأقدمية، بحيث لا يتجاوز الحد الأقصى للأجر 30 ستيا. كانت وسائل المعيشة ضئيلة ومحدودة، مما أدى بهؤلاء الى ممارسة بعض النشاطات في مختلف أنواع الصناعة عندما يكونون خارج الخدمة. وضع الشباب الأتراك في الكنتات العسكرية وخطموا لانضباطات صارمة. لم يكونوا قادرين على المغادرة الا أيام الخميس، تحت حراسة ضابط، ولكن بعد هذه الفترة التبرية، ليس هناك شيء أقل اخضاعا للفرد من قوانين الميليشيا (القوات) التركية. يمكن للفرد ينتمي الى الميليشيا أن يعيش بهدوء بين أفراد عائلته، ويحضر التجارة أو أي نشاط مدني آخر دون فرض الانضباط عليه. كما تطلب منه أشياء أخرى غير الاستعداد دائما للتحرك عند تلقي الأوامر. كانت للإدارة الكثير من التنازلات للجنود المتزوجين: يتركون بقدر استطاع مع بعض في نفس الكنتات اذا كانت لديهم الرغبة في ذلك، ويسعون الى تحسين وضعيتهم. يصنع الكثير من الأتراك ثروات معتبرة سواء في الوظائف العامة أو عن طريق الصناعة أو من خلال الزواج بنساء السكان الأصليين الأغنياء، اللواتي ورثن الكثير عن أهلهم.

تنتهي فترة الخدمة الاجبارية في سن الخمسين. الكرغليون كانوا مقبلولين أيضا في الميليشيا (القوات) التركية، لكن لا يمكنهم أن يصلوا الى المناصب (المراتب) العليا، وقد عوملوا بنفس الطريقة التي يعامل بها الأتراك حتى سنة 1630. وفي هذه الفترة تم اكتشاف المؤامرة التي وضعت من أجل الاطاحة بالأتراك من البلاد، وبهذا استبعدوا أنفسهم من بعض الأعمال (المناصب) المهمة. فقد كانوا معرضين لحراسة مشددة أثقلت كاهلهم، في حين تم استثناء بعض الكرغليين الذين شغلوا وظائف كبيرة (مناصب عليا). الباي الحالي لقسنطينة كرغلي الأصل. كان لدى الداي والبايات مجموعة من الجنود الأتراك الذين يضمون الحراسة. وكان ما نسميه الانكشاريين. كانوا يتمتعون بالعديد من المزايا والكثير من الاعتبار (الاهتمام). لم تكن القوات العسكرية الجزائرية تقتصر على الميليشيا التركية، فقد كان في قبائل العرب مجموعة من الفرسان الموضوعين تحت الخدمة. كما أنشأ أيضا العديد من النقاط الشبيهة بالمستعمرات العسكرية، وهي متكونة من المغامرين من كل الأعراق (الأجناس)، ممن يقدمون بخدمات جيدة. سندخل في تفاصيل أوفر مثيرة للفضول في هذا الموضوع. هكذا كان التنظيم العسكري التركي، وسنعرض الآن دستوره السياسي. الإدارة الحكومية العليا والسلطة التشريعية والمجلس الأعلى أو الديوان، المتكون من ستين بولكباشي وكبار (الموظفين) المسؤولين. يقوم هذا الديوان بتعيين وتنحية الدايات. إن تنحية الداي كانت دائما متبوعة بإعدامه.

يتم الاعلان عن تعيين داي جديد عن طريق سفير بالبواية العثمانية (الباب العثماني العالي)، والتي لا تؤكد ذلك من خلال ارسال قلادة وقفطان شرقي لمتخب الديوان. في مثل هذه المناسبات، تتقدم الدولة الجزائرية الى السلطان ببعض الهدايا والتي يتكون عادة عبارة عن أسلحة وذخيرة حرب. اللقب الرسمي للداي كان باشا، وكلمة الداي بالكاد كانت معروفة في الجزائر العاصمة، وستعرف أصلها أيضا.

يتمتع الداي والباشا بالسلطة التنفيذية كاملة، عن طريق وزرائه الذين كانوا:

الخزناج أو وزير المالية والداخلية،

والأغا وزير الحرب،

والكروج والكريل وزير المجالات (الميادين) الوطنية،

وأوكيل الخرج وزير القوات البحرية والشؤون الأجنبية (الخارجية)،

والمكاتاج أو رئيس الأمناء،

وبيت المال أو وكيل الميراثات،

الى جانب شيخ الاسلام أو المفتي الحنفي وزير الدين والعدالة.

سيقيم القارئ أننا نشبه هؤلاء الموظفين بهؤلاء المتواجدين بيننا على رأس النقابات (الفروع) الادارية الرئيسية، بغرض اعطاء فكرة تقريبية عن واجباتهم وليس للإشارة الى الحدود بطريقة ايجابية مطلقة. كما لا يجب أن نعتقد أن الخزناج، على سبيل المثال، يقوم بها يقوم به وزير المالية عندنا،

فالمحاسبة العامة للدولة لم تكن بين يديه، بل كانت من صلاحيات المكاتاج (المقتاج).

تعود ادارة العدالة الجنائية الى الداي، الذي ينشط فيها شخصيا أو عن طريق وزرائه، والعقوبات تمثلت في الموت والبر (التشويه) والأشغال العامة والضرب والغرامة.

تم ادارة العدالة المدنية في مركز اداري كبير عن طريق قاضيين، يسمى أحدهم الحنفي بالنسبة للأتراك، والآخر مالكي بالنسبة للسكان الأصليين. يشكل الحنفين والمالكيين طائفتين مسلمتين مختلفتين في بعض الممارسات الدينية البسيطة، وبعض النقاط المتعلقة بالفقه. وعلاوة على ذلك فالطائفتين تعيشان في وئام، بعيدتين عن كل البعد عن لغة بعضهم لبعض، كما يفعل الكاثوليك والبروتستانت. الأتراك يسلكون المذهب الحنفي أما سكان افريقيا الأصليون يشعرون على عكس ذلك المذهب المالكي. وفوق رتبة القاضي نجد مفتين أحدهما حنفي والآخر مالكي. يحمل المفتي الأول، كما سبق ذكره، لقب شيخ الاسلام (رئيس الاسلاميين)، وهو شخصية كبيرة وقوية، وهو يتلقى استئنافات الأحكام التي يعيدها القاضي في محاكمة يرأسها تدعى المجلس، وهي تتكون من مفتين وقاضيين (اثنين). يمكن أن تتكفل الأحزاب (الفروع) بفضية مدنية سواء في تونس أو فاس، أين يتواجد أشهر الفقهاء في افريقيا. بيت الميراث أو وكيل الميراثات مكلف بفتح وصايا كل المنازعات التي تظهر

التفيل. كما كان مثل جميع الورثة الغائبين. يجب عليه أن يدخل الى الميدان الميراثات الشاغرة، وذلك بعد الخصومات المقدمة للفقراء وبعض النفقات الخاصة، وكذا جزء من الممتلكات التي تعود الى الدولة بما فيها التي لا تملك وارثا ذكرا مباشرا والتي تكون في بعض الأحيان ذات قيمة معتبرة. والى جانب ذلك، يتكفل بشرطة الدفن، حيث يعمل تحت أوامره قاضي والعديد من العملاء (الوسطاء أو الوكلاء).

كان الداي يعتمد على هؤلاء المسؤولين المختلفين من أجل تسيير حكومته. وبما أن نشاطه لا يمكنه أن يمتد على نطاق واسع بشكل مباشر، وضع مجموعة من الحكام على رأس المحافظات لممارسة سيادتهم تحت لقب الباي نيابة عنه. كان هؤلاء الحكام مرغمين على القدوم كل ثلاث سنوات الى الجزائر العاصمة من أجل تقديم حسابات (تقديم حصيلة) ادارتها. تميزت هذه الفترة بمحافظاتها (البيلا) الثلاث وهي قسنطينة في الشرق ووهران في الغرب والنيثري في الجنوب. كانت المنطقة الادارية للجزائر العاصمة تحت حكم الداي ووزرائه بشكل مباشر، كما كانت حكومة الجزائر التركية في صفاتها الدستوري، لكن الأشكال كانت تتغير حسب ترخيص الميليشيا.

انتخاب الداي نتاج مظاهرات عسكرية بدلا من أن يكون نتيجة مداولات سلمية. المجلس نفسه لم يكن له وجود الا بالاسم، عند الاستلاء على الجزائر العاصمة. حين باشا الذي لم يتأديه بهذا الاسم ولو مرة

واحدة طول فترة حكمه، لم يترك له الا وظائف ضئيلة (غير مهمة)، بما أن المبادئ الأساسية لهذه الحكومة كانت في مرحلة الانحلال عندما سقط الأتراك في يد الفرنسيين.

السهولة التي استقرت بها في شمال افريقيا لاتدعو للتساؤل، اذا أرجع ذلك الى فترة التي حملت فيها أحزان مور (بربر) اسبانيا كراهية اسم مسيحي. قدم الأتراك أنفسهم على أنهم المنتقمون للإسلام، الى جانب المجد المشرق للامبراطورية العثمانية، ولهذا استقبلوا على أنهم حماة أكثر من كونهم أسيادا (حكاما) غير مرغبين. انتصارهم الأول ضد المسيح ونظام الفرصنة الذي ينظمونه بكل جرأة لم يجلب لها الا السعادة، مبررين حسن الظن الذي يكنه العرب لهم، وهيمنتهم كانت على قاعدة مزدوجة من الاعتراف بالجميل والتقدير. عزة أساليهم وانتظام سلوكهم طبع بالأذهان شعورا عميقا بالتفوق بحيث كان كل فرد يعتبرهم أنهم ولدوا (خلقوا) ليحكموا. والى جانب امتلاكها لستة أو سبعة آلاف رجل موزعين على عدة نقاط، يؤدون الخدمات في أراضي واسعة، كنا سنعاني لنجوبها بعدد مضاعف من القوات.

بما أننا سندرس في أحد الكتب الموالية سياستهم اتجاه العرب، فسرى أنها كانت ذكية من أجل الحفاظ على هيبتهم، ولكنها كانت بالغة بالنسبة لازدهار البلاد الذي تستمر في خفقه. وسيكونون دائما الشعب المستعبر الذي لا يريد أن يندمج كليا مع الشعب المستعمر. لقد شاهدنا بأن الجزائر العاصمة، التي تتميز

بروح العزلة، والتي كانت تحمل ميزة الأثر الك، وقد تم دفعها بعيدا بحيث أصبح أهلها يرون أولادهم على أنهم غرباء، لأنهم ولدوا من أم من السكان الأصليين (الأهالي). وبالإضافة إلى ذلك، وضعوا كل طموحاتهم من أجل العمل بعيدا عن المهام الرسمية السياسية لأنها كانت في نفس الوقت الطريق إلى الثروة. أريد أن ألفت من تلك السفن المسلحة والتي كانت تثير رعب المسيحية لفترة طويلة، وعن المهارة والثقة التي يظهرها كل فرد كل حسب قدراته التي تثير ملاك السفن. كانت القوات البحرية تمنح لكل السكان الأصليين (الأهالي)، ويدون أي استثناء، حظوظا للأزدهار، وهي القرص التي لم يحفظوا بها مع الليشيا. الرئيس حيدو الذي قاد الأسطول الجزائري في 1815 كان قبائليا (بربري أو أمازيغي).

وبالرغم من أن القراصنة الجزائريين لا ضمير عموما، إلا أن التعليقات التي كان ينطقها من الحكومة كانت مبنية عادة على مبادئ حقوق الأشخاص. ولم يستطيعوا أن يستولوا بشكل شرعي إلا على سفن الأمم التي شارك بها مجلس الوصاية في الحرب. صحيح أن إعلان داي الجزائر للحرب ضد القوى المسيحية لا يتطلب سوى بعض الأعداء الضعيفة، وقد بدأ في أكثر من مرة عدوانه (أعماله الخيرية) دون أي حاجة لذلك غير الحصول على الغنائم. كما تمكن مجلس الوصاية من اعتماد العديد من القوى البحرية والتي كانت تدفع لها إعانات مالية سنوية للمضادي نهبا. ما يمنح الشعور بعدم الرضا في هذا الموضوع سواء كان ذلك حقيقيا أو خياليا، هو أن الجزائريين لم يعلنوا الحرب عليهم.

من حيث المبدأ، كانت الحكومة الجزائرية تروى الحرب مع المسيحيين (التصاري) حالة عادية، وكانوا يؤمنون بحق استعادتهم والقبضاء عليهم حيثما وجدوا، مع وجوب وجود معاهدة الحماية تفرض احترام أشخاص من أمة معينة. وبالتالي وبعد فترة قصيرة من الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، هاجم الجزائريون جناحهم، لغياب أي معاهدة تربطهم بهذه القوة الجديدة. كان الأمريكيون مرهقون من صراخهم الدموي الطويل ضد المعتزات، وكانوا مرغمين على شراء السلام بالتقود، وبذلك كانوا يدفعون لمجلس الوصاية جزية سنوية تقرب 24 ألف دولار، ولم تعفى من ذلك إلا في سنة 1815.

مبدأ السياسة الجزائرية لم يفاجأ المسيحيين، لأن كل المسيحيين في نظر المسلمين كانوا المسؤولين عن الطريقة القاسية التي عامل بها الأسبان مور (بربر) أو موريطاني) إسبانيا، لا أقول بأن الفترة الأخيرة بأن فكريات الخروج القديمة عادت إلى ذاكرتهم، ولكن من المؤكد بأنها كانت السبب الرئيسي للوضع العنصري الدائم، أين تشكل القوة البربرية (الوحشية والهمجية) ضد كل المسيحيين وعلاوة على ذلك، كنا نعتقد كل هذا الوقت بأننا نملك حق بيع النجر، وليس علينا أن نتفاجأ من اعتقاد الأتراك والمور (البربر أو المغاربة) لامتلاكهم حق بيع الأوروبيين.

تسلم داي الجزائر في العديد من المرات توبيخات قوية جدا من القوى العظمى. كما يعلم الجميع أن لويس الرابع عشر قام بتفجير عاصمتهم ثلاث مرات، وهذا ما يضاف إلى التأثير الذي نهضه منذ أمد طويل في البربرية

بمقتضى ما يجمنا في وضعية قوية في نظر مجلس الوصاية للجزائر العاصمة في 1815، أرسل الأمريكيون ضدها أسطولا استولى في مساره على العديد من السفن الجزائرية، والذبحاء إلى الجزائر في الوقت الذي غابت فيه كل الوسائل لصعد الهجوم، وهذا التزعزع من الشاي عمر باشا، الذي كان يحكم في تلك الفترة، معاهدة مفيدة. وفي الأخير، وفي عام 1816، وبعد هجوم دام تسع ساعات، شنه الأسطول الإنجليزي الذي قاده اللورد اكسموث، أجبر عمر باشا على التوقيع لاطلاق سراح كل العبيد المسيحيين الذين كانوا في هذه البلدان، والتنازل في المستقبل عن الحق التعسفي الذي يسمح له بعرض الأسرى الأوروبيين للبيع. لقد قلنا بأنه كان من السهل على فرنسا وإنجلترا تحطيم القوة الجزائرية عن آخرها، ولكنها اقتصرت على الحالتين اللتان ذكرتهما سابقا، لضمان سيادة أجنحتها، كما أرادوا أيضا الإبقاء على الفرصة الجزائرية كعائق أما الأزدغار التجاري لبعض الدول الصغيرة، لأعرف ان كان اللوم مستحقا لهذا التصرف، ولكن منذ 1830 لم تعد فرنسا تستحقه (لا تستحق اللوم).

اسبانيا التي كانت تتميز بسياستها القائية اتجاه المور (البربر أو المغاربة) والأندلسيين، كانت سياستها في إنشاء الفرصة البربرية (المهلبية والوحشية)، وكانت تقوم بمجهودات من أجل قمعها، وعلى العموم لم تكن هذه الأعمال لتجلب السعادة للجميع كان يعرف تفاصيل الحملة الكارثية لشارل كيت، في 1775 هزم أورلي، الارلندي التابع لشارل الثالث، على يد الجزائريين مع

جيش يضم أكثر من 30 ألف رجل، وفي سنة 1783 و 1784 وجهت بعض محاولات التفجير إلى الجزائر العاصمة، لكنها لم تكن ناجحة. وفي 1785، عاد السلام إلى المنطقة بين القوتين، بشروط زادت من وقاحة الجزائريين بشكل غير عادي. قامت حملة اللورد اكسموث سنة 1816 بسحب كبرياتهم قليلا، ولكن عمر باشا الذي كان أميرا نشيطا ومهرا، عوض خسارتهم بسرعة في فترة لم تتجاوز الستين بعد ذلك، فيمكنه أن يتحدى أسطولا فرنسا وإنجلترا موحدا (بمجموعين مع بعض)، وقد تمت دعوته باسم اتحاد كتاس ايكس شاييل للتوقف عن العداء ضد البلدان المسيحية في المستقبل. هذا التصحح (الجرأة) لم يعاقب، وقد نسوا بسرعة ما حدث من اذلال عام 1816. بعض الانتصارات التي حققتها سفنهم في الحرب في اليونان زاد من كبرياتهم، ودفعهم ذلك إلى اهانة جناح "غراند سينور". ولكن ما حدث ضد فرنسا أساسا هو توجيه اعتداءات عليها.

جعلتنا معاهدة 1817 نتمتع بحق امتلاك القالة واحتكار صيد المرجان، ونصت على رسوم قدرها 60 ألف فرنك، وبعد ثلاث سنوات زادت بشكل تعسفي لتصل إلى 200 ألف فرنك، ومن أجل منع الخسارة الكلية لمؤسساتنا اضطررنا إلى القيام بها أرات حكومة الجزائر العاصمة. وفي سنة 1818، تم سحب العميد الفرنسي من طرف سكان بونا (عنابة)، ولم نتحصل على أي نوع من التعريض على ذلك. في سنة 1823، تم الاعتداء على منزل وكيل القنصلية الفرنسية ببونا (عنابة) من طرف السلطات الجزائرية بحجة التهريب، وبالرغم

من أن الزيارة أثبت زيف هذا الاتهام، إلا أن رد فعل الداي لم يدع للاطمئنان
انحاء هذه الخطبة.

تم القبض على سقن رومانية كانت تحمل جناحا فرنسيا تحت الحماية
الممنوحة من طرف فرنسا لـ "سانت سياج"، كما تمت مصادرة السلع
الفرنسية على متن السفن الاسبانية، رغم مضمون المعاهدات الموجودة مع
مجلس الوصاية، والتي تنص على أن العلم الفرنسي يغطي السلع وأن السلع
الفرنسية لا يجب الاعتداء عليها.

في 1827، أهين السيد ديفال بشدة، وهو يمثل قنصلنا بالجزائر العاصمة
(القنصل الفرنسي) من طرف الداي حسين باشا، الذي أنى لتتويج (دعم)
الشتم والاهانات التي تلقيناها من طرف الحكومة الجزائرية. وهنا تفاصيل
عن هذه الحادثة.

قدم تاجرين اثنين من يهود الجزائر وهما السيدين بوشناق والبكري
قدرا كبيرا من القمح لفرنسا، عندما كانت تشكل جمهورية، وأصبحوا دائنين
للدولة بهذا المبلغ الكبير. الصعوبات المالية التي تتواجدت فيها فرنسا لفترة
طويلة، جعلها تأجل تسديد هذا الدين. وفي 1816 فقط، تم تعيين لجنة
لهذا الغرض لتقديم المبلغ المستحق بما في ذلك القوائد، حيث ارتفعت الى 14
مليون. ولكن نتيجة للصعقة التي تمت يوم 28 أكتوبر 1819، تم خفضها الى
7 ملايين، والديون المتعلقة بالبكري كانت متناقض، وبموجب هذه الاتفاقية
تم تسديد العديد من الدفعات الخاصة بديون البكري بفرنسا. لكن هذا

اليهودي كانت لديه ديون أخرى في افريقيا وأهمها كانت الحكومة الجزائرية
نفسها، والتي باعها الصوف وأشياء أخرى. الداي الذي كان معتادا على اعتبار
ديون البكري على فرنسا ضمانا لحكومتها على هذا التاجر، لكنه كاتمستاء
من رؤية هذا الرهن (الضمان) يتراجع يوما بعد يوم بسبب المدفوعات التي
سلمت لصالح الدائنين الفرنسيين. واعتقد بأن الجميع لم يكن لديهم نوايا
حسنة، وقد شاطره العديد من الأشخاص بفرنسا في هذا الرأي كما هو الحال
في افريقيا، وفيما يتعلق بهذا الموضوع، ظهرت اشتباكات (شكوك) خطيرة
على السيد ديفال. ولذلك، فمن الممكن أن تكون الشكاوي العديدة التي
رفعها الداي حسين ضد طريقة تصفية ديون البكري لم يكن لها أساس أصلا.
كان هذا الأمير كان يرى بأن العديد من المؤامرات الخاصة تدخلت في هذه
القضية، ولهذا كان يعتقد بأن من واجبه أن يكتب مباشرة لملك فرنسا، وظن
بأن هذه الطريقة ستقوده الى طريق آخر. بقيت رسالته دون أي رد. وفي هذه
الأثناء كان قنصل فرنسا قد تقدم اليه، وفقا للعرف، وذلك بمناسبة عيد
بيرم، فيها طالب الداي بأنها كانت سبب هذا السكوت. وأجاب السيد ديفال
بجملة مفادها أن ملك فرنسا لن يستطيع أن ينزل (يتنازل او ينحدر) الى
درجة مراسلة داي الجزائر. كانت هناك آلاف الطرق لقول هذا، ولكن على
ما يبدو أن السيد ديفال اختار أشد الطرق وأكثرها هجومية من أجل مخاطبة
الداي، ويعود ذلك اما لجهله للغة أو لطبيعته الوحشية. وعلى الرغم من حذر
هذا الأمير وكونه مهذبا إلا أنه لم يستطع أن يسيطر على غضبه، وضرب السيد

ديفال بروحه (التي تستعمل لطرده الديباب) المصنوعة من ريش الطاووس، والتي كان يحملها يده. ولسوء حظه، أتبع هذه الحركة بمجموعة من الشتم ضد ملك فرنسا، والذي من طبيعته عدم التهاون بشأنها، وكان يقدر حكومتنا التعاضدي عن اهانة القنصل نظرا لاستخراجه الذي أدى إلى ذلك.

كان السيد دو فيال على رأس شؤون بلدنا، وقد اتهمه أعداؤه الكثر بممارسة سياسة مفسدة في الداخل وسياسة دون كرامة في الخارج، وكان يتخيل في الاساءة (الشتم) التي قام بها داي الجزائر وسيلة لنشر الخزم الدبلوماسي بأمان وجذب البعض من الاهتمام في هذا الصدد. ونتيجة لذلك، ذاع صيت داي الجزائر، وأعلن أن الملك سيعطي إشارة شر التقام. كان مقتنعا بأن بعض التهديدات تكفي لتخويف حسين باشا، لكن غلبت آماله، ولذلك، وبدلاً من العزم على الضرب بقوة، لم يتم اتخاذ الانصاف اجراء: اصدار قرار بحضاء الميناء، وقد سخر الداي من هذا الحصار. كما أن هذه القضية التي اعتقد السيد دو فيال أنها ستجلب له الرأي العام لم تؤدي إلا للفتور منه مجدداً. كنا نعتقد أننا نرى تأثير الجلترا والكراهية والاحتقار، ولكن هذا الوزير سقط ذابلاً، وأخذت مكانه الادارة التي كانت حكيمة لكنها ضعيفة أمام الظروف الحادة التي تواجدت فيها فرنسا. هذه الوزارة الجديدة التي اثلرت استياء المحكمة في الداخل، دون ارضاء الرأي العام بشكل كلي، اتبعت سياسة خارجية بالتفليل من المهارة. استمر حصار الجزائر وقد أدرجت الوسائل الوحيدة التي بإمكانها أن توصلنا إلى الحفرع (الاستسلام) البربري الكلي.

لقد كان محصفاً للادارة الأكثر انقاده، والتي مزالت تكثر على فرنسا، وعلى الوزارة التي كان يرأسها السيد بوليتك أحد جزء حاسم في هذه القضية. لم يكن ذلك بدافع الشعور باحترام الوطن، وإنما ذلك كان على أمل خدمة التصاراته في إفريقيا والاندلس مشاركة في الداخل. قام بوليتك بتحقيق الحرية تحت الأبحاث التي طغت على فرنسا. اعتقد السيد دو بوليتك بأن شارل كان قويا كفاية ليحاول القيام بشيء مماثل، ونتيجة لذلك، قرر في المجلس أن يرسل جيشاً إلى إفريقيا تحت قيادة السيد بورمونت، التي كان وزيراً للحرب. عندما هاجم داي الجزائر على سفينة برلمانية، جعل أي تسوية للوضع (الاتفاق) مستحيلاً.

وبمجرد اتخاذ الحكومة للقرار أصبح الجميع يعرف بذلك. في جانب الجزائر التي كانت تشككي من الليونة التي كانت تقود هذه القضية، حيث بدأت تحطّب ضد الحملة التي كان يجري تحضيرها، كما بالغت في المخاطر في مضاهاة بعضها البعض ورفض الحاجة. هذه الشارة للتواليا السيرة لم تكن تشرف خبراء القانون الدولي في هذه الفترة.

الجزء السليم من العامة (الناس) كان يعيش الأشياء تحت وجهة نظرهما الصحيحة، ولم يكن يعنى نفسه على الأسباب التي جعلت الوزارة تنصرف على هذا النحو. ولكن بما أن الحملة نفسها كانت تسير بعيداً الاحترام (الشرف) الوطني، لتكون مفيدة في التجارة وتحقق المجد لأسلحتنا، فإن الرجال التزهاء تقبلوا ذلك وشجعوه، وكانوا يحضرون أنفسهم لمحاربة

الإدارة التي كانت تسيرها حتى الموت، إذا ما هوجمت حقوق فرنسا. اختيارنا للكونت دو بورمون من أجل قيادة هذه الحملة كان مشؤوما، وقد ارتبطت ذكريات غير مشرفة باسم الجنرال. ومع ذلك رافقته ترحيبات فرنسا بأكملها، لأن الأمة كانت تدرك بأن أقوى مصلحة لها كانت في معيار فرنسا الذي استعمل ضد كل أجنبي لتخرج متصرة في صراعها، مهما كان اللون أو اليد التي تحملها.

لم يحمل السيد دو بورمون، الذي جعل من هذه الحرب مسألة شخصية جدا، أي شيء من أجل ضمان النجاح. كلفت لجنة يترأسها الجنرال لوفاردو بجمع كل الوثائق الموجودة في الجزائر. سلمت القيادة الهندسة وقيادة المدفعية لرجال أذكيا. حيث سلمت الأولى (الهندسة) للجنرال فالاري، الذي لا يمكن انكار مواهبه، والذي كان يؤمن بمبدأ أن القيمة الأكبر هي الأقل جودة. أما الثانية (المدفعية) فقد سلمت للجنرال لايت الذي كان الضابط الأعلى جدارة في جميع النواحي.

اختيار الضابط العام للمشاة كان على العموم جيدا أيضا، في حين فرض بعض الأشخاص وجود السيد دو بورمون من خلال المؤامرات ومتطلبات المحكمة.

كان المشاة مقسمين إلى ثلاثة أقسام بثلاثة فرق لكل قسم. كل فرقة كانت تتكون من فوجين، وكل فوج يتكون من كتيبتين. القسم الأول للمشاة كان تحت قيادة الملازم الأول الجنرال برتازان.

الفرقة الأولى لهذا القسم، والتي كانت تحت قيادة المارشال بوري دو موفان، تألفت من الفرقة الأولى للمشاة المتشكلة من المشاة 2 و 4 والخط الثالث، أما الفرقة الثانية التي يقودها المارشال أشارد كانت متكونة من الخط 14 و 37، فيما تتكون الفرقة الثالثة من الخط 20 و 28، تحت قيادة المارشال كلوي. القسم الثاني من المشاة كان تحت قيادة الملازم الأول الجنرال لوفاردو.

الفرقة الأولى لهذا القسم كانت متكونة من الخط 6 والخط 46، تحت قيادة المارشال دونيس دو دامريمون، أما الفرقة الثانية المتكونة من الخط 15 و 40 فقد كانت تحت أوامر المارشال مونك دوزي، أما الفرقة الثالثة المتكونة من الخط 21 و 29 فقد ترأسها المارشال كولومب دارسين.

كان على رأس القسم الثالث للمشاة الدوق ديسكار. الفرقة الأولى لهذا القسم كان مكونا من فوج المشاة 2، والذي يتكون في حد ذاته من المشاة 1 و 9 والخط 35، تحت قيادة المارشال بارتيني دو سوفيني، أما الفرقة الثانية التي قادها المارشال أورال فقد كانت متكونة من الخط 17 و 30، في حين تكونت الفرقة الثالثة من الخط 23 و 24 وذلك تحت أوامر المارشال مونتليقول.

لم يكن لفوجي المشاة الا كتيبة واحدة أسهمت في تدريبها. كانت الكتاب على شكل ثمانية فرق تضم 94 رجلا، دون احتساب الضباط.

كانت فرق النخبة تضم 120 رجلا، وفيما كانت قوة كل قسم من المشاة تضم حوالي 10 آلاف رجل.

الجزء الأول

كان جيش الفرسان يتكون من سربين من المقاتلين ال 17 والفوج 13 من نفس الجيش. أما الأسراب الثلاثة التي تحمل اسم مقاتلي افريقيا فقد كانت تضم 500 خيل تحت قيادة الكولونيل أو العقيد بونتون دو باري.

وتألفت قوات المدفعية من أربعة بطاريات مرفوعة وعشر بطاريات غير مرفوعة وبطارية جبل وفرقة من العمال (المستخدمين) وواحدة من العوامات وأربع قطارات (عتاد) الحظائر. كانت قوة المدفعية تتكون اجمالا من 2268 رجل (دون احتساب الضباط) و 1380 خيل.

كانت قوات الهندسة متكونة من فرقتين من زراع الألغام وستة خبراء المتفجرات ونصف فرقة تدريب وهي تمثل 1260 رجلا و 118 خيلا. وتألفت هيئة الأركان من الملازم الجنرال قائد الأركان العام ومارشال نائب قائد الأركان وثلاثة عقدا (جمع عقيد) قادة هيئة الأركان التقسيمية (المتكون من أقسام أو فرق)، وأربعة وثلاثين مساعد من كل الرتب، الى جانب ثمانية وعشرين ضابط موظف في هيئة الأركان العامة وفي هيئة الأركان التقسيمية، بالإضافة الى قائد المقر العام ومدير عام لمكتب البريد وثلاثة مهندسين جغرافيين. كما تتكون هيئة الأركان الخاصة بالمدفعية أيضا من مارشال المعسكر قائد المدفعية وعقيد قائد الأركان ومدير الحظيرة ومساعد معسكر وسبعة رؤساء كتيبة ولحمة نقباء (النقيب أو الكاهن) وأربعة عشر حارس. فيما تضمنت هيئة أركان الهندسة مارشال المعسكر قائد الهندسة وملازم برتبة عقيد قائد الأركان، الى جانب قائد الكتيبة مدير الحظيرة (قائد الكتيبة المشرف) ومساعد وقائدي

كتيبة وخمسة عشر نقيب وثلاثة ملازمين وسبعة حراس، ويصل عدد المقاتلين
إجمالي إلى 34184 شخصا (بما فيهم الضباط). العمال غير المقاتلين يتألفون
مما يلي: أمين المخازن الرئيسي وثمانية عشر نائب أو مساعد له، ودافع عام
(أمر الصرف) وأربعة دافعين خواص (واحد منهم في المقر العام وآخر في كل
قسم)، إلى جانب طبيب رئيسي وطبيب أساسي وجراح رئيسي وجراح أساسي،
وصيدلي رئيسي وصيدلي أساسي، واثنا عشر طبيا في مختلف الاختصاصات
ومئة وخمسين جراحا، وثلاثة وتسعين صيدليا، وقد وصل العدد الإجمالي
لضباط الصحة إلى مئتين وواحد وسبعون ضابطا، دون احتساب هؤلاء الذين
ينشطون في الأفواج، إلى جانب ثلاثة وثمانون عامل في الغذاء والإطعام وثلاثة
وعشرون عامل بالمستشفيات وثمانية عشر عامل بالمخيمات، بالإضافة إلى قائد
الأطقم (جمع طاقم)، وفرقتين من راكبي البغال وتضم 394 رجلا و636
بغلا، وفرقة عتاد إدارية تقود 128 عربية ذخيرة (صندوق) بعجلتين رفقة
193 رجلا و315 خيل (حصان)، وفرقة قوية أخرى متكونة من 208 رجل
و348 خيل، تقود 129 مدفعا بأربع عجلات، إلى جانب نصف فرقة مؤقتة
لعتاد الإدارة مكونة من 28 رجلا و34 خيلا، إلى جانب كتيبة من عمال الإدارة
متكونة من 780 رجلا، كما تضمنت الفرق أربعين دليل ومرجحا. وأخيرا كان
هناك أيضا عميد و123 دركيا من المشاة ونفس العدد من الفرسان (الدرك
الذين يركبون الخيل)، ليكون عددهم الإجمالي 3389 فردا غير مقاتل. وقد
ارتفع عدد الأحصنة والبغال إلى 3423 دون احتساب تلك الخاصة بالضباط.

يهر الجيش معه معدات (عتاد) ضخمة، وقد تكون العتاد الخاصة بالمدفعية كالآتي:

| | |
|------------------------|----|
| قطع من 24 | 30 |
| قطع من 16 | 20 |
| قطع من 12 | 12 |
| قذائف الهاون 10 بوصات | 8 |
| مدافع الهاوتزر 8 بوصات | 12 |
| المجموع 82... بتدقية | |

ثم تزويد المدافع باللف طلقة، وقذائف الهاون بثلاثمائة طلقة أما مدافع الهاوتزر فقد زودت بثلاثمائة طلقة.

| | |
|------------------------------------|----|
| قطع من 8 | 16 |
| مدافع هاوتزر من 24 | 8 |
| مدافع هاوتزر الجبلية (خاصة بالجبل) | 6 |
| المجموع 30... بتدقية | |

ثم تزويد المدافع ومدافع هاوتزر الخاصة بالحملة (الفرقة المتقلة) بخمسمائة طلقة، أما مدافع هاوتزر الخاصة بالجبل فقد زودت بمئتي طلقة. وقد تم حمل القطع الستة الخاصة بالجبل على ستة وأربعين بعلا بعبيرتها وقذائفها (مؤونتها). كما كان لدينا مئة وخمسين بتدقية متراس مزودة بثلاثمائة طلقة، وألفي بتدقية غير المشاة، وعدد كبير من الصواريخ الحارقة، كما تم توفير ب 5,000,000 (خمس ملايين) خرطوشة (رصاصات أو طلقات). كما وجد مجموع 336 سيارة مدفعية وعربات وعجلات (صناديق) وغيرها. وشملت معدات الهندسة 6

معادل (حصون صغيرة) بطابقين، و 600 رمح لتشكيل التشابكات المحمولة، و 120,000 وتد و 5,000 جرف (سياج الأوتاد) وعدة آلاف من حزم القفف والمناطد و 306,000 كيس تراب (كل هذا من أجل أعمال المقر في البلد الذي يخشى فيه نفاذ الخشب)، إلى جانب 27,000 من أدوات الرواد، وأخيرا تم توفير الحديد والصلب الخام لوقت الحاجة: خصص 26 صندوقا لنقل الأدوات (الوسائل) والأشياء الضرورية.

تم حساب الامدادات بالغذاء الاطعام والترتيب لها بشكل جيد بحيث يتم تقديم أقل حجم ممكن منها مع الحرص على الحماية من الأضرار. تم وضع البسكويت في صناديق مغطاة بقيماش قوي مشمع، أما الشن فقد تم ضغطه بالآلات مخصصة لهذا الغرض، لم تعرف الا مؤخر في فرنسا بالرغم من تواجدها منذ فترة طويلة في إنجلترا.

كما تم حمل أفران معدنية من طرف الجيش من أجل تعويض البسكويت بالخبز في أقرب الأجال، إلى جانب نقل أكثر من ألف ثور وكميات معتبرة جفا من النيد (الخمر)، وفي الأخير، لم يتم اكمال أي شيء من أجل ضمان رقابية الجنود في بلد افترضنا أنه لن يوفر أي نوع من الموارد.

وال جانب هذه التحضيرات (الاستعدادات) التي يتطلبها الحذر والرغبة في النجاح هذه الحملة، قمنا باحضار أشياء عديدة الأهمية. كل صانع مشروع يتقدم إلى السيد دو بورمونت يتم استقباله واعتناء خطه (مشروعه) دون أي مراجعة. وهي الطريقة التي عشناها بعد ذلك مع الجيش، الطيار مارغات ولاعبو السيد أموروز في الجمنازيوم (الجمباز) ومجموعة أخرى من الشخصيات المحرجة،

الجزء الأول

الذين نجد من بينهم مجموعات كبيرة من الضباط في المقر العام الكبير والقيس العام.

تم تعيين السيد دوني كأمين المخازن الرئيسي، وبما أنه كان معروفاً أن الجسم المدمر للإدارة لا يستطيع أن يقوم بفعل شيء، فقد تم تعيين بمون عام كما في عام 1823.

اجتمعت مختلف الهياكل التي تشكل الجيش خلال شهر أبريل، في كل من مدن (محافظات) فوكلوز وبوش دو رون وفار. اجتمعت السفينة التي كان من المقترض أن تنقله (الجيش) إلى إفريقيا في نفس الوقت في ميناء مارسيليا وتولون. وصل السيد بورمونت إلى هذه المدينة الأخيرة في 27 أبريل، وأنشأ مقره العام، كما تواجد المقر العام الخاص بقسم بارتزان، كما تم إنشاء المقر العام للقسم الثاني بمرسيليا، أما المقر العام للقسم الثالث للجيش فقد تم إنشاؤه في أكس. في الأيام الأولى من شهر ماي، استعرض دوفين فانت الأقسام الثلاثة لجيش إفريقيا على التوالي. لم يزد حضوره ولم ينقص من حماس القوات التي كانت تبرز أفضل النوايا (الارادة الحسنة).

وخلال الفترة الفاصلة ما بين اجتماع الجيش وانطلاقه، خضعت القوات لفترات تدريبية كبيرة وخاصة تشكيل المربعات (مربعات أمنية). تم تدريب القسم الأول من الجيش على عمليات الهبوط من المراكب أو القوارب المسطحة المخصصة لهذا الغرض، ويجب أن تكون خلال العبور مرفوعة على متن السفن الكبيرة. كانت هناك أسلحة من كل الأنواع، منها تلك المخصصة للدفعية المقر والتي يمكن أن تحمل على شكل قطع مفككة، أما المدافع فقد وضعت بشكل

مستعرض على عارضات كبيرة مثبتة في الاتجاه الطولي، حيث تكون قدم واحدة (المدفع) فوق الجزء السفلي للبارجة. تلك المدافع التي كانت موجهة لمدفعية الفرقة (الحملة) كانت تحتوي على قطعتين على جزئي العربة، مع المدفعية الضرورية، وكل قطعة حملت على ثلاث أجنحة واحدة من أجل المؤخرة والأخرى من أجل العجلات (الخاصة بالمدفع). كانت هذه الأجنحة مائلة قليلا من أجل للتخفيف من أثر التراجع، وبهذه الطريقة يمكن جر القطع من البارجة نفسها، كما يمكن حماية هبوط القوات. البارجات المخصصة للقوات بإمكانها أن تحوي في كل واحدة منها 16 خيلا أو 150 رجلا. يتم تخفيض الحواف المسطحة الأمامية والخلفية لكل هذه السفن على شكل جسور متحركة، سواء من أجل المرور من سفينة إلى أخرى أو من أجل الهبوط (التزول).

وقد أجريت عدة محاولات الهبوط في تولون، وكان الجميع سعداء بالتائج. وفي 2 ماي تم سحب أربع بارجات (صنادل) بواسطة قوارب لتوجه نحو البرج الكبير، عند مدخل الميناء، وعندما نفذ الماء من القوارب ألقي البحارة بأنفسهم إلى البحر وجروا البارجات بأنفسهم. تم تحمل أول بارجة (صنديل) بقطع المقر، أما الثانية فقد حملت بقطع مدفعية الميدان ومدفع هاوتزر الجبل، أما الثالث فقد خصص لحمل أسلحة على شكل رماح مثل التي تحدثنا عنها في الأعلى، أما البارجة الرابعة فحملت بالجنود المشاة. وفي أقل من خمسة دقائق، من إصابة الصنادل كان المشاة ومدفعية الميدان على الشاطئ، وفي أقل من ربع ساعة كانت قطع المقر على الشاطئ في فضاء يقدر بحوالي خمسمائة متر أحيط برماح النار، ووضعت المشاة وراء هذا السور المتحرك وبدأت بإطلاق النار. كان هذا

السور متكونا من خط من حزم تضم ثلاثة رماح شبيهة بتلك التي تشكلها القوات يتادفها، ويتم ربط الرماح الثلاثة لكل حزمة بطوق، وهو عبارة عن حيط طويل يمر عبر الحلقات لتجمعها مع بعض.

في جميع هذه التحضيرات (الاستعدادات) الحربية التي وصفناها، اعتقدنا بأنه من الضروري أن ننضم إلى الاغاثة الدبلوماسية. تم اجراء مفاوضات مع تونس ومع المغرب. كان السيد دوليس قنصلنا في تونس، وكان مكلفا بتطبيق أحكام باي قسنطينة، وجعله يفهم أن عليه اغتنام الفرصة ليعود مستقلا، وذلك بعيدا عن مساندة داي الجزائر في حربه مع فرنسا.

تم ارسال السيد جيراردين ودوينوسك، اللذان قاما سابقا بمهام قادتهما إلى السينغال وبلاد الشام، إلى تونس نهاية شهر مارس وعادا في 2 ماي، وقد عرفوا أن رئيس مجلس وصاية هذه المنطقة كان في وضعيات جيدة، ولكنه كان يرغب في الابتعاد عن صدمات التحيزات الدينية لرعاياه، من خلال اعلانه ذلك لنا بشكل صريح جدا. وقد عرفنا في نفس الوقت أن باي قسنطينة كما سيقتل إلى الجزائر العاصمة يوم 20 أو 25 ماي. وفكرنا بأنه يمكننا منعه من القيام بهذه الرحلة، وكان من الضروري محاولة ذلك على الأقل، ولكن هذا الطرف ساهم في تسريع رحيله (انطلاقه إلى الجزائر العاصمة)، بالرغم من أن كل أسطول الحملة لم يتجمع بعد. لقد كنا نتظر بعض الأشخاص الذين كان عليهم المجيء إلى الموالى البحرية (مولى المحيط). وقررنا الرحيل بدوهم كما قررنا كذلك ترك القوات التي كان من المفترض أن تحملها في تولون، لكنهم وصلوا قبل أن يكتمل الصعود.

عاد السيد جيراردي إلى تونس يوم 11 ماي وكان يحمل معه رسالة كان من المفترض أن يحتفظ بها لباي قسنطينة، في حال لم يكن في طريق العودة إلى الجزائر العاصمة. ذهب ملتزم (موظف) من المعون العام رفقة السيد جيراردين للشراء الماشية في تبرة.

تم انزال المواد خلال شهر أفريل، وفي الأيام الأولى من شهر ماي. أما نزول القوات العسكرية فقد كان في 11 ماي ولم يته إلا في 18 من هذا الشهر.

يتألف الاسطول من 11 سفينة و 24 فرقاطة (سفن حربية سريعة) و 14 طراد (أو حراقة وهي سفينة حربية قديمة)، و 23 مركب و 9 بارجات (صنادل) و 8 مراكب قصف و 4 مراكب شراعية و 7 بواخر، أي ما مجموعه 100 سفينة حربية، إلى جانب 357 نقل موثيق من بينها 119 فرنسية و 238 أجنبية. كما تضمن أسطول صغير مجموعة من السفن الكبيرة المخصصة لخدمة الوسطاء مابين السفن والصنادل (البارجات). تواجدت 12 بارجة لمدفعية المقر و 11 أخرى لمدفعية الميدان و 30 منها للفرق (القوات) العسكرية. هذه القوارب التي يحتمل أن لا تقاوم البحر، حملت على متن سفن كبيرة خلال العبور، ومن أجل نزائها تم سحبها بواسطة الزوارق البخارية، ومن جانب آخر أنشأنا أكثر من 50 طوافة البراميل مغطاة بالحزم والألواح، التي يمكن تركيبها وتفكيكها في أقل من ست ساعات، كما يمكن لكل واحدة منها حمل 70 رجلا.

كان نائب الأميرال دويري على رأس هذه الأسلحة، والتي كانت أهم ما قامت به فرنسا منذ سنوات عديدة جديدة. هذا الضابط كان يتمتع بسمعة جيدة وسط البحارة، وحتى الجرائد كانت تمجد استحقاقه لثياعية السيد بورمونت،

الأمر الذي ساعده قليلا وبدون شك في الفتح (الجمود) القائم باستمرار بين الجزائر.

ثم تقسم الجيوش البحرية الى ثلاثة أسراب (أجنحة): الأولى كانت تحمل اسم جناح أو سرب القتال، وهو موجه لهجوم الحصون والبطاريات، بينما يحمل السرب الثاني تسمية سرب أو جناح التزول (المبوط) وهو يقوم بانزال القوات العسكرية الى الأرض، في حين يحمل السرب الثالث اسم جناح الاحتياط.

يحمل الجناح الأول القسم الثاني من جيش الأرض و 450 جنديا من المدفعية.

أما الجناح الثاني فيحمل القسم الأول من الجيش و 300 جندي هندسة، في حين يحمل السرب الثالث ستة كتائب من القسم الثالث والكثير من العتاد وجزء من عمال المدفعية والهندسة.

تم تقسيم القافلة الى ثلاثة أسراب، وهي تحمل بقية الفرق العسكرية والعتاد وكل الحيل (الأحصنة).

وبعد الانتظار لأكثر من ثمانية أيام للرياح المواتية، لينطلق الأسطول يوم 29 ماي ويخرج من ميناء تولون. امتلات التلال المجاورة بحشود من المتفرجين الذين قدموا من مختلف أرجاء فرنسا لاشباع فضولهم والتمتع بهذا المنظر الرائع. رؤية انتشار هذه القوة الكبيرة من الشعب، جعلنا نحس بالفخر لكوننا فرنسيين، ولكن باعادة أبصارنا الى وضعيتنا الداخلية لا يمكن لأحد أن يتمتع من الحزن، بسبب الأحداث التي كان يجري التحضير لها، والتي لا يمكن لأحد أن يتنبأ بدقة نتائجها.

الكتاب 2

حوادث الرحلة - النزول في سيدي فرج و قنال 41 جوان - الوضعية الدفاعية للأتراك - معركة سطاوالي - معركة سيدي خلّاف - معركة سيدي عبد الرحمن بونيغا - الاستيلاء في الجزائر - حصار قلعة الأميراطور - القضاء القبض على الأميراطور - استسلام الجزائر.

عندما كان الأسطول في عرض البحر كانت على شكل ثلاثة أجزاء بعيدة بأربعة أميال عن بعضها البعض، الجزء الموجود في الوسط كان يتكون من سرب المعركة وسرب المبوط الذي يشكل كل واحد منها صفًا طويلاً (عموداً). الجزء الموجود على اليمين تم تشكيله بالجناح (السرب) الاحتياطي الذي كان يشكل صفين، فيها كانت القافلة تشكل جزء اليسار (الكتلة الموجودة على اليسار)، لم يكن هذا الأسطول مجتمعاً بل هناك من السفن من غادر في 26 و 27 من نفس الشهر.

في يوم 26، التقى الجيش مع الفرقاطة التركية العائدة من الجزائر العاصمة، مرفقة بالفرقاطة الفرنسية الخاصة بالحصار. كانت تحمل موطفاً دبلوماسياً من رتبة عالية قامت البوابة العثمانية بإرساله الى حسين باشا، ليقوم بالتنازلات لفرنسا، لكن قواعد الحصار لم تسمح بدخول هذا العون الى الجزائر العاصمة، وعاد الى فرنسا، وقد قام باجتماعات كثيرة مع جنرالائنا، ليواصل طريقه بعد ذلك الى تولون.

في 28 من نفس الشهر، وعلى الساعة الرابعة مساءً، رأينا جزيرة مينوركا، وفي عتمة الليل كانت الرياح ضعيفة جداً، وفي يوم الغد رأينا جزيرة مجورك ومدينة بالمّا، عاصمة جزيرة باليار.

في 30 من ماي، وفي المساء، لم يكن الجيش الا على بعد 15 ميلا من الساحل الغربي، صدرت أوامر الهبوط (التزول)، الذي افترضنا أنه سيكون في اليوم الموالي، ولكن في الليل، كان التسيم متعشا جدا ليعتقد السيد دوبري أن الحذر يوجب عليه اتخاذ تلك الوجهة في أعماق البحر.

في 1 جوان، كان الرياح قوية والبحر مضطرب، وكانت الأوامر بالابحار الى بالماء. وفي سهرة نفس اليوم، ذهب جزء من الأسطول الى ميناء هذه المدينة، فيما استمر جناحين من الأسطول طريقهما في عرض البحر، ولكن بالقرب من بالماء.

الجزء المتبقي من القافلة والتي لم تبحر بعد الا في 21 من ماي افترقت بفعل العاصفة: وصلت السفن التي تشكلها متفرقة الى بالماء، أين اجتمعت من جديد، ثم خرجت في نفس اليوم الذي وصل فيه الجيش: أسطول سفن الهبوط التي تم تعيينها تحت السيطرة المبتدلة لسفن الماشية (سفن البقر)، اجتمعت هي الأخرى في بالماء وخرجت بعد ذلك للالتحاق بالجيش، واقتربت بمسافة قصيرة خلال ليلة 31 ماي الى الفاتح (1) جوان، لكنها لم تلاحظ ذلك. وفي كان الجيش متوجها الى بالماء، كان الأسطول في طريقه الى سواحل افريقيا، ووجدوا دون أي أدنى شك أن الوقت لم يكن سيئا كفاية لمنعه. في الواقع لم تكن الرياح تهب في الاتجاه المعاكس، ولكنها كانت قوية كفاية لنخشي أن ذلك سيعيق التزول (الهبوط).

بقي الأسطول رطبا في بالماء حتى 10 جوان، ولا يزال السربين (الجناحين) يبحران بالقرب من الميناء. وفي هذه الأثناء، قامت سفن القافلة بجمع (حشد) الجيش، وقد أرسلت فرقاطة بالاس للبحث عن سفن (قوارب) الماشية، لتلتقي بأكبر جزء منها بالقرب من سيدي فرج الذي تم تعيينه مكانا للتزول (الهبوط): اقتربت الكثير من

هذه السفن بالقرب من السواحل، مما جعلنا تفكر أنها (السواحل) لم تكن خطيرة كثيرا بالمقارنة بما كان يعتقد بحارتنا.

غادر الأسطول بالماء في صباح يوم 10 جوان، بنفس الترتيب الذي غادرت به من تولون. في 12 من نفس الشهر، وعلى الساعة الرابعة صباحا، أصبح الأسطول قريبا من سواحل افريقيا، ولكن الرياح القوية أجبرته على الاتجاه نحو الشمال. لم يترك السيد دوبري، الذي كانت تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة، أي شيء للصدف، والرياح التي كانت سببا في وصولهم الى الساحل، كانت أيضا السبب في جعل هبوطهم صعبا وخطيرا، نظرا لقوتها وعنفها. علمنا للتو أن مركبين من مراكب الحصار فشلا في الوصول في ضواحي الجزائر العاصمة، وذلك يوم 4 ماي، حيث قتل معظم طاقمها من طرف العرب، أما البقية فكانوا أسرى في سجون الجزائر العاصمة. بدأ هذا الحدث الأليم أنه يبرر تردد القوات البحرية في دخول السواحل الافريقية. ومع ذلك، فإن الجيش الذي ينشط في البر (الأرض) كان متعبا جدا من الابحار كل هذه المدة وفي هذه الرحلة البطيئة.

في 12 من نفس الشهر (جوان) في الصباح، هدأت الرياح لفترات، وعلى الساعة الواحدة والنصف أخذنا الوجهة نحو الجنوب، وعلى الساعة الرابعة عدنا الى الشمال، وأخيرا، وعلى الساعة التاسعة مساء وجهنا سفننا الى ساحل الجزائر العاصمة. في 13 من نفس الشهر كنا نرى الساحل (الأرض) على الساعة الرابعة صباحا، وقد كانت الرياح تعصف بعنف، ولكن أحسنا شدتها كانت تتراجع مع مرور الوقت مع اقترابنا الى الساحل. بقية الوقت كانت جميلة، فقد بدأنا نتأمل ونميز بين بيوت الجزائر العاصمة البيضاء، والثلال الخضراء التي تحيط بهذه المدينة. بدأ

الجيش وكأنه يريد أن يتفرض عليها مثل الطار الجارح (مثل الجوارح التي تنقض على فريستها)، لكنه تحول فجأة نحو اليمين حيث تجاوز ساحل كاكسين متجهًا نحو سيدي فرج.

سيدي فرج عبارة عن تنوء خليجي (أو صخرة شاطئية) تقع على بضعة أميال من غرب الجزائر العاصمة، في المنطقة التي يوجد فيها برج صغير (ما يشبه القلعة الصغيرة)، وهي عبارة عن عن "زاوية" أو معبد تحيط به بعض المباني. هذه القلعة الصغيرة هي التي غالبًا ما كانت تعرف بالتسمية الأسبانية توري شيكا. اسم سيدي فرج يعود إلى المربط (الولي المسلم) الذي دفن فيه، والذي تمثل ذكراه شيئًا مبجلًا في البلاد. الجميع يعرف أن معنى "سيد" بالعربية تعني السيد أو الرب أو المولى بالفرنسية، وبإضافة صميم الملكية الخاص بالضمير أنا، لتصبح التسمية "سيدي" بمعنى مولاي. فرج هو الاسم الصحيح لهذا المربط. نجد في كل شمال إفريقيا عددًا كبيرًا من الأماكن التي تحمل أسماء المربطين الذين دفنوا هناك، كما هو الحال بالنسبة للعديد من المدن والقرى في أوروبا والتي تحمل أسماء بعض القديسين والقديسات.

الصخرة الشاطئية (التنوء الخليجي) لسيدي فرج عبارة عن تعرجات الساحل المشكلة من الشرق إلى الغرب لتكلاين عميقين قليلًا وعميان (المكلا لرسو السفن أي ما يشبه المرسى أو الميناء). اعتبر المكلا (المرسى) الموجود في الجهة لاغربية من أجل المربوط الشاطئي كان سويًا وناسيًا جدًا مثل هذا النوع من العمليات. البلاد على بعد مائة لم تكن إلا عبارة عن موجات أرضية لا تستحق كثيرًا تسمية التلال، فقد كانت منطقتي بطيقات سمكة من الخليج (نوع من النباتات) تعبرها بعض التيارات (المجاري) المائية، فالتخاريف المظلمة بنهات المصطكى والدفلى. بدأ

الأسطول يصل إلى المرسى خلال منتصف النهار. قبل مغادرة تولون، قدمت تعليقات جد مفصلة حول ما يتعلق بالأمكن التي ستشغلها كل سفينة، والنظام الذي يجب أن يكون عليه المربوط. وقد انتظرنا أن تكون هناك مقاومة قوية من العدو، لكن لم نلاحظ إلا بعض العرب ممن كانوا يلاحظون ويراقبون حركاتنا بقلق. كانت هناك بطارية مصنوعة من الحجر بجانب البحر، على بعد مسافة صغيرة من توري شيكا، وكانت متروعة السلاح كليًا (خالية من السلاح). لاحظنا وجود بطارية أخرى أبعد قليلًا من الأولى، وقد كانت مغطاة ببعض الشجيرات، ومن أجل الإشارة إلى وجودها عبر إطلاق أربعة قنابل. ومن خلال إطلاق إحدى هذه القذائف أصيب أحد البحارة بجروح على متن بريسلو. كان كل هذا كل شيء سيء. قام به العدو، في هذا اليوم الذي أوشك على نهايته والذي كرمس لزخرفة السفن. تمت هذه العملية بالقليل من الفوضى، وقد تم إلغاء التعليقات التي قدمت في تولون. على اليمين كانت السفن الحربية مغطاة بسفن النقل، ولم نستطع القتال حتى لو طلب منها إطلاق النار (استخدام أسلحتها). ولحسن الحظ، فإن المربوط الذي أجل ليوم الغد تم دون وجود أي عائق. ومن جهتنا لم يكن هناك إلا إطلاق بعض القذائف المدفعية التي أطلقتها باخرة "لونا جور".

مرت الليلة بسلام وهادئة جدًا. وفي صباح يوم 14 جوان بدأ نزول الفرق العسكرية (القوات) للقسم الأول. العدو الذي انسحب لمسافة محدودة، ترك هذه الفرق العسكرية تصل إلى الشاطئ دون أن تقلقها، وقد تم إرسالها على بعد نصف ميل من توري شيكا، على قمة إحدى التلوجات (التلوجات الساحلية) التي تحدثنا عنها.

الأرض بين هذه النقطة (المنطقة) وأرض المبوط كانت صوية (موحدة)، وكنا نرى هنا وهناك آثار الثقافة التي تخفي شيئا فشيئا مع ابتعادنا عن سيدي فرج.

بمجرد نزول القسم الأول من الجيش إلى الأرض (الشاطئ)، قام بتشكيل صفوفه ومشى إلى العدو، فيما سار القسم الثاني على اليسار ثم في الوسط، في حين كان القسم الثالث آخر من يتزل لأخذ مكانه. غطى العدو صفوفه (قاوم) بثلاث بطاريات، حيث بدأ بإطلاق النار عندما رأى صفوف جيشنا متجهة إليه. قامت باخرتان قرينتان من الساحل بفصف بطارية اليسار بعدما تخل عنها البربر للحظة، لكن تم سحب هذه السفن لتتألف إطلاق النارة مرة أخرى. وفي هذه اللحظة تم وضع السيد دو بورمونت في المقدمة من أجل تسير هذه الحركة وكاد أن يقتل؛ فقد سقطت كرتان (قذيفتي مدفع) بالقرب من رجله وغطته بالرمل.

العدو الذي كان يرى بأن نيرانه لا توقف سير صفوفنا، فتخل عن بطارياته التي لم تكن قادرة على حمايته من حراينا (جمع حرية أي ما يوضع من مسكين أو خنجر فوق البندقية). لقد انسحب العدو من وضعته الأولى التي احتلها القسم الأول من الجيش، وكان يفصلنا عن البرابرة الذين فقدوا كل مدفعيتهم، واد عميق قليلا.

فيما كان يتقدم القسم الأول (الدفعة الأولى) من الجيش إلى الأمام، كانت الدفعة الثانية تقوم بالمبوط، وكل فرقة (سرية) كانت تأخذ مكانها على التوالي

في الخط الثاني لتساند الدفعة (القسم) المعنية. تواصلت نيران القناصين طوال اليوم، أما الدفعة الأولى من القوات العسكرية، وقبل حلول الليل كانت فرق هذا القسم والفرق الخاصة بالقسم الثاني على خطين دفاعيين، وقد أنشأت معسكراتها. تعجب الأعداء من قواتنا وبقي يتأمل في هذه الخطوط الطويلة الشبيهة بالجدران الملية بالتواءات الحديدية، والتي لم يروا مثلها من قبل: بدا أن الجميع يتخل عن اندفاعه الفردي. بينما كان كل هذا يحدث، كانت الفرصة متاحة أمام القسم الثالث من أجل النزول بكل هدوء، وكأنها تنزل بأرض صديقة. وأنشأت معسكراتها على الصخرة الشاطئية نفسها، وكانت تهدف إلى وضع خيم محصن بدأت أعماله على الفور، واستمر لمدة ثمانية أيام بنشاط مثير للاعجاب. انقطاع المنطقة المحصنة التي تفصل الصخرة الشاطئية عن اليابس، أغلقت المخيم التي خصصت مساحته الواسعة للسلاح أو مخازننا، ومستشفياتنا يجب أن تكون مغطاة تماما. الفرقة الأولى من القسم الثالث (أو الدفعة الثالثة) بقيت خارج التقسيم الذي أنشأناه، والفرقتين الأخريتين بقيتا بالداخل.

بعد نزول الفرق العسكرية إلى الشاطئ اهتمامنا بانزال المعدات. كل جندي كان يحمل من المؤونة ما يكفي للعيش خمسة أيام، لكن ذلك كان قليلا وكان من المفروض وضع كميات معتبرة تحت تصرف الجيش، خوفا من أن بعض عواصف الرياح يمكن أن تجبر الأسطول على الإبحار بعيدا. لم نطيع الوقت كذلك؛ فقد نشرت القوات البحرية في هذه الظروف النشاط

والجهاش والمدح. وللأسف، لم تصل كل وسائل النقل، وهذا ما جعل مدفعية المقر تنتظر كثيرا، وسرى فيها بعد عواقب هذا التأخير المؤسف جدا. كلنا يوم 14 جوان القليل من الأشخاص (الأرواح). فالعاطفة التي نشرها جنودنا الشباب خلقت ضبابا لما يمكن أن يقوموا به في هذه المعركة الأكثر فتكا، ومن هنا بدا نجاح الحملة مضمونا.

في ليلة 14 و 15 كانت هناك انذارات خاطئة في القسمين الأول والثاني. فقد أطلق الجنود النار على بعضهم البعض وكانت هناك بعد الحوادث المؤسفة والمحزنة. تكررت هذه الأنواع من الأخطاء عدة مرات أثناء الحملة، ولا يجب أن يتفاجأ الجنود الشباب الذين يتواجدون لأول مرة أمام العدو.

ولكن حان الوقت للتحديث عن وسائل الدفاع التي جمعت الداي ضد هجوم كان يهدد وجوده السياسي. كان للأغا دركيه إبراهيم⁽¹⁾، وهو رجل عاجز كليا. كان بإمكانه منذ شهرين أن يعلم، عبر الصحف التي كانت تصل إليه، أن سيدي فرج قد اختيرت لتكون منطقة هبوط قواتنا، ولكن لم نفهم جيدا أن الحق في قول كل شيء يمكن أن يصل في فرنسا إلى كشف مشاريع الحكومة للأعداء، وربما لم يكن ذلك مقلقا كثيرا، بالنسبة لهذه النقطة، إلا في شيء آخر: لم تكن ترى إلا حيلة حرب في هذا الإعلان (الاشهار). وقد انشأ الأغا في شرق الجزائر العاصمة، وفي برج العراش (البيت المربع) بالتحديد، مقره الرئيسي، ولكن لم يتخذ أي موقف دفاعي من أجل سيدي فرج. وعلى ما يبدو في الأخير أن مشروع الداي هو عدم معرضة نزول قواتنا في بعض

(1) كان إبراهيم وسيما ومثيرا في قوته الملحوظة، وهذه الأخيرة ما جعل حسين باشا يختاره ليكون دركيه الخاص (حارسه)، نزولا لطلبات ابنه.

المناطق المحيطة. كان يظن بأنه سيحصل على أفضل صفقة للجيش الفرنسي داخل الأراغبي التي كانت تحت رحمة ليران بحريتنا. في 13 جوان، لم يجمع الأغا إلا القليل من الأشخاص، ولم تكن حصّة محافظة قسنطينة، التي كنا نعتبرها مهمة جدا، إلا 500 فارس و 400 جندي من المشاة. لم يستطع باي التبري، المحارب الشجاع والزعيم الذي تقصه المهارة، إلا 1,000 فارس بدلا من 20,000 (عشرين ألف) التي وعد بها. ولم يرسل باي وهران أيضا إلا القليل من الفرسان أيضا، وذلك بقيادة ملازمه. لم يكن معظم جنود جيش الأغا إلا أشخاصا من عرب متبعة، وبعض من عشور "القبائل" من محافظة الجزائر. إبراهيم لم يجهز لا الغذاء والمؤونة لهذه الفرق، وكانت القبائل ترى أنها مرغمة على العودة إلى الديار بعد أن استهلكت كل ما كلن لديها. وبقيوم البعض يغادر البعض الآخر وكان هذه الحشود تتجدد باستمرار، دون أن يصبح عددها كبيرا.

أمل الحصول على الغنيمة والخوف الذي أثاره الأتراك بثا الرغبة في أخذ الأسلحة من العرب، لأنه وفي الأخير بقوا محرجين من نتائج الحرب التي طلبوا للمشاركة فيها. لقد كانوا مسلحين بالبنادق الطويلة بدون حرية وياتاغان (بالتركية تعني السكين الطويلة أو الخنجر المقوس الذي يعلق في الخصر) أو خناجر. كان معظمهم يركبون الخيول، ولكن يمكن القول أنه مع ذلك شكلوا هيئة حقيقية للفارس، لأنهم لم يحاولوا أبدا أن يقوموا بهذا، ولم يستخدموا الأسلحة البيضاء، إلا من أجل ذبح السجناء الذين يقعون بين

الجزء الأول

أيديهم. كان المشاة على الأحصنة يقومون بالحرب التي يقوم بها مشاةنا على
الأقدام. يبدو أن السيد دو بورمونت لم تكن لديه الا معلومات كاذبة (خاطئة)
حول طريقة قتال هؤلاء الناس، لأنه كان يتوقع أن يرى فرسانا مماثلة للمماليك.
قام بتجهيز الجيش من قبل، خلال مغادرة خليج بالماء، كما أعلمه أيضا بأن
العدو سبرهنا بالعدد الكبير من الجمال، وأنه سيغطي الواجهة الخاصة به
بآلاف الحيوانات، لا أعرف من استطاع أن يطلع السيد دو بورمونت عن
الاستعدادات المزعومة لحسين باشا، ولكن في الحقيقة لم نر من الابل الا ما كان
يحمل الامتعة، وأن جيش الفرسان العرب لم يقترب لأكثر من خمسين خطوة.
كان كل فارس يقترب واكضا أمام القناصة التي كانت تغطي خطوطنا، ليستند
طلقة من البندقية ويعود أدراجه، ليلتحق بسرعة بمجموعته ويتخفي بعيدا.
حافظ الفيلقان الأولان من الجيش على وضعيتهما التي كانا عليها في 14
جوان الى غاية 19 من نفس الشهر. كانت الدفعة الأولى في الأمام وتوجد على
يسارها الفرقة (السرية) المشكلة في الساحة. أما الدفعة (أو الفيلق) الثانية فقد
كانت فرقناها الأولى والثانية على يمينها، خلف القسم الأول قليلا، وجنا
الى جنب مع الجدول (النهر الصغير أو الغدير) الذي كان يصب في البحر،
على بعد نصف ميل من سيدي فرج. أما الدفعة أو القسم الثالث فقدت
كانت في الخط الثاني خلف يسار قسم برتازان. كانت كتية مكونة من الخط
29 على الشاطئ في أقصى اليسار. خلال أربعة أيام احتل أول القسمين هذه
الوضعيات، وكان عليها دعم معارك مستمرة للمحاربين (القناصة). الأعداء

الذين كانوا يحملون اسلحة أكثر منا، كانت لديهم ميزة خاصة في هذا النوع من القتال، لكنهم كانوا يخشون نيران المدفعية كثيرا، وخصوصا القذائف. كما استخدمنا بنجاح أيضا بنادق المتراس، لأن من يستخدمها ببراعة يمكن أن يؤذيهم كثيرا. صواريخ الكنغر لم يكن لديها أي تأثير.

كان قتال القناصة أو المحاربين أساسا على ضفاف الجداول، التي كان من المهم والمفيد ابقاء السيطرة عليها. ومن جهتنا، كان كل رجل يتجه وحيدا الى الماء يلقي حتفه بكل تأكيد: حيث يكون محاطا بحشود من العرب ورأسه مقطوع قبل أن يكون لدينا الوقت لانقاذه. قام داي الجزائر العاصمة بإنشاء مكتب لدفع رؤساء الفرنسيين نقدا في ضواحي باب عزون.

بينما تواصل انزال المعدات بنشاط، وإذا بالعمل يتعطل في 16 من جوان، وذلك بسبب العاصفة التي تسببت في هلع كبير في لحظات قليلة. كان البحر هائجا، وكانت العديد من السفن تواجه خطر امكانية قذفها الى الساحل، وقد هلك بعض القوارب. لو بقي الطقس على هذه الحال لتعرض نجاح الحملة الى خطر أكيد، لحسن الحظ لم يدم ذلك طويلا: فبعد ساعات قليلة عاد الصفاء للسماء وتلاشت المخاوف. أخذ مخيم سيدي فرج مظهر المدينة. أصبح لكل هيئة ولكل خدمة ادارية حيا خاصا بها.

كانت الخيام والأكواخ هي المباني التي تميز هذه المدينة المرحلة (أنشئت فجأة وبسرعة دول التحضير لذلك)، التي تقطعها طرق كبيرة في كل الاتجاهات، أين شاهدنا سير المدفعية والعديد من سيارات (عربات) الادارة.

الجزء الأول

ارتفعت مخازن ضخمة في كل الجوانب من أجل تلبية حاجيات الجيش والتجار الذين اتبعوه قدموا له حتى ما يزيد عن حاجته (حتى الأشياء غير الضرورية). ثم وضع أفران على الفورة وأصبح الخبز الطازج يقدم للمجنود بعد ثلاثة أيام من الهبوط. خشينا أن يكون هناك نقص في الماء، ولكن سرعا ما سويتنا الأمر. وبالإضافة إلى منابع الجداول والآبار التي كان عددها كبيرا جدا، ولم يعد الحصول على الماء يتطلب إلا بعض الخطوات للوصول إلى المياه الصالحة للشرب. كانت الحالة الصحية للجيش مرضية، كما كانت الحرارة معتدلة. وكانت الليالي بادرة وقد احتجنا إلى التدفئة، ولم ينقصنا الخشب من أجل إشعال النيران في المعسكر. كما كانت الأرض على بعد عدة أميال من سيدي فرج مغطاة بالأشجار المتشابهة والأبكة (نباتات تعيش في البيئات الشاطئية المالحة).

كان القائد العام يهدف إلى إنهاء إزالة المعدات قبل التقدم إلى الأمام. كان من الواجب أيضا إنشاء طريق: تم إنشاءها حتى مكان تواجد الجنرال بارتزان والجنرال لوفاردو، وكان من الضروري اكتمال إنشاء الطريق) تدريجيا حتى تقدم الجيش نحو الجزائر العاصمة.

لم يستطع العدو تفسير أسباب هبوطنا الواضح ونحوفنا من أن يعتقد بأنه يؤثر فينا. لقد تلقى بعض التعزيزات خصوصا فيما يخص المشاة، ومن الواضح أنه بنشأ بطاريات في وسط الموضع الذي يتواجد فيه، فقد وصل جزء من المليشيات التركية التي قادها الأغا إلى الجزائر العاصمة،

رئيس الجيش المسلم، وكان من الصعب تقدير قوتها (القوات العسكرية أو المليشيات) ولو بالتقريب، وذلك بسبب الفوضى التي سادت في هذه المجموعة. ومع ذلك، وإن كان من الضروري وضع رقم لعدد جنودها، فهو يفوق 20,000 رجل، وهو عدد الأعداء الذين سقاتلهم في المعركة التي ساذكرها فيما بعد.

كان الأغا ذو جهل طقولي، فبعد أن وزع الخراطيش (الرصاصات) على الجنود، وقال لأحد الأشخاص بأن هذا العدد الذي قدم من الرصاصات قليل، وهناك المزيد من أجل تدمير الجيش الفرنسي، وكان بحسب عدد الرجال المقتولين أو المجرّوحين بالمقارنة بعدد العيارات النارية للبندقية. في سهرة 18 من نفس الشهر، تسلل بعض العرب من الجنرال برتران سرا، وحذروه من الهجوم عليه في اليوم الموالي، وكان أحدهم أحمد بن كنعان (شنعان) من قبيلة بني جباد، وقال إن قبيلته في استعداد تام لمساندة الفرنسيين، وأضاف بأنه يسعى لضمان سلامة نسائه وأطفاله، ليكون بعد ذلك إلى جانبنا مع كل قبيلته. كان هذا الوعد دون أي تأثير، ولكن اشعار الهجوم كان صحيحا.

في فجر 19 من نفس الشهر هوجم خطنا الدفاعي بأكمله. توجهت جهود العدو إلى اليسار خصوصا، في النقطة التي يشغلها الخط 37. بدأ قتال الأتراك والتقدم بجرأة واندفاع، لتغلغل حتى في الخنادق الصغيرة التي رفعتها الفرق من أجل البقاء بعيدا عن نيران العدو، ولكنهم فقدوا

الكثير من الأشخاص فوراً. كان أحدهم مما لاحظ الجنود جسارته مصاباً وغير قادر على متابعة رفقاته في حركتهم إلى الخلف، وقام بقطع نفسه لكي لا يقع على قيد الحياة بين أيدينا.

كانت المعركة حادة جداً في الموقع الذي كانت فيه فرقة كلوي، وتمت تسوية الخط 28 على الفور، بعد أن أصيب قائدها العقيد موني. جاءت فرقة كولومب دارسين لنجدة فرقة كلوي، حيث دفعت الأفارقة قليلاً إلى الوراء بعيداً عن المقع الذي شغلوه سابقاً. قام مركبين كانا على بعد مسافة قصيرة من الساحل بأذية العدو بشكل كبير.

كان القتال في الوسط أقل تهوراً (خطورة)، حيث قامت فرقة مونك دوزي وفرقة دامريمونت بإبعاد العدو إلى الخلف بكل سهولة في الجداول التي كانت تتدفق أمامهم، والتي عبروها للقدوم إليها، ونفس الشيء حدث كذلك في الضفة اليسرى من الجدول.

العدو، الذي صد من جميع الجهات، انزاح قليلاً إلى الخلف بالمقارنة مع موقعه السابق، ويتواصل إطلاق النار من قبل المحاربين لساعات كثيرة دون انقطاع. لم يصدر جنرالنا أوامر للتقدم نحو الأمام، فالسيد دو بورمونت، وكما قلنا في السابق، لم يكن يريد أن يقوم بهذه الخطوة والقدوم إلى الجزائر العاصمة قبل أن يصطحب كل معدات المقر، التي لم يتم تنزيلها كلياً. ولم تكن الخيول المجموعة قد وصلت بعد. فالقافلة التي كانت تحملها لم تغادر بالما إلا بعد الجيش، ولا نعرف أي جديد عنها، ولهذا لم

يمكن ضروريا التقدم إلى الأمام، حيث لن تكون النتيجة إلا الابتعاد عن مخازننا، ولن تكون محاولة استغلال المكان ناجحة في الظروف التي نحن فيها. لكن كل حسابات الحذر كان تحتاج إلى أشياء أكثر الحاحاً. كانت نيران العدو موجهة إلينا بشكل جيد وقد أصابت الكثير من فرقنا، الأفارقة كانوا يرون أنه بعد صد هجومهم دخلنا في جمود واضح، وهذا ما ثبت فيهم الشجاعة، ولم يتوقفوا عن مضايقتنا بقوات جديدة بدلاً من القوات التي تعبنا من القتال. بدأ جنودنا في الدندنة من وقع الجمود الذي لحق بهم، وتراجع وضعياتهم وقد أصبحت كل لحظة أكثر فتكاً من الأخرى، وكانوا متخوفين من الشعور بفقدان الشجاعة التي يفرضها الانضباط. هذا ما فهمه الجنرالات فبعثوا إلى القائد العام طالبين منه القدوم إلى ساحة المعركة، ليحكم بنفسه على الحالة الحقيقية للأمور.

كان السيد دو بورمونت في توري شيكا، أين أنشأ مقره العام، والذي من خلاله يمكنه أن يراقب تحركات الجيش. إطلاق النار الذي كان يسمعه منذ الصباح، والذي زاد قليلاً عن المعتاد، لم يفاجئه، وعزز قوة المحاربين بمجموعات من القناصة الذين كان يرسلهم يوميا إلى القاعدة الأمامية. بمجرد تلقيه الإشعار الذي مرره له جنرات القسمين الأولين، صعد على الحصان وذهب إليهم، ورأى أن الأشياء أكثر جدية مما كان يعتقد، وبعد لحظة من التردد، أعطى الأوامر السير إلى العدو، من خلال تشكيل أفواج من الصفوف المغلقة.

كان من المفترض أن تبدأ الحركة من اليمين، لكن السيد لوفاردو تاجر في تنفيذ الأوامر التي أعطيت له، فكانت فرقة بوري دو مورفون من التي تحركت أولاً. لقد شغلت يمين القسم الأول. كما كانت فرق داموسوت ومونك دوزي من قسم لوفاردو على يمينه أيضاً. كما ذكرنا سابقاً، ولدت في آخر الصف قليلاً، أين كان من المفروض أن تكون في الحركة المعجوبة وكانت النتيجة أن كل المستويات، التي كان من المفترض أن تشكل من اليمين، تشكلت في الوسط.

لم يصد العدو أمام هجومنا خطة واحدة، واختفى في غسطة من ترك العدو بطارياته كما في يوم 14 جوان، ودخلنا دون وجود أي مقاومة بما أننا هاجمنا من الوسط، عكس ما كان يصبو إليه السيد بوزمونت، قد احتضى الأفارقة في كل الاتجاهات. ولم التحق السيد لوفاردو بالحركة بسرعة التي ظلت منه، لكان يسار العدو مطلقاً في الوسط، الذي هوجم من طرف المستويات اللاحقة، ليدفع بعد ذلك إلى اليمين. وكان بإمكان مثل هذه الحركة أن تدفع المسلمين إلى البحر، وهذه الوضعية كان بإمكاننا اقتراح مجزأة كثيرة جداً.

اتبعنا الحارين إلى غاية سطاوالي. أين أنشأوا المخيم الذي وجدناه مهجوراً. كانت الخيام الخاصة بالطائفة رابعة خامسة تلك الخاصة بالأخا. كان طولها يفوق 6 أقدام، وكانت مقسمة إلى عدة أجزاء، بحيث كان الجزء الداخلي مزينا بأجل السامر والسجادة. لم يكن للعدو الوقت لازالة أي

شيء، وقد وجد مبلغاً مالياً معتبراً في إحدى خيمة الضابط المكلف بدفع أجور القليشيات التركية.

كانت نتيجة معركة سطاوالي: ثلاثة إلى أربعة آلاف أفرقي مقتول أو مجروح (مصاب)، خمسة مدافع وأربعة وأخذ أربعة قذائف الحاون، والكثير من الماشية بما يعادل سبعين أو ثمانين إبلًا تفاسمتها الأفواج من أجل حمل الأمتعة. كان لدينا القليل فقط من السجادة ومعظمهم كان مصاباً. ومن جهتنا، لم نخسر إلا ستائة رجل بما فيهم القتل والجرحى.

قام العدو بعناية كبيرة برفع جرحاه وحتى القتل. كانوا يربطونهم من الأرجل ويحرقونهم بأحصتهم بسرعة كبيرة، خارج مساحة المعركة. كما تواجد في الجيش أيضاً العديد من الخث التي خلقتها المعركة. البشرة السوداء والمحرقة للعرب، والتي أزيلت على شكل شرائط طويلة، جعلتنا نرى تحت الجلد بشرة بيضاء ودامية (ملينة بالدم)، حيث بدت البشرة الأولى كمحردة رداء يغطي الثانية.

استقرت الدفعتين (القسمين) المتصيرتين في سطاوالي، في المخيم الذي طردوا منه العدو، على بعد ميل من وضعهم السابق. عاد جيش أخا إلى الجزائر العاصمة مليناً بالذعر. وصل بعض المشفيين في اليوم التالي، ليؤكدوا لنا بأن أخا تقدمنا من الحارين، سيقتل الخوف يرافقتنا ونحن داخلين إلى المدينة دون أي مقاومة. يمكن أن تجري الأمور كما في الماضي، ولكن بوجود الشكوك، كان من المقبول أن نعيد عن المسار الذي اعتقلناه في

البداية، من أجل عدم تقديم فرصة لمصادقة سعيدة لتكون نجاحاً مضموناً.
بعد هزيمة جيش ابراهيم الأغا، وفقدانه الكامل للزعامة، لم يستطع أن
يحرك شيئاً أمام الخط السيء الذي يرافقه، لم يتجرأ على الوقوف أمام نسيه
(والد زوجته)، ففر واختفى في إحدى منازل في الريف، مثل الطفل المحجول
الذي يخشى التوبيخ على أعماله، وخلال عدة أيام اختفى عن الأنظار دون أن
يعرف عنه شيء. استدعى الداي، الذي لا يجرأ أحد على إعطائه التعليمات،
حمدان بن عثمان خوجة الذي يثق فيه كل الثقة، وقد ساعده على معرفة الحقيقة
والسلوك المخجل لزوج ابنته. لم يرد حسين الذي كان لطيفاً ويجب الخبر أن
يدين هذا المسكين، وقام بتكليف حمدان بتشجيعه على تولي قيادة الجيش من
جديد. ولكن كان من الصعب كثيراً أن يقوم هذا المغاربي من اخراج الدولة
من الغيوبة التي تغرق فيها، وكان عليه جمع بعض الجنود الذين تراجعت
روحهم المعنوية أكثر منه.

الاهتمام الأول للسيد بورمونت، بعد النصر الذي حقق في سطاوالي،
كان مواصلة الطريق الذي بدأه، وانتهى هذا العمل بسرعة. تم تطويق معسكر
سيدي فرج في 24 جوان. قلنا بأنه كان يتألف من خط (طريق) محصن يمتد
من مكلا إلى آخر (مكان رسو السفن)، وكان يفصل الصخرة الشاطئية للقارة.
كان هذا المكان الخاص بالسلاح يتكون من 25 قطعة مدفعية مركبة على العربات
البحرية، وكان هذا النوع من السلاح رائعا لتحدي كل قوات مجلس الوصاية
في وقت الحاجة إلى ذلك. وعلى الطريق تم تشكيل حصون مسلحة بواسطة

قطع الأسلحة التي تم انتزاعها من العدو، من مسافة إلى أخرى من أجل ضمان
الاتصالات فيما بينها.
لم يكن للقسم الثالث (الدفعة أو الفيلق الثالث) أي دور في قضية سطاوالي، ما
عدا الفرقة الأولى التابعة له، والتي كانت تحمي (تقيم) خارج التطويق (الحصن)
الخاص بالمعسكر، والتي كانت تسير تحت أجنحة الأقسام التي شاركت في هذه
العملية (القسم الأول والثاني من الجيش)، بما فيها فوج السير الثاني على اليمين،
والخط 35 على اليسار. شغل هاذان الفوجان بعد هذه المعركة أماكن تحتل
عنها فرقنا العسكرية بعد حركتها الهجومية. كلف الفوج الثاني للسير أساساً
بمراقبة مخرج وادي مزفران. كنا نخشى أن شهد وصول فرق عسكرية افترشنا
أن يرسلها باي وهران، والتي اعتقدت نقاط المراقبة البحرية أنها رأيتها من بعيد.
بقيت القسم الأول والثاني من الجيش في سطاوالي حتى 24 جوان. لم تكن
هذه المنطقة مدينة ولا قرية أيضاً، وإنما هو مجرد موقع استغله العرب للتخيم.
يحتوي هذا الموقع على أماكن ظل وبعض البنائين التي تعطي مياه معتدلة جداً
فيها كانت الأرض مستوية وخصبة ومزروعة.

لم تكن قواتنا قلقة إلا بعض الشيء خلال إقامتها بسطاوالي، وبالرغم من
كون هذا المكان شبيهاً بـ "كابو" (مدينة قديمة في إيطاليا الجنوبية)، إلا أن
ضعف جنبر الأتتا ولد (نتج عنه) عدم الانضباط. كانت طريق سيدي فرج
مقطعة يومياً بالجنود الذين يذهبون بمفردهم إلى هذا المخيم المحصن، الذي
كان يدعى المدينة⁽¹⁾، والذي يصبح في معظم الأحيان في حالة ثيالة تامة.

(1) ترك بعض ضباط الأركان أن يسموا هذا المخيم بورمونت، لكن الجيش
لم تلت هذه التسمية التي انتشرت من أجل الانطواء.

(ملبثا بالفوضى) كان على العميد قمع هذه الفوضى والاضطرابات، بما أن قادة الفرق لم يستطيعوا منعها، ويمكن أن تكون لها عواقب وخيمة. ولكن سرعان ما وجد الجيش نفسه في وضع أعلم فيه الجندي أتباعه بعدم التسكع. بدا أن العرب، الذين كانوا مذهولين من أحداث يوم 19، أنهم تخلوا لبضعة أيام عن هذا الجزء، وقد توصل مترجنا السيد أبياس إلى الدخول في محادثات معهم. ذهب إلى أحد دواويرهم (القرية)، وعاد سالما معاق يحمل وعودا بالاستسلام والخضوع، وفي الحقيقة مازال تحقيق هذه الوعود بعيدا. رافق كاتب الممون العام السيد أبياس في هذه الرحلة التي لا تخلو من الخطر. واشترى هاذان العميلان بعض الثيران للعرب الذين يتوجهون اليهم، وتم الاتفاق على أخذ التدابير من أجل مؤن معتبرة جدا. تأكد العرب من أن هذه الحرب أنهكتهم، وأنهم في استعداد تام لتزويد أسواقنا، شريطة أن نعددهم (نضمن لهم) بالعدالة والحماية. يجب أن نفكر بأن السيد أبياس ومرافقه لم يحملا أي شيء من أجل جعلهم يفهمون أنهم سيجدون كل ما يريدونه لدى الفرنسيين.

كان السيد بورمونت راضيا عن النتيجة (المقابل) من هذا التفاوض الصغير، وسارع للإعلان للجيش بأنهم لا يوجد أعداء في مجلس الوصاية (المنطقة) غير الأتراك. وأمر الجنود باستخدام كل الطرق الكبيرة وخصوصا الاستقامة الدقيقة في كل العلاقات مع الأهالي (السكان الأصليين) الذين يتدفعون (يلجأون) إلينا كمحررين لهم. جاء الهجوم العام صبيحة 24 بعد

إنكار رسمي لأوامر السيد بورمونت. كانت الدفعتين الأولى والثانية من الجيش تقيم بسطاوالي، وانتشرت بعض القوات في الطريق التي أنشأت مؤخرا، بين هذه المنطقة (النقطة) والمكان الأول الذي شغلته فرقة الدفعة الثالثة. أما الفرقتين المتبقيتين من دفعة أيسكار فقد بقيت في سيدي فرج. بعد استئناف الأغا إبراهيم، فخورا بالمحيطين به أكثر من نفسه، قيادة الجيش المسلم وقام بجمع بعض العرب إلى صفوفه، وفي صبيحة 24 جوان قام بمهاجمة خطوطنا. ذهب الجنرال العام للجيش الفرنسيين والذي كان مقره دائما بسيدي فرج، إلى سطاوالي باكرا، واتخذ على الفور قرار الهجوم. تحركت الدفعة الأولى (القسم الأول) وفرقة دامريمونت من الدفعة الثانية، إلى جانب سريين (سريتين من الخيالة) من "صيادي المريقا".

لم يتوقف العدو للحظة، وراوغ من أجل عبور منطقة السهل التواجدة قبل سطاوالي، ولم يتوقف إلا على مرتفعات التي يصل علوها إلى ميل واحد، والتي تربط جبل (قمة) بوزريعة مع تلال الجزائر العاصمة. تم مسح هذه المنطقة التي تعلو هضبة واسعة جدا، ليستقر الجيش على منحدرات بوزريعة، على بعد ميل من الجزائر العاصمة. توقفنا عن متابعتهم، وتوقفت قواتنا المتصرة في نهاية الهضبة. كان هناك واد واسع بعض الشيء، يتدفق منه جدول صغير، ليفصلنا منطقة تواجدنا عن المنطقة التي يسيطر عليها العدو كليا.

في اللحظة التي خرجت فيه قواتنا إلى الأمام، كانت قوات كبيرة أخرى من العرب تتركز على بعد مسافة قليلة مناء على بعض الرى (جمع ديرة أي المكان المرتفع من الأرض) في أقصى اليسار من خط العدو، وهي نازلة في السهل منبهة إلى معسكرنا الذي اعتقدوا أنه كان مهجورا، وتوقفوا بعد رؤية فرق الدفعة الثانية التي بقيت هناك، وفي طريق العودة، انقضوا على الجنود المتواجدين في الجزء الخلفي من الدفعة الأولى، وقتلوا بعض الرجال العزل.

حدثت معركة يوم 24 اسم معركة سيدي خالف، وهو اسم قرية موجودة في المنطقة التي تحدثنا عنها، خسرتنا مجموعة صغيرة من الجنود فقط. لم يكن لدى العدو مدفعية، ولم يكن لدينا إلا أربعة قطع في الطريق. أصيب أحد أبناء السيد بورمونت بجروح في هذه العملية. هذا الشاب كان متميزا بصفاته الرائعة. كل الجيش يشيد بالطريقة النبيلة والمؤثرة التي تحدث فيها السيد بورمونت في تقرير رسمي عن هذه الحادثة وعن موت ابنه الذي توفي متأثرا بجروحه بعد عدة أيام من إصابته.

المكان الذي توقفت فيه الفرق التي قاتلت في سيدي خالف لم يكن ملائما أبدا. فقد كان تحت سيطرة العدو. لا تزال نفس الأسباب التي أوقفنا بعد انتصار يوم 19 موجودة، ولم يكن علينا إلا البقاء في هذا المكان لبضعة أيام أخرى، لأنه بتقدمنا بعيدا سيجدوننا دون أي مدفعية ثقيلة، تحت تهديد مدافع الجزائر العاصمة، أو على الأقل تحت التأثير الذي يمكن للأتراك رفعه في هذه المدينة. لحسن الحظ، لاحظنا يوم معركة سيدي خالف القافلة التي طال انتظارها. في

اليوم الموالي، 25 جوان، رست القافلة في الميناء وبدأ المهبط على الفور.

امتدت الطريق التي أنشأها فرقة الهندسة من سطاوالي إلى المكان الجديد الذي تواجد فيه والذي أطلق عليه اسم "فونتان شابل" بمعنى ينبوع المياه، بسبب ينبوع والمرايط سيدي عبد الرحمان بونيجا. تلقت الدفعة الثالثة التي لم تحارب بعد أوامرا بالتقدم إلى الخط الأول. كان من العدل إعطاء الدوق أيسكار، الذي كان يقودها والذي لم يسبق له أن شارك في حرب،⁽¹⁾ فرصة من أجل إبراز قدراته ولتحليل أعدائه. في اليوم 25 قبل شروق الشمس، تحركت فرقة بارثي دو سوفيته، ووجدت في عين المكان بحلول الساعة الثامنة صباحا، ولم تصل فرقة مورال إلا بعد الساعة الحادية عشر مساء. أما فرقة مونتليفول فقد استقرت على الطريق ما بين سطاوالي وموقعنا الجديد. تم تعويضها بفرقة مونك دوزي. من الدفعة الثانية سيدي فرج. عادت فرقة دامريمون إلى سطاوالي، وقد هوجمت في الطريق من طرف فرقة من الفرسان العرب، والتي تخلصت منها (تغلبت عليها) بسهولة. أنشأنا حصونا جديدة على خط التواصل الخاص بنا، وكان مجموعها 8 حصون انطلاقا من سيدي فرج إلى غاية الجزائر العاصمة. تم تأسيس معسكر آخر بين الأول والثاني بمسافات متباعدة عن بعضها البعض. الحصن الذي أنشأ في سطاوالي كان مرتبطا بمعسكر محصن وهو محل محل القلعة.

تحت هذه العملية التي ذكرناها بوجود بعض الاضطرابات والفوضى، أطلق الفوجان اللذان تقابلا في الظلام النار على بعضهما البعض، وقتل الكثير من الجنود.

(1) كان في الأخير رجلا مشرفا ومواظبا وسطيحا، وكان يسمى ليول ما يحمله ناضجه من صفات نبيلة شخصية.

ونتيجة لكل هذه الأحداث، تواجدت الدفعة الثالثة على يسار الأولى في قمة الضفة اليمنى من وادي سيدي عبد الرحمن بونيغا. كانت الترتيبات التي اتخذت من أجل الحفاظ على هذه الوضعية حتى وصول عتاد المقر، ج. قاسية (جائرة)، خصوصا في الجهة اليسرى. ومن أجل إبقاء البرابرة بعيدا عنا، أرسلنا المحاربين الذين قاموا بعبور الوادي والاستقرار على الجانب الآخر. وبالتالي على الجانب أسفل المياه. كان من الملائم أكثر استقرار هؤلاء المحاربين في الجزء العلوي للمنحدر الذي نشغله (نحتله)، ونقل معظم الفرق إلى وسط الهضبة، بعيدا عن وقع مدافع العدو: بهذه الطريقة يكون العدو مرغما على الكشف عن محاربه وبذلك سيكون محاربونا في وضع أكثر ملاءمة.

بعد النجاح السيء لمعركة سيدي خالف، اقتنع الداي بفشل وعجز نبي (زوج ابنته)، وخلعه من منصبه ليحل مكانه باي التيطري مصطفى بومرزاق. هذا الجنرال الجديد كان أكثر ذكاء من إبراهيم آغا، ولكنه لم يكن أكثر كفاءة في الحرب. كان الداي يسعى أيضا إلى إيقاظ التعصب الديني في شعبه. وأتى الداي بشيخ الاسلام وأعطاه سيفاً، ثم كلفه بدعوة كل المؤمنين من أجل الدفاع عن الدين. لكن هذا المفتي الموقر، الذي كان مخرجاً كثيراً من السلاح الذي وضع بين يديه، اكتفى بالشكليات من خلال دعوة بعض الشخصيات المهمة للمجيء إليه من أجل إيجاد وسائل للدفاع عن الدين، ولكن لا أحد تقريباً استجاب لندائه (دعوته).

بقيت الدفعة الأولى والثالثة في موقع سيدي عبد الرحمن بونيغا أيام 25

و26 و27 و28 جوان. كانت هذه الأيام الأربعة عبارة عن معركة مستمرة للمحاربين الذين بدأوا القتال من مطلع الشمس إلى مغربها. أما الفرق التي وزعتها على شكل محاربين فيتم تبديلها كل ثلاث أو أربع ساعات. وبما أنها تنتمي إلى الأفواج المختلفة للدفعة، وفي نفس القروح نجد كتائب وكان الضباط السامون في حركات وحدة العمليات المناسبة، يعتمدون مختلفاً، على بعضهم البعض كثيراً باهتمام عام. لم يكن الانضباط قائماً بين الضباط إلا في اليوم الأخير.

تأثر لواء فرقة بارتني دو سوفي من ضربات العدو. كان الأفارقة يخبئون في الغابات الصغيرة لسيدي عبد الرحمن بونيغا، الموجودة أمامه، وبدأوا يلقونهم (يزعجونهم) بنيران الفرسان، عندما طردتهم الملازم العقيد باراغوياني ديلي من المشاة 2 من هذا الموقع، الذي احتلته فرقنا بعد ذلك.

كان الأفارقة في كل معارك المحاربين متميزين بوضعتهم المهيمنة وبأرضية ممتلئة عن آخرها (بالجند)، ومع ذلك فقد قتل منهم الكثير. كان لدى الأتراك عرف وضع (زرع) علم أمام المنطقة التي يجب أن يشغلها محاربوه. ويكون هذا العلم السبب في موت العديد من الشجعان الذين يحاولون تزعجه، ومن بينهم الضابط الشاب من المشاة 9 والذي يحمل اسم ليونيد دو موروغ، الذي كان معروفاً ببسالته وشجاعته.

في 27 من جوان، أصيب بورن قائد الكتيبة ومساعد معسكر الدوق إيسكار، في كتفه بغيار ناري أفقده حياته بعد ساعات قليلة من الإصابة. دفع الحماس

بمجموعتين من النخبة من الخط 35 إلى الصعود القمة في المنطقة العليا التي يشغلها العدو وهناك قتلوا وقضوا على كل شيء وجد في طريقها، لكنها قدلت الكثير من الجنود ولم تستطع العودة بالجرحى الذين أخذتهم الأفاقة على الفور. وفي نفس اليوم، وقع وقد من العدو بشكل غير متوقع على كتيبة المشاة 4، التي تنتمي إلى فوج المشاة الأول، وقطع رأس 150 رجلاً. هذه الكتيبة التي تعتبر مدنية بسبب إهمال قائدها، كانت مشغولة بتنظيف أسلحتها وقد كانت بنادقها كلها مفككة، وبهذا لم يبد جنودها أية مقاومة. حاولت الفرق المجاورة لهذه الكتيبة انقاذ الجنود وتمكنت من طرد العدو بسهولة.

أنشأ السيد بولونت في 24 جوان مقره العام في سطاوالي. وقام في 29 من نفس الشهر بزيارة الخط الأول، ووجد على طول الطريق العديد من الجثث بدون رأس، ممن كانوا ضحايا تهور الجنود وشراسة الأعداء. أعطى السيد بورمونت أوامر لتعجيل بناء الحصون، وتنظيم خدمة الفرق التي من المفروض أن تشكل الحامية (الموقع العسكري)، بطريقة يتم استبدالها كل ستة أيام. كما اتخذ ترتيبات من أجل ضمان وصول قوافل الغذاء والمؤونة والتي يجب أن تستغل كل يوم من سيدي فرج إلى سطاوالي، ومن هذه الأخيرة إلى المواقع التي تتواجد فيها مل من الدفعة الأولى والدفعة الثالثة. وقام في 26 من نفس الشهر بالكتابة إلى القائد العام للدفعة العسكرية الثامنة 8 بمرسيليا من أجل الشروع في إرسال 950 رجلاً في أقرب الأجل، ممن يتمنون إلى مختلف الأنواع العسكرية لأفريقيا، والذين سيجمعون في المستودع (المخزن) العام

في تولون. كما كانت أيضاً مسألة إرسال الفرقة الأولى من الدفعة الاحتياطية التي اجتمعت في سيدي، تحت أوامر الجنرال لانتور فواساك، لكن هذا الترتيب (الاجراء) لم يتم بعد ذلك. عمل القائد العام مع الأميرال دوبيري على النزاع 1400 جندي من البحرية، عن التحقوا بكتيبة الخط 48، والتي كانت موجهة من أجل احتلال (الاستحواذ على) سيدي فرج، وذلك تحت قيادة السيد العقيد ليريدون. وفر هذا الاجراء ثلاثة كتائب من فرقة مولك دوزي. وأخيراً انتهى النزاع المعدات، ولا شيء يقف أمام استغلال المكان، الذي كنا على بعد خمسة أرباع الميل منه، وقد تقرر مهاجمة مواقع الأعداء في 28 جوان إلى اليوم للوالي 29.

كانت هذه المواقع متمركزة على قمة بوزريعة، الواقعة في الجنوب الغربي للجزائر العاصمة، والتي ترتفع ب 400 متر عن سطح البحر. متحدرات بوزريعة وعرة، لاسيما في الشمال، وتفصله عن المدينة مجموعة من الوديان العميقة والوعرة. وترتبط هذه الوديان بثلال الجزائر العاصمة، التي تمتد إلى الشرق حتى أرانش (الحراش)، وهو عبارة عن نهر صغير يصب في البحر، على بعد ميلين من الجزائر العاصمة. تفصل هذه الثلال عن البحر سهل عرضه المتوسط 600 متر: يمر عبرها مجموعة من الوديان الكبيرة. على المنحبة التي تطلها لجمعيات المياه، توجد طريق قديمة رومانية جد عملية في ضواحي الجزائر العاصمة، والتي تخفي في سهل سطاوالي. هذا الطريق يمر بالقرب من حصن الأميراطور، الذي بني في الجنوب الشرقي للمدينة، على قمم المرتفعات،

هذا الحصن كان يهيمن على الجزائر العاصمة، ويطل على كل الخليج، لكن كان نفسه تحت سيطرة امتدادات منحدرات جبل بوزريعة.

كانت كل هذا الأرض التي وصفناها مليئة بالحدائق والبساتين وبعدها من المنازل الريفية، والتي كان الكثير منها رائع الجمال، تقطعها حواجز شبكة من الشجيرات. وينضم إلى الصعوبات الطبيعية للتربة، الدخول جد الصعب إلى المنطقة: كان المنظر بجمال مذهل وبخصوصية ملحوظة.

في مساء اليوم 28، اجتمع كل الجيش الفرنسي في موقع سيدي عبد الرحمن بو نغيا، باستثناء فرقتي مونتيفول ومونك دوزي، المسؤولة عن حراسة المعسكرات والمواقف الوسيطة، مع ترك ثلاثة فرق هندسة في سيدي فرج وسطاوي؛ نقلنا إلى هذا المعسكر الأخير جزءا من حظائر المشاة والهندسة.

في فجر يوم 29 جوان، انتقل الجيش على شكل أعمدة متسلسلة (صفوف)، وكان كل عمود أو صف يتشكل من فوج، أما الدفعات فقد كانت في صفها في المعركة، أي الثانية في الوسط والأولى على اليمين والثالثة على اليسار، وكانت المدفعية تمشي في الفراغات ما بين الصفوف، وقد ارتبطت فرقة هندسة مع كل دفعة (أو قسم)، من أجل فتح الطريق في وقت الحاجة لذلك.

عبر الجيش الوادي الذي كان يفصلنا عن العدو في صمت، من خلال صعوده إلى المرتفعات المعاكسة، ليتفرض بعد ذلك على البرابرة الذين تقاضوا بهذا الهجوم المفاجئ، ولم يكن لديهم الوقت لاستيعاب ذلك وغرأوا بسرعة. ومع ذلك، جعلهم الدرع الذي كانوا عليه يفتقون بعيدا قليلا، وبدأوا في إطلاق

النار قوي جدا على جنود الدفعة 3، واسكات نيران مدفعيتنا كان قريبا: حصر الأتراك أسلحتهم كما جرت العادة، وانسحبوا تحت وقع نيران مدافع المكان. شغلت الدفعة 3 منحدرات جبل أو مرتفع بوزريعة المقابلة للمدينة، وعبرت العديد من الوديان التي دافعت عنها أسوأ الفرق العسكرية الأوروبية يتميز ضد أحسن الفرق. ما كان على دفعة بارتزان على اليمين إلا الكفاح ضد الصعوبات الطبيعية للأرض: ولكنها كانت تضغط على اليسار، مرورا على لاجزء الخلفي للدفعة 2 وصولا إلى منحدرات (سفوح) بوزريعة، بالتتابع الدفعة 3. انقل السيد بومونت شخصيا إلى قمة هذا الجبل، إلى موقف فيجي: شغل هذا الموقع الخط 14 من دفعة أو قسم بارتزان، والتي أصبحت مع الحركة في الجزء الخلفي للدفعة إسكار.

دفعة لوفاردو كان عليها عبور الأرض الأقل صعوبة، وسلكت الطريق الروماني الذي يوجد، كما قلنا، في تجمعات المياه لهذه المنطقة المتعددة الوديان، والتي مرت عبرها الدفعات الأخرى. لكن هذه المجموعة كانت تسمى بطء: وقف الأتراك الذين كانوا متواجدين في الجهة المقابلة بسبب هذا البطء، في وجه الجناح الأيمن للدفعة 3 التي كانت على يسار الثانية. وكان السيد إسكار مرغما على إرسال محاربين من دفعة الخاصة ضد هؤلاء، والدفاع عن دفعة عن زميله. بعد فترة وجيزة أعيد طلب هؤلاء المحاربين لأن فرقة برقي التي يتعمقون إليها، كانت تقوم بعملية على اليسار من أجل الاقتراب من فرقة أورال التي فرقها الأرض الوعرة. قام الجنرال لوفاردو

بعملية تراجع لم يستطع أحد أن يفسرها في تلك اللحظة، ولكن كان ذلك نتيجة سوء فهم، حيث اعتقد أنه لم يكن في الطريق الصحيح. قام القائد العام، الذي يخطط شيئا في هذه العملية الرجعية، بإرسال أمرا إلى السيد لوفاردو باستئناف الهجوم، لكن كان من الصعب إيجاد في الوديان التي تاهت فيها دفعته، بعد مغادرته الطريق أو المسلك الروماني.

ومع ذلك، فإن القائد العام قال بأنه لا لزوم لتواجد دفعتين في نفس النقطة، أمر الأولى بالبقاء على منحدرات بوزريعة، أما الثالثة فأمرها بالبقاء على يمين المسلك الروماني. عادت الدفعة الثالثة إلى الطريق الذي سلكه فرقة بارتشي، ومن أجل اختصار الطريق قررت قطع الوديان الأكثر عمقا والأصعب في المنطقة.

لكنها نجحت بعد تعب شديد، في الوصول إلى المنطقة المعنية، ووقفت أما الفنتصالية الهولندية والاسبانية. كانت هذه الفرقة غير منظمة تماما لوضع اللحظات، واختلت المجموعات والكتائب والأفواج، وتطلب نسوية هذه الفوضى ساعات كثيرة.

وأخيرا، تم إيجاد الدفعة 2 التي كانت تدعمها الفوضى أيضا، واستقرت على يسار المسلك الروماني، بين الدفعة الأولى والثالثة.

بعد انقضاء جزء كبير من النهار، عاد الأتراك إلى المكان تحت تهديد البنادق، أما العرب فقد نزلوا إلى السهل المجاور للبحر. كان تطويق الجزائر العاصمة هدفا بعيدا: احتللتنا المرتفعات، لكن سواحل الشاطئ بقيت حرة.

والأتراك يصلون بسهولة إلى سهل متيجة.

القوضى والأتراك الذي ساء في جميع عمليات وتحركات الجيش الفرنسي في يوم 29، لم يكرم كثيرا الرجل الذي كلف بنسوية التفاصيل، أي قائد الأركان العام: لو تعاملنا مع رجل أكثر كفاءة من مصطفى بومرزاق لكنت العواقب وخيمة بدون أدنى شك. يجب أن يتخذ السيد بومرست لأنه كان عليه توفير القيادة لفائدة أركانه⁽¹⁾. يمكن أن نقول أنه أظهر الكثير من الضعف تجاه الملازمين العامين، الذين تناسوا واجباته حتى أصبحوا منها بالعصيان الرسمي للأوامر التي أعطيت لهم. فرض الطاعة كان من بين مميزات الجنرال. وقد أثبت الأميراطور نابليون ذلك، بقيامه بأشياء كثيرة مع رجال فاشلين فشلا مدهلا.

بقيت فرقة بوري دو مورفون في الوضعية القديمة، من أجل الحفاظ على حظيرة مستشفى الميدان، فقد هاجمها العرب لكنهم لم ينجحوا في ذلك. في هذا الالتزام، تمكن جندي من الخط 3 ويدعى سوفادو، وبعد معجزات حققها بشجاعته، من انتزاع نقيه السيد غالوا من العرب بعد أصابته الخطرة. لا أعرف إن كان هذا الشجاع قد تحصل على مكافأة على سلوكه النبيل، من بين كل إجراءات الحرب، تعتبر تلك التي تهدف إلى إنقاذ واحد منا أكثر جدارة، ولعل هذا العمل واللقب يضع الرومان تاجا منديا يلعبو كل الأشياء الأخرى. فقدنا قلة قليلة من الأشخاص في يوم 29. سقطت من قوتنا خمس قطع من المدفع، كما تم إطلاق سراح بعض السجناء. واجهت المنازل الريفية التي

(1) كل الجنرال نيسبريز رجلا متقنا ومتعلما في العديد من مجالات العلوم الدقيقة والطبيعية، كما كان يتميز بموهبة ككاتب، لكنه كان قائد أركان سيء للغاية.

وجدناها مهجورة النهب والتدمير الشامل، كما عانت تلك المنازل الخاصة بالقناصل الأوروبيين، والتي لا يعرف الجنود اجتاحتها من نفس المصير. وجد بعض الجنود مختبئين داخل المنازل ودخل التحوطات، وتم قتلهم وقتل امرأتين أو ثلاث نساء عن غير قصد، كما تعرض البعض منهن للاغتصاب أيضا، ولكن هذا ما كان من التوابع المحزنة لأي حرب، حتى أكثر هذه الحروب عدلا في نفس اليوم الذي وصلنا فيها إلى الجزائر العاصمة، عرف القائد العام

والجنرال فالازي نهج قصر الامبراطور، والتي كان يجب إلانها قبل النظر والتفكير في مهاجمة قوة هذه المنطقة. تعود تسمية هذا القصر الذي عرفنا وضعه إلى الامبراطور شارل كينت، والذي أنشأ خلال رحلته ضد الجزائر مقره العام في هذا المكان الذي بني فيه. كان هذا الخيار نفسه الذي قام به شارل كينت من هذا المكان، وهو ما فتح عيون الأتراك على أهميته. كانت هذه النقطة (المنطقة) معروفة باسم سيدي يعقوب: والأتراك يسمونها الآن سلطان كالاسي.

كان حصن الامبراطور أو سلطان كالاسي على بعد 800 متر من المدينة: هو عبارة عن مربع محدد من الجنوب إلى الشمال قليلا، وهو عبارة عن مبنى كبير من التحصينات الخاصة بالجزائر العاصمة، يحذران محاطة بتبوءات تشكل الحصن. أما الجانب الجنوبي فيحتوي على جدار مزدوج، وإلى جانب ذلك، شبر إلى: في المنطقة الداخلية يوجد برج كبير جدا ومستدير، وهكذا كان يبدو حصن الامبراطور.

تشكل الجزائر العاصمة التي بنيت على مدرج على منحدر من هضبة مرتفعة مثلثا يرتكز أحد جوانبه على البحر. المدينة محاطة بالبحر في القديم، وبمجموعة

من الأسوار والأبراج، يشكل هتدي غير منتظم، وبناء بارتفاع ب 25 قدما في المدى المتوسط، وعرض يتراوح ما بين 7 و 8، ويسبق هذا الجدار وجود خندق، في قمة المثلث توجد القلعة أو القصبة، والتي تشكل مثلثا أيضا والذي يعتبر جانبيين منه امتدادا للجدار المزدوج، أما الجانب الثالث فيفصل القصبة عن المدينة. كانت للجزائر العاصمة ثلاثة أبواب تقود إلى الريف: في الجنوب يوجد باب جديد في أعلى المدينة، وباب عزون في الجزء السفلي للمدينة، أما في الشمال فتجد باب الواد، ونفس الشيء في الجزء السفلي. ومن باب جديد إلى باب عزون، يسبق السور أو الحصن جدار صغير، كما يوجد مثل هذا الجدار في ضواحي باب الواد.

على حافة البحر، وعلى بعد 900 متر من باب عزون، يتواجد الحصن الذي يحمل نفس الاسم. يغطي الحصن الحديد باب الواد وعلى بعد مئتي إلى 300 متر من هذا الأخير يوجد حصن أربعة وعشرين ساعة، وعلى بعد 1500 متر من ذلك نجد حصن الانجليز. كل هذه الحصون كانت مبنية بالمطاطع: كان البرابرة يعتقدون بأنه مكان أو موقف مريع، عندما كانوا يكتسبون البنادق بدون الخيال وبشكل عشوائي.

الحوى جانب في الجزائر العاصمة كان الجانب الغربي من البحر. الناحية الرئيسية التي كانت المحمي المدخل ومناطق المياه كانت مبنية على هذه الصخرة التي تحدثنا عنها في الكتاب الأول، والذي جعله خير الدين ملتصقا بالقلعة بواسطة رصيف يعتبر عملا قديما جدا. يتم دائما تحسين التحصينات البحرية منذ ذلك الحين، وهي عبارة عن مائي من الخبير ذات قوة وصلابة كبيرة.

الجزء الأول

ومعقدة في تفاصيلها. وفي بعض المناطق يصل نجد حتى أربعة صفوف من البطاريات الواحدة فوق الأخرى. ولكن لنعد إلى باقي سردنا التاريخي.

قامت بطارية الحصار من ستة مدافع من 16 بتتبع الجيش في هجومة يوم 29، من أجل محاربة بطاريات الموقف أو المكان الذي يمكن للعدو أن يبنه على حواف الأخاديد. ولكن رأينا أن بصيرته لم تمتد إلى هذا الحد. بدأ وصول بقية مدفعية الحصار بشكل متتالي، وموقع الحفيرة تم تحديده خلف القنصلية الهولندية.

أعلن عن نتائج الاعتراف القانوني (الاستطلاع) ابتداء من 29 من طرف الجنرال فاليزي، وهو يعلن عن امكانية انطلاقنا المباشر في أعمال الخندق بالقرب من حصن الامبراطور، وهو ما نطلق في اليوم الموالي، أي في 30 جوان على الساعة الثالثة صباحاً، لكن الحرارة المرتفعة والشعب الشديد للقوات العسكرية حال دون اكمال ذلك، ولم يستأنف ذلك الا في الليلة الموالية. أصيب السيد شامبو، قائد كتيبة الهندسة بجروح قاتلة في عملياته الأولى.

كان من المقرر بناء متوازي واحد فقط من أجل ربط البطاريات التي حدد الجنرال لاهيت موقعها، بحيث كانت تجمع في نفس الوقت بين بطاريات رمي الانتظام وبطاريات الحرق. لم يكن حصن الامبراطور يستحق هجوماً واسع المعرفة، وقد كنا نسيطر عليه من كل الجوانب. قررنا مهاجمة الجانب الجنوبي والجانب الغربي في نفس الوقت، وخصوصاً هذا الأخير، الذي كان يبدو أسهل من الأول. وبالتالي، تم إنشاء بطارية واحدة في مواجهة الجانب الجنوبي، وهي متكونة من ستة مدافع، والتي بنيت على امتداد الجانب الغربي، وقد تعرضت هذه الجهة للقصف من طرف بطاريتين من المدافع، ومدفع هاوتزر. حيث

الكتاب 2

كانت الأولى ب 24 قطعة، وقد تأسسها على يسار الطريق الروماني، أما الثانية فهي متكونة من ستة قطع من نفس الحجم، على اليمين. بطارية مدافع هاوتزر كانت تضم قطعتين، تم انشاؤها ما بين هذه الأخيرة والطرق الروماني. كما تم إنشاء بطارية من أربعة مدافع الهاون من 10 بوصات، على العاصمة من الزاوية الجنوبية الغربية للحصن (القلعة)، ما بين البطارتين الأولى والثانية اللتان تحدثنا عنهما للتو. كانت كل هذه البطاريات تحمل الأسماء التالية: الأولى كانت تسمى بطارية سانت لويس، والثانية كانت تحمل اسم دوفين، والثالثة كانت تحمل اسم الملك، والرابعة اسم دوق بوردو، أما الخامسة والأخيرة فكانت تحمل اسم بطارية دوكين. كانت هذه البطاريات مغطاة بواسطة تحوطات تغطي مياقي العدو.

في صباح الفاتح من جويلية، حاول الأتراك الخروج والتصدي لنا دون جدوى، وبهذا تم تطويقهم في الخنادق والتحوطات أمام ما قمنا به من حصار، وبدأوا بالانسحاب. لقد وجهنا لهم أفضل الرماة في جميع الأفواج، ممن كانوا مسلحين ببنادق المراسم. تم ضبط الخندق بطريقة تسمح بتنزعه على الساعة السادسة مساءً وفي الصباح على الساعة الرابعة والنصف. وصل عدد العمال إلى 1600 عامل، ولكن كان هناك الكثير من القوضى في توزيعهم، وفي بعض الأحيان في وقت وصولهم، وهذا ما تسبب غالباً في خسارة الكثير من الوقت الثمين. كان من الصعب فهم كيفية الخطأ في التفاصيل البسيطة والتنفيذات السهلة، وهذا ما لا يكون نادراً في الحرب.

بدأ الجنرال لاهيت في الأول من جويلية في بناء بطارية جديدة من أربعة مدافع هاوتزر، في حديقة قنصل السويد، على يمين الخندق. وفي نفس اليوم، دخلت

فرقة أو سرية مونتيفول التي كان في الخلف إلى الخط، إلى جانب ثلاثة كتائب من فرقة مونت دوزي، أما فرقة بوري دو مورفون فقد كانت في سواحل سيدي فرج بالجزائر العاصمة.

في 2 جويلية، تقدمت الأعمال (الحصار) كثيرا وبكل نشاط، ولكن ذلك لم يكن بشكل متساوي في كل مكان، فلم يكن تبش الأرض سهلا بشكل متساوي في كل المناطق. أصيب الرماة على طول الخط باطلاق نار كثيف هذا اليوم واليوم الموالي. هوجمت بطارية سانت لويس من طرف الأتراك، الذين تقدموا إلى غاية الكف، وكانت هناك لحظات من التردد من طرف جنودنا، ولكن سرعان ما تدربوا على خفي نقيب المدفعية الكابتن موكار، حيث انقضوا على العدو وصدوه.

على اليمين، جاء البعض من العرب من الخارج لاثارة قلقنا، وقد تم صدع بعيدا من طرف فرقة المشاة 9، وهنا حدث شيء يستحق أن يذكر: كان أحد العرب مصابا بعيار ناري في حين كان الفرنسيون يتحركون إلى الأمام، أتى أحد زملائه لانقاذه وحمله، ولكن وفي نفس اللحظة أصيب هذا الأخير وسقط مع حوكة. ولكن سريعا ما نهض، ولكن بدلا من استغلال بعض القوة المتبقية لديه من أجل انقاذ حياته، راح محاولا انقاذ صديقه الذي كانت أصابته أخطر من الإصابة التي يحملها. وبما أن الفرنسيين لم يكونوا إلا على بعد بعض خطوات من المكان، فقد اختار أن يموت مع صديقه. وصل ضابط بالقرب منهما في نفس الوقت الذي وصل فيه رماتنا، وأراد انقاذ أحدهما، لكن ذلك كان بعد فوات الأوان. لم يتح لجنودنا أي فرصة للعدو من أجل استغلال المناطق المجاورة، وقد تعلموا منه من خلال الدرس الذي قدمه في السابق.

في 3 جويلية، قدم الاميرال دوييري أمام الجزائر العاصمة مع جزء من قواته، وقام خلال ساعات عديدة بقصف المدينة والحصون بالمدايع، ولكن القليل فقط من كرات القذائف كانت تقع على الأرض بسبب تلك المسافة، وهو الشيء نفسه الذي حصل في 1 جويلية. حالة البحر كانت السبب دون شك في منع السيد دوييري من تدمير عدد أكبر من الحصون (التحصينات) التي كانت يبدو أنها كانت تريد الحرب، وقد أجبره ذلك (حال البحر) على ترك قواتنا البحرية الشجاعة بعيدة عن الموقف (المكان) الذي احتله اللورد اكسموث سنة 1816. ومع ذلك كان هذا العرض التوضيحي يحمل نتيجة تتمثل في مشاركة انتباه العدو قليلا، وتشجيع جنودنا، الذين كانوا يعتقدون أن هذا الضجيج الكبير كان مصحوبا ببعض التأثير (النتائج).

في المساء تم تسليح بطاريات الملك والدلفين (دوفين). بقية البطاريات كان على هذا النحو (مسلحة) منذ الصباح: كانت الأسلحة في حالة جيدة وفي كل مكان، وقد أنشأنا العديد من المعابر القوية حسب الحاجة، كما تم بناء مخازن الذخائر والبارود، وفي الأخير كل شيء كان جاهزا للهجوم ومثينا من أجل اليوم الموالي. في الليل، لم يكن الأتراك، من حامية حصن الداوي الذي أرسل الحزناني، يشكون في قوة القصف الرهيب الذي سيواجهونه بعد ساعات، كما كانوا واضحين عن قتلهم للبعض من رجالنا في النهار، وكانوا سعداء بذلك بشكل صاخب وسخيف. وكانوا يصيحون ويقولون بأننا لا نطلق النار لأننا لا نملك مدافع، وإذا أردنا ذلك فانهم كانوا على استعداد لإرسال العديد من الشنائم التي تصحب السخرة ضد المسيحيين، كما جرت العادة. ومن جهتنا،

الجزء الأول

لم يصح أحد منا ولم نقل شيئا، ولكن أخذ كل واحد منا مكانه. جمعنا مع كل بطارية سرية مشاة من أجل مساندتها، ووضعنا خلف كل خندق سيرتين (فرقتين) من المدفعية للاحتياط، من أجل استبدال جنود المدافع المصابين أو المقتولين. يتكفل الصانع الرئيسي بتحميل القنابل والقذائف، وفي الأخير لا يجب إهمال أي شيء يمكنه أن يساهم في نجاح سريع وحاسم.

في 4 جويلية، على الساعة الرابعة إلا الربع صباحا، بدأنا كل البطاريات التابعة لجيشنا باطلاق النار في نفس الوقت. الجيش الذي كان ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، كان جاهزا على الفور، مفعما بالأمل والفرح، وحريصا على متابعة التقدم في الهجوم. كانت قذائفنا منذ الوهلة الأولى تصل الى فتحات جدار الحصن وفي الفتحات الوسيطة للجدران والتي بدأت في التحطم تدريجيا. لم يكن اطلاق القنابل والقذائف في بداية الأمر دقيقا، ولكن بعد بعض المحاولات، تم تصحيح ذلك ولم نخطأ اية قذيفة هدفها بعد ذلك. رد الأتراك بقوة، ليس فقط من حصن الامبراطور ولنا من حصن باب عزون والقصبة أيضا. وخلال أربع ساعات كان الدفاع أقوى من الهجوم، ولكن بعد ثلثي ساعات بدأ الدفاع في التباطؤ شيئا فشيئا. وضعت بطارية ذات أربع منافذ للقذائف على تل في خلف بطارية سانت لويس، وقد سببت ضررا كبيرا للعدو، خصوصا داخل الحصن وفي الطرق التي تصله بالقصبة.

ثم على الساعة العاشرة انقضاء نار الحصن، والتحطيم التام لفتحات جدران الحصن، وبذلك لم تعد تأوي أي مدفعية تركية. كان كل قطع المدافع (الأسلحة) مفككة كليا تقريبا، وكان الجزء الداخلي للحصن يشهد فوضى

عارمة بسبب قنابلنا وقذائفنا. أمر الجنرال لاهيت بالتحطيم والهدم، وكانت بعض الانهيارات تشير الى أن المكان سيكون مفتوحا قريبا، عندما حدث انفجار كبير مسحوب بالدخان والغبار، متبوعة بغيمة كثيفة من الغبار وأمطار رهيبة من الرماد وأحجار متطايرة ويقايا لأجسام بشرية هنا وهناك، لتدل على أنه لم يعد لذلك الحصن وجود. شعر الأتراك باليأس من الدفاع لفترة أطول، وبذلك انسحبوا وتركوا القسبة وأضرموا النار في البارود (المسحوق المستعمل في الأسلحة). انقلب حال القلعة الداخلية رأسا على عقب، كما هو الحال بالنسبة الى الجانب الغربي بأكمله تقريبا، والذي كان أقل أو أكثر تضررا، وقد أصبح مجرد كومة من الأنقاض. ومن بعيد ظهرت لنا قطع مدفعية من الطراز الرفيع.

ظل الجو مظلما وعائما لفترة طويلة، بسبب خصلات الصوف التي تشتت وانفصلت عن حزمها، التي غطى بها الأتراك أرضية بطارياتهم وخزائن أسلحتهم. ورغم العتمة التي تسبب فيها الغبار والدخان، إلا أن بطارياتنا واصلت إطلاق النار، ولكن عندما لاحظنا بأن الحصن لا يمكن أن يحوي أي كائن حي، توقفنا عن إطلاق النار. صعدت بعض الفرق على الأنقاض واستولت عليها. ذهب الجنرال لاهيت شخصيا ووضع على الحفام قطعتين من المدافع لإطلاق النار على حصن باب عزون، كما وجه في نفس المنطقة نيران ثلاثة مدافع تركية ادخرها الانفجار (لم يصبها الانفجار). هذه القطع الخمسة كانت كافية من أجل إسكات صوت حصن باب عزون في المناطق الداخلية التي هوت فيها تماما. اختار الجنرال لاهيت مسار الطري الرومان، وهو موقع

الذي عاد مرفقا بفصل انجلترا. مصطفى الذي أراد أن يرتفع إلى رتبة الخزانة التي أنشأها شخصيا، منح للسيد بورمونت فرصة تدعيم الداي حسين، من أجل مناقشة موضوعه مع الداي الجديد، بشروط جد هامة. لكن الجنرال الفرنسي الذي كانت مهمته تحطيم هيمنة الأتراك على الجزائر العاصمة، رفض عروضه التي لا يسمح له الشرف بقبولها.

بعد ساعتين من النقاش، تم تحرير وثيقة الاستسلام وحملها إلى الداي بواسطة أحد المترجمين. تمت الموافقة على تعليق الأسلحة (الهجوم) إلى غاية اليوم الموالي على الساعة السابعة، من أجل انتظار جواب هذا الأمير المعروف. لقد وافق على كل شيء: ها هي وثيقة الاستسلام.

الاتفاقية ما بين الجنرال (القائد) العام للجيش الفرنسي
و س. أ داي الجزائر

"1 سيسلم حصن القصبة وبقية الحصون التابعة للجزائر العاصمة وأهواب المدينة إلى الفرق العسكرية الفرنسية، هذا الصباح على الساعة العاشرة."
"2 يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي اتجاه س. أ داي الجزائر بعدم الاستلاء على ثرواته الشخصية."

"3 يكون الداي حرا في الانسحاب مع عائلته وثرواته في المكان الذي يحدده، وبينما لا يزال هناك في الجزائر العاصمة، يبقى هو وعائلته تحت حماية القائد العام، وسيضمن جماعة من الحراس سلامته وسلامة أسرته."

لانتشار بطاريتين، واحدة خاصة بالمدافع والأخرى خاصة بالبنادق، وهي موجهة لمهاجمة القصبة. وينبغي وضعها على التل المطل على المدينة والذي لم يكن إلا على بعد 150 مترا. هنا تواجد حصن النجمة سابقا، أو "التاغاران"، والذي أضرم فيه أحد العبيد النار بسبب كراهيته لسيده الذي كان حاكما. بدأت فرقة الهندسة على الفور عملها من أجل إنشاء واستقبال الاتصالات ما بين هذه النقطة وحصن الامبراطور. وخلال هذا الوقت، أراد عرب المنطقة الداخلية مهاجمة خطوطنا دون أي عناء ودون أن يعرفوا ما حدث في المقر، وقدموا بالقرب من معسكر اللواء برتيني. كانت بعض فرق الدفاع ومدفعين كافية من أجل التخلص منهم.

وفي حين كانت المدينة مليئة بالاضطراب والارتباك، طالب الناس الخائفين من الاقتحام بالاستسلام بصوت عال. قام حسين باشا، الذي اعتقدنا أنه خرج باهانة مؤقتة للموقف المؤسف الذي كان نتيجة جهله وكبريائه، بإرسال مصطفى المفتاح (المفتاح) إلى السيد بورمونت من أجل تعويضه خسائر الحرب وتقدير الاعتذار الذي لم يكن مقبولا. وأجاب الجنرال العام لمبعوث الداي بأن أساس كل مفاوضات ينبغي أن يكون الاحتلال المباشر للمدينة من طرف الفرنسيين، وكذلك بأنه لا يمكن أن يوافق على مقترحات سيده. ذهب المفتاح حاملا معه هذا الجواب الذي يعلن حسين باشا نهاية حكمه. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر والنصف. وعلى الساعة الواحدة وصل مورين (أو بربرين) وهما السيد أحمد بودرياح وحسان بن عثمان خوجة، اللذان طلبا التحدث إلى الجنرال العام. الاثنان كانا يتقنان اللغة الفرنسية، ومرعان ما تبعهما المفتاح،

4 "بضمن القائد العام لكل أفراد الميليشية نفس المزايا ونفس الحماية".
5 "ممارسة الدين الاسلامي تبقى حرة، ولا يجب المساس بحرية جميع فئات الشعب ودينهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعاتهم. يجب احترام نساكهم، وعلى القائد العام أن يتعهد على ذلك بشرفه".

6 "تبادل هذه الاتفاقية سيكون قبل الساعة السادسة، والفرق العسكرية الفرنسية ستدخل مباشرة الى القصبة، وتحتل حصون المدينة والبحرية".
لقد كررنا دائما بأن القائد العام للجيش الفرنسي لم يكن يقبل أية معاملة استسلام لعدو كان تحت رحمتنا، وكان عليه فقط أن بضمن له الحياة الآن فقط. اعتقد شخصيا بأن هذا الشرط الوحيد كان كافيا كذلك لفتح أبواب المدينة لنا، وبذلك تنقادي الكثير من الخرج والازعاج، لأنه في هذه الحالة تعلم أن المورين سيقتلون الاسماء التي لم نقيم بها بدلا من النقاش معنا، عن معاملة الاستسلام التي يجب أن نقول أن شروطها لم تحترم دائما.

الكتاب 3

دخول الفرنسيين الى الجزائر العاصمة - ثقة السكان، رغم بعض الاضطرابات الحزبية - كثر القصة - نوع السلاح من الأهالي - استطراد (التحرقات) على الحكومة الداخلية للجزائر تحت سيطرة الأتراك - الاضطرابات الامارية بعد الاحتلال - اللجنة المركزية للحكومة، تحت رئاسة السيد دولي - المجلس البلدي - الشرطة الفرنسية - الشراكة اليهودية - النج، الجهارك، الخ.

لم تكن الجزائر عندما دخل الفرنسيون في 5 جويلية 1830 تحمل مظهر المدينة حزينة ومقفرة حيث يقم النصر العدو. كانت المحلات مغلقة، لكن التجار الجالسين بكل هدوء أمام أبوابهم بدأ وكأنهم ينتظرون لحظة فتحها. التقينا هنا وهناك بجماعات من الأتراك والمور الذين كانوا يحملون نظرات شاردة تعبر عن اللامبالاة أكثر من الخوف. كانت بعض المسلمات للحجبات ينظرون من خلال النوافذ الضيقة لمنازلهن، اليهود الذين كانوا أكثر جرأة، كانوا يزينون شرفات منازلهم دون أن تظهر عليهم الدهشة والتعجب من المشهد الجديد الظاهر للعيون. كان جنودنا أقل هدوء، وهم يلقون بأبصارهم في كل مكان بنظرات من الفضول والحماس، لكن الدهشة لم تبد عليهم، في مدينة لم يكن فيها وجودهم مفاجئا لأي شخص.

الاستقالة على المراسيم الصادرة العناية الالهية، والتي حضرت عميقا في أرواح المسلمين، والشعور بقوة فرنسا التي يجب تصديق في كرمها، كانت كلها أسباب تدعو للثقة، التي استمرت في وقت قصير، وإن ضعفت هذه

الخطأ فالحظ أن يعود إلى من حكموا بطريقة غريبة شعبا سهلا.

في البداية نشأت علاقات قليلة بين المتكلمين والمتكلمين، ولكن في أرونا الطلاق هذا الاسم على المورد الذين لم يدعوا الحكومة التركية إلا قليلا، وكانوا مخلصين للهيمنة (السيطرة) الفرنسية على العموم. بعدا من الكرامة ودون المساس بحق الشعب في مجلس الوصاية، نشر جنودنا كل أساليب الراحة والتعاطف مع الجزائريين الاجتماعيين والطلقاء بطبيعتهم الانطباعات التي نتجت لا يمكن أن تحصى كلها بسبب بعض الاضطرابات الجزئية، وليس بسبب أخطاء الإدارة، التي كانت السبب الرئيسي لهذه الاضطرابات. وحتى اليوم أيضا، وبعد سلسلة من الأعمال التي لا تشرى حكومتنا كثيرا في ميون الأهل، لا وجود لاسم الفرنسي عندهم، ولا وجود لشاعر التناظر إلا ما يتعلق بكل باقي الشعوب المسيحية.

لميزت الأيام الأولى للاحتلال بالاحترام الكامل للاتفاقيات. كان من الواجب احترام الأشخاص والممتلكات الخاصة والمساجد ديتيا، ولم يتم هجران (أعمال) منزل واحد فقط خلال السطو على المنازل، ويجب القول بأنه المنزل الذي احتله القائد العام وهو القصة الشهيرة. لكن دعونا نسرع بإضافة القول أن هذا النهب في النهاية كان مبالغا فيه، وعلاوة على ذلك فإنه كان نتيجة أعمال أكثر من حساب للجشع. سمح اصراف قائد المنطقة العامة لكل شخص بدخول القصة وأخذ ما يراه مناسبا له. والكثير منهم كانوا راضين بقطعة قماش يأخذونها لاشباع فضولهم، والبعض الآخر كان

أول الخطأ ومن بين هؤلاء الأشخاص يمكن أن نصنف السيد بورمونت وحتى الجرائد. ويمكن أن يكون هذا بعضا جدا دون أي أدنى شك. فهل كل من القوا الحيازة على جيش أفريقيا كانت أيديهم خائفة؟

كانت هناك عدلية أكثر أهمية من سرقا بعض المحرمات في القصف. وفي مسألة اهدار كثر مجلس الوصاية، ان حدث ذلك حقا، لا أحضر له يمكن استاء الشكوك التي نضعها على بعض الأشخاص في هذا الصدد. وفي رأيي بأن هذا الكثر جاء ليضخم كلها الكثر الخاص بفرنسا بالرغم من عادات كل الشعوب باعطاء جزء منه للجيش الذي غزاه (احتله). كان هذا الكثر متواجدا في الكهوف التي يكون مدخلها تحت مرائي الجميع، ولتحت حراسة مجموعة من الدرك (رجال الشرطة) الذين يتم استبدالهم على فترات قصيرة، ولا يخرجون إلا ليتم نقلهم على متن سفن الدولة، تحت قيادة ضباط في جولة لأداء الواجب دون اختيار. قمت شخصيا بنقل مليون بهذه الطريقة، ولم أكن أعرف في طريقي إلى القصة، ما هي المهمة التي طلبت فيها. تم جرد هذا الكثر من طرف لجنة من ثلاثة أعضاء، وهو الجنرال تولوزي، السيد دوني والدافع العام السيد فيرينو. لقد وجدنا 48.700.000 فرنك.

لم تكن مدينة الجزائر تحتوي إلا على القليل من الثكنات، ولم تنشأ إلا بعض الكتائب، وبقي الجيش كان في إقامة مؤقتة في الخارج، أين يتم إيواهم داخل العديد من منازل الريف المجاورة، تم تعيين الجنرال تولوزي الذي كان نائب رئيس هيئة الأركان كقائد للمكان.

الجهل الذي كان فيه القائد العام لنوايا الحكومة في مسألة الجزائر، جعله يعرب عن استعدادة لأي حدث. وهكذا، ومن جهة أخرى، قدم عملاً عن وسائل تدمير التحصينات البحرية وتعبئة الميناء، ومن جهة أخرى اهتم ببعض الأعمال الإدارية غير الكبيرة جداً، في إشارة منه على رغبته في الحفاظ على البلد.

أول هذه الأعمال كان انشاء لجنة مركزية للحكومة، مكلفة باقتراح التغييرات الإدارية التي تجعلها الظروف ضرورية. وقد أسندت رئاستها الى السيد دني المضيف (الأمين) الأعلى للجيش. وجدت هذه الشخصية بطريقة ما رئيساً للمدنية في مجلس لوصاية، تحت ادارة السيد بورمونت، وكان عليه تحمل المسؤولية الأخلاقية لكل ما يحدث، أو بالأحرى ما لم يحدث في ذلك الوقت. لأننا بدأنا هذه السلسلة الطويلة من الاخطاء بسبب اللامبالاة أكثر من كون ذلك بسبب المعايير الخاطئة، وهذا ما جعل تاريخ الادارة الخاص باحتلالنا يرثى له، ولأجل معرفة ما كان علينا القيام به، كان يجب أن نعرف ما قمنا به.

إذا كان هناك مبدأ يحليه علينا العقل ويعترف به المعنى الأكثر ابتدالاً، فهو مبدأ من يريد الا عندما نودينا الى ادارة بلد محتل، يجب أولاً أن نتحترم التنظيم الإداري الموجود، من أجل تجنب الاضطراب والفوضى، والحفاظ على التقاليد ومتابعة الأعمال. يمكن بعد ذلك أن ندرج بلطف ونحفظ التغييرات التي تعتبر مفيدة، لكن في اللحظات الأولى للاحتلال، ما كان على

المتنصر الحكيم الا الوصول الى مكان الهزم (مكان انتصاره). بهذه الطريقة نحفظ بالموارد ونمنع كل هذه الاهانات التي تكون اكثر حساسية لدى الشعب المحتل، الذي يحس باذلال مؤقت بسبب الهزيمة. ما يمكن النظر فيه قليلا، وان كان هذا المبدأ، فقد أساءت السلطة الفرنسية فهمه. لا أدري ان كانت تتخيل أن الشعب الجزائري لا يشكل الا تكتلا من الأفراد بدون رابط مشترك وبدون نظام اجتماعي. لكنها تتصرف تماما وكأنها مقتنعة بذلك. لم يتخذ أي موقف من أجل ضبط طبيعة علاقات مختلف فروع الخدمات العامة مع السلطة الجديدة. لم يعط أي أمر للعمال (المسؤولين) من الأهالي: لم نعلن لهم عن الاحتفاظ بهم ولا ازالتهم. كنا نتصرف وكأنهم موجودين أصلا: كما لم يكونوا يعرفون الى من يتوجهون، فتخلوا عن الخدمة (العمل) دون أخذ أي منح، وأخذنا أو لنقل أخفينا كل السجلات الوثائق القيمة تقريبا. في القصبة نفسها، وتحت أعين السيد دوني، رأيت جنودا يشعلون الغليون بأوراق الحكومة المتبعثرة هنا وهناك على الأرض.

لم أعتقد أبدا بأن الاحتلال يمكن أن يحدث في مثل هذه الفوضى الادارية مثلما حدث في الجزائر، حتى في القرون الأكثر وحشية. جحافل (حشود) الشمال الذين مزقوا بقايا الامبراطورية الرومانية، كانوا يتصرفون بحكمة أكثر من التي تصرفنا بها في افريقيا. الفرنجة في بلاد الغال والقوط (الغوتية) في اسبانيا وايطاليا، كان لديهم حسن سليم للاحتفاظ بها وجد من قبل، من أجل مصلحتهم أكثر من مصالح الأمم الخاضعة (المحتلة). عندما أصبح

العرب مكان هذه الأمم المحتلة في اسبانيا، لم يسارعوا إلى تدمير كل شيء، وقد حافظوا على ما وجدوا ليكونوا المثل الأعلى لنا في مثل هذا الأسراف. تعرفنا في الكتاب الأول من هذا العمل على المبادئ الأساسية للحكومة التركية في مجلس الوصاية: قبل الدخول في تفاصيل الأعمال الإدارية للسلطة الفرنسية، سوف نشرح عبر كلمات قليلة ما كانت الحكومة الداخلية للجزائر العاصمة.

هذه الحكومة التي نستحق في الكثير من النواحي اسم المدينة، وقد كانت تعمل بمبدأ حقوق وواجبات المجتمع، بمصالح يمكن أن تكون في بعض الأحيان خاصة، ونشأت بين مختلف فئات المواطنين. هذا هو المبدأ الذي كانت تعمل به مدن العصور الوسطى، والتجمعات الكبيرة الممثلة للأمم الأوروبية. أثبتت الثورة الفرنسية لاحقاً بأن المصالح لدى الشعوب المتقدمة يجب أن تكون عامة أكثر، لكن لدى الشعوب التي كانت في الدرجة الثانية من الحضارة، والتي توجد أمام سلطة عنيفة ووحشية، كما كانت عليه دولة الداوي في الجزائر، ودولة اللوردات في أوروبا في العصور الوسطى، ونظام فئات الفوائد كان من يمنح ضمانات أكثر للحريات الفردية. هذا النظام هو الذي بدأ العمل به في الجزائر تحت سيطرة العرب، والتي احترمها الأتراك. كانت كل مهنة تشكل شراكة يرأسها وصي يسمى أمين، وهو مكلف بتنظيم المجتمع وأعماله (قضاياه). وضع كل الأمناء تحت أوامر قاض يسمى شيخ البلد (رئيس المدينة).

مهمة مراقبة الأسواق من مهام أحد الولاة (القضاة) الذي يدعى "الكتاب"، والذي كان لديه حق فرض الضرائب على السلع. كما كلف قاضيين آخرين بالحفاظ على الأمن العام، حيث كان يعمل الأول اسم "كاتب" (الملازم) والذي يقوم بمهامه في النهار، وقد كان قائداً للمليشيا المدنية ويمكن أن يتدرج ضمن الكرغليين، أما الثاني، والذي يختاره الأتراك فقط، فهو يمارس مهامه خلال الليل: يلقب باسم آغا آل كول. كما يوجد مسؤول خاص يدعى "مزوار" وهو على رأس أمن الخيانات وبيوت الدعارة، بالأحرى، ومن جهة أخرى كان هذا الشخص مكلفاً بتنفيذ الأحكام الخنائية. ما كلف موظف كبير (سامي) يدعى "أمين العيون" بالحفاظ على التوافير، عن طريق المداخل المخصصة لهذا النوع من المؤسسات ذو الحاجيات الأولية. كل هؤلاء الولاة (القضاة) تحت الأوامر المباشرة للخزناجي، والذي كان كما سبق ذكره، وزيراً للمالية والشؤون الداخلية. هكذا كانت حكومة مدينة الجزائر، التي سارعنا إلى تدميرها، أو بالأحرى المدينة التي تركناها مهلكة.

ومن أجل تعويض هذه الحكومة، تم إنشاء المجلس المحلي المتكون من المور واليهود. رأينا بأن كل الأهالي كانوا أول من واجهونا، بمعنى المتأمرين وقلة من المور، الذي كنا هدفنا لهم ولكن الوقت أظهر لنا ثقافتهم ذلك. وقد كان أحمد بوردياح رئيسهم، كان هذا الرجل طريفاً ورقيقاً وماكراً، ولكنه لا يملك

أي مبدأ أخلاقي، وهو متطفل أكثر من كونه فطنا ماهرا عاش لمدة طويلة في مرسيليا، أين تعرض لافلاس احتيالي واضطر إلى الابتعاد. سوف نتحدث عن هذا الموضوع أكثر من مرة في سياق هذا الكتاب.

كلف السيد أوبينوسك بإدارة جهاز الشرطة، كما سبق ذكره. وتحصل على لقب الملازم العام للشرطة، وراتب سنوي يقدر بـ 18,000 فرنك. بما في ذلك نفقات المكتب. كان نشاطه منتشرا في المدينة وفي إقليم الجزائر العاصمة، وقد وضع تحت أوامره كل من مفتش ومفوضي الشرطة وقرية أمن المور المتكونة من عشرين عاملا يقودهم مزور، والذي يحتفظ في نفس الوقت على عمله كمراقب للمومسات. بالرغم من كل هذه الموارد، وذلك بدعم من الجيش، إلا أن الشرطة الفرنسية كانت دائما تحت مستوى مهمتها، وهو ما زاد من الصدمة، بوجود الحكومة التركية، هو أن مدينة الجزائر العاصمة ربما كانت النقطة الوحيدة في العالم أين كانت الشرطة أكثر انتظاما. تضاعفت عمليات السرقة، التي بالكاد كانت معروفة، بنسب غريبة جدا، وكان الأهالي هم الضحايا أكثر من أي شخص آخر. صدرت أوامر بترع السلاح من كل سكان الجزائر العاصمة. الجزائريون الذين كانوا ينتظرون ذلك خضعوا للأوامر دون أي تعليق. ولكن هذا الإجراء كان ليشتع جشع بعض الأشخاص.

تم نزع أسلحة ثمينة من ممتلكيها، وبدلا من وضعها في مخازن الدولة، أصبحت هذه الأسلحة قريبة لجميع هؤلاء الذين كانت في متناول أيديهم.

باغتنامه الفرصة لوضع بعض القوانين في هذه العملية التي تتطلب منهم الكثير.

وفي زمن مضى، شكل يهود الجزائر شركة كبيرة، يرأسها زعيم كان يطلق عليه سخرية اسم ملك اليهود. تم الاحتفاظ بهذه المنظمة بفضل تأثير الشهر البكري.

تحت حكم الأتراك، كان اليهود وحتى الأثرياء يعاملون بطريقة مخزية وكثيرا ما كانت قاسية. وفي سنة 1806، لم يجد الداوي مصطفى باشا طريقة لتهدئة ثورة الميليشيا، إلا بتسليمها البضائع والأشخاص هؤلاء التعساء. وفي غضون ساعات قليلة، تم قتل ثلاثمائة منهم وتم أخذ الأشياء الثمينة التي كان بعض الأشخاص يحملها بقيمة ثلاثين مليون فرنك. ولكن مثل صبر التمل واقتصادها، فقريبا ما يتم أخذ هذه الثروة منهم.

أقر السيد بورمونت بالخطأ الذي اقترف، وبأن معظم هؤلاء الورثة اشتركوا في ذلك مع هذه الفئة من الرجال اليهود الذين لجأوا إلى الوقاحة، بسبب سقوط الطغاة السابقين، ولم يمض وقت طويل على التأثير في أجواء التفوق الذين شعروا باستياء شديد. كانت جميع انتكاسات الحظ بالنسبة لهم حساسة جدا، والعفو بالنسبة اليها كان بنسب ضئيلة. كان من الواجب معاملة اليهود بنفس الطريقة التي يعامل بها الجميع، بكل عدل ولطف، ولكن لا يجب الأخذ بعين الاعتبار الأهالي في أي حسابات في سياستنا. اليهود لا يمكن أن يحسنوا أو يسيئوا إلينا فهم بدون جذور في البلاد وبدون

أي قوة في النشاط، كان اليهود بالنسبة لنا وكأناهم غير موجودين، ولذلك كان عليهم أن يبقوا تحت تصرفنا، فالنسبة اليهم كان المسلمون يحملون فيها ذاتها مختلفة جدا. وهذا ما لم يكن مفهوما. والخطأ الذي ارتكبناه بالنسبة لليهود ضد المسلمين بشكل عام، ارتكبناه بالنسبة للبربر ضد العرب، ومضى ذلك في الكتاب القادم.

القرار المأرور في 14 جويلية بحفظ أيضا شركة السكري، الذين قدموا إلى الجزائر من أجل ممارسة مهنة الخمال والبواب مثل السافويار الذين كانوا يقدمون فرنسا وإيطاليا، المزاويون أو بالأحرى بني مزاب يتمون إلى قبة في الصحراء، كانوا يحتكرون الخيانات والطواحين الهوائية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، كمكافأة على الخدمات التي قدموها في عهد بعتة شارل كورنت. هاتان الشركتان كانت لهما نقابات عهدها السلطات الفرنسية، ونفس الشيء بالنسبة إلى الزنوج الأحرار، والتي كانت نقابتهم تحمل اسم "القائد". الاستسلام لا يعني بأي شكل من الأشكال أنه سيتم إعفاء عدد من سكان الجزائر من الضرائب القديمة، وبالتأكيد لن يدخل ذلك في تفكير وضعين الأحكام الجدد، من أجل الإعفاء من كل هذه التكاليف العامة. ومع ذلك، توقفت التصورات بعد تعطيل جميع الخدمات. يجب استثناء حقوق الدخول إلى موانئ المدينة، وهذا ما نطلق عليه اسم المنحة، خصص مرسوم 9 أوت للمنتجات ذات النفقات الحضريّة، وتسيير مجلس المدينة، لكن سرعان ما نسي وجود هذا الفرع من الإيرادات، والأعضاء المور للبلدية، والتي كان

يشارك فيها الفرنسي كمقوض الملك، والذي لا يرد لنا أي اعتبار. هذا يصحح مسجلا أو لا يصدق، ولكن هذه الخفيفة الكاملة، ولم تمر إلا أشهر قليلة تحت قيادة الجنرال كلوزيل، حتى كشف الخط عن وجود منحة. وقد تم نقل ذلك إلى مصادر البحريّة وسحبناها من البلدية، إلى جانب إنتاج القمح الذي تأثر أيضا.

تاريخ الجمارك الفرنسية في الجزائر يقدم بعض الأشياء الأخرى من المنحة. حل محل الجمارك الأتراك الذين كانوا موزعين بعض الأفراد الذين اتبعوا الجيش، لا أعرف بأية رتبة، ومن يلاحظ عدم وجود رسوم ولا مساهمة، ولقد خسة عشر يوما. تجد في مخازن الجمارك كمية من القمح، ومدير الإدارة الجديدة يفترض أن حسابه يقدر بـ 4000 صاعا (مكيال) الجزائر الذي يقدر بـ 54 ليرا). تم بيع هذه الكمية خلال شهرين، ولتحت قيادة الجنرال كلوزيل وجد أن 6000 صاعا كانت متبقية. أترك للقارئ فرصة شرح هذه المعجزة. لم يتم تسليم أي من ممتلكات الدولة، مثل الأثاث والمباني. في هذه الفترة كانت القوضى الرهينة، التي تواجدت في هذا الفرع من الإدارة، والتي كانت لمدة طويلة دون مستندات ملكية ولا سجلات. تواجدت هذه الأشياء في ترسانة البحرية وفي الميناء، وقد أعملت لعدة أيام لمن أراد الحصول عليها. السفن التجارية التي استأجرت للحملة جاءت لتحملا الشواغر بالسلاسل والكابلات والمراسي والأجر بكل أنواعه و أبواب الفنادق التي لم تفكر في احتلالها إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام، تم اقتحامها، وأخذ كل الأشياء القيمة

منها. وأخيرا، كان مستبعدا أخذ كل الإجراءات المناسبة من أجل ضمان قوة جديدة للإرث السليم للسلطة التي سقطت ورحلت. تمكن السيد بورمونت، إلى حد ما، من إيجاد عذره في ألمه وحزنه على وفاة ابنه الذي اخترق روحه، لكن فقد السيد ديسبريز رئيس أركانه و السيد دوني مدير وأمين المخازن (وكيل المؤونة) ابنيها أيضا؟

الكتاب 4

السير على خليج ماتيغو - إخلاء سيدي فرج والحصون - تركيز الجيش حول الجزائر العاصمة - الدمار الذي أتى بعد ذلك - مغادرة حسين باشا - تعيين السيد بورمونت مارشال فرنسا - العلاقات مع العرب - الانحراف على محافظة الجزائر العاصمة وعلى مهام حياة الأغا - تعيين حمدان بن أمين السكة أغا العرب - بن زمون - بعثة بليدة - بعثة بون - بعثة وهران - بحيرة مراد بيجاية - ثورة باي التيتري - ثورة 1830 - رحيل السيد بورمونت.

لقد رأينا في الكتاب السابق أن الاستثناء في بعض الكتابات الموجودة في المدينة، كان على الفرق العسكرية التي شاركت في الحصار، لتستقر خارج المكان. لقد شغرت المساحة الممتدة من بوزريعة إلى سهل مصطفى باشا، أمام حصن باب عزون.

في اليوم التالي لاحتلال الجزائر، تلقت فرقة مونليغولت للجيش أوامر الانتقال إلى حوش قطرة البيت المربع وكذا الراسوتا، وهي مزرعة معروفة في شرق الجزائر، من أجل الاستلاء على قطعان الحكومة الموجودة هناك. لكن باي قسنطينة، الذي ظهر مع فرقته، في طريق محافظته، قام بإزالة كل شيء. هذه السرية العسكرية اقترنت إلى خليج ماتيغو، الذي يغلق في الشرق ميناء الجزائر. وجدت على الساحل مجموعة من البطاريات المسلحة بـ 120 مدفع، التي لم تكن لها الوسائل ولا مهمة إزالتها. وبعد فترة وجيزة، أرسل زوارق من أجل

من المناطق، وجفت كل النواهير تقريباً، وكان الماء على وشك النفاذ من الجنود. ابتداء من شهر أوت كانت الجزائر العاصمة تبدو في أكمل صورة للخراب. مع ذلك، فإن جدول الأعمال الذي سطر خلال النزول إلى السواحل الجزائرية كان يولي على القادة التحذير من هذه الاضطرابات والفوضى. التوصيات كانت محددة في كل مرة، لكن الضباط لم يولوها أي اهتمام، والقائد العام، الذي لم يكن يخرج من قصره، لا يتمكن من فرض طاعته. كان هذا مشهداً محزناً من الشعب الأكثر تحضرًا في الأرض، وهذا ما أعطى للجزائريين مثالا وصورة عن الرندالية الممجية.

قام حسين باشا، بعد بضعة أيام من احتلال الجزائر، بزيارة السيد بور مونت، وتم استقباله بكل احترام في استقبال مشرف. وقد علمت، من شخص كان وضعه يسمح له بمعرفة الحقائق جيدا، أن الداي قدم للقائد العام مبلغا معتبرا من القسط السنوي لانتجتها، وقال بأن هذا المبلغ لا يعود إليه كليا، وأنه من حرية الدولة، وأنه لا يمكن أن يحتفظ به وهو في حالة استسلام. هذه الدقة كانت المدهشة من طرف الداي حسين، لكنها ميزة من ميزات الأتراك. هذا الأمير اختار نابولي من أجل التقاعد، والذي غادر هذه المدينة في 10 جويلية مع حاشية كبيرة. قام بإرسال مندبل مليء بالترتر إلى الضباط المكلف برئاسة معادته للبلد، واستغرب من رفض هذا الأخير لهذه الهدية.

الأعضاء غير المتزوجين في الميليشيا التركية انتقلوا في نفس الوقت إلى آسيا الصغرى. وبمغادرة المدينة التي كانت وطنهم، لم يسمعوا أي شكوى.

نزع السلاح من بطاريات ساحل (خليج) ماتيفو، لكن رؤية بعض العرب المسلحين منهم من ذلك. البطاريات التي كانت موزعة من حصن باب عزون إلى الأرمعاش، لم تستزع منها الأسلحة إلا في 22 أوت. أما تلك الموجودة من هذه المنطقة إلى خليج ماتيفو وحصن ماتيفو نفسه، بقيت مسلحة حتى الوقت الذي كنت أكتب فيه هذا التقرير، ولو أن القوات الفرنسية لم تكن تشغلها.

منذ 7 جويلية، تم إعطاء أوامر من أجل نزع السلاح والتخلي عن سيدي فرج، التي لم يكن احتلالها يبدو ضروريا. أرسلت الكتيبة 2 والخط 48 إلى هذا المعسكر من أجل الالتقاء بالكتيبة الثالثة من نفس القوج، والبقاء حتى تقوم البحرية بإزالة جميع المعدات. في 10 من الشهر، تم إسقاط حامية القصور التي بنيت على طريق سيدي فرج. وفي 23 من نفس الشهر، استقرت فرقة اللواء بوري دو موفون، التي تركت سطاوالي، في ضواحي الجزائر العاصمة. فيها تركت فرقة في الحصن من أجل القضاء على هذا المعقل. في 29، تم إخلاء سيدي فرج من السلاح، والخط 48 دخل إلى الجزائر العاصمة، وتم التخلي عن كل الحصون. وبعد استمرار هذه الحركة، اجتمع كل الجيش حول الجزائر العاصمة. أهمل القادة لمسؤولياتهم، نسب في تدمير البيوت الجميلة والبنائيع العديدة في هذه المدينة. وبدلاً من استخدام الوسائل المنتظمة من أجل الحصول على الحصص، تم قطع الأشجار المثمرة وحرق الأبواب والنوافذ وحتى ركائز السلم في المنازل. كان الجنود يدمرون بسبب حبهم للتدمير. تم تحطيم الرخام والأحواض (البرك) والزخارف والمنحوتات، دون أي سبب ولا هدف. تم كسر القنوات في العديد

بإعطاء كل واحد منهم مساعدة لشهرين من المبيعات استلموها وهم يعتبرونها عمل خير، وهو يعتقدون بأنهم لا يملكون أي حقوق. هذا الاستقالة الباردة للأحكام الصادرة عن هذه الثروة تحمل شيئا من النبل وشيئا مؤثرا.

لقد تبنا لأكثر من مرة، منذ 1830، بسبب نفينا وطردها لكل الأتراك، واعترفنا بذلك، ولكن جاء ذلك متأخرا، وأن هؤلاء الرجال كانوا قادرين على تقديم خدمات كثيرة. كانوا يرغبون في وضع كل شيء تحت حساننا. كنت أسمع بعض المواطنين من الأهالي، بعد انفجار قصر الامبراطور، يقولون علنا بأنه ما من شك أن ملك فرنسا كان له أمين صندوق، كما هو الحال بالنسبة لداي الجزائر، وأنه كان يملك أموالا كثيرة مثل الآخر (الداي).

كان استقبال خير احتلال الجزائر بانتقال أوروبا كلها. في فرنسا، كان الرجال الضالون بتأييد الحزب أو الخائفون من الجراحة من الانتصار الذي يمنح لطائفة البوليناك، يبدون متأثرين بذلك بشكل غير مستحسن. ولكن حتى من بين الليبراليين، الذين كانوا يريدون أكثر مما يخشون، الحرب مع حكومة الإصلاح، ولا يعتبر ذلك إلا انتصارا لأسلحتنا. رفع شارل العاشر السيد بورمونت إلى رتبة مارشال فرنسا. هذا التمييز كان بسبب ما، ولا اعتبره هنا إلا القائد العام لجيش إفريقيا. اتهم باقتراف بعض الأخطاء، لكن عملياته كانت مصممة بشكل جيد عموما، وما كان في الحرب توج نجاحه. بعد الانتصار، سارع إلى الحكومة للمطالبة بمكافئة استحقاقها الجيش، كما طالب أيضا بجزء من كثر

الجزائر الذي يجب اقتسامه، ولكن الشيء الغريب من حكومة أرامت الضغط على قوة سلاح المشرع الفارقة، وقامت برفض هذه المقترحات. ويحذر أقل، أو بالأحرى بخجل، قدم السيد بورمونت للجيش ما بدى له مستحقا. ثم تعين قائد القوات البحرية السيد دوييري شريف فرنسا. هذا الضابط العام، الذي كان كما قلنا يتمتع بسمعة جيدة لدى البحارة، كان يعتقد أو كان يريد أن يعتقد بأنه تسبب في ضرر كبير للكاثيونات الجزائرية، وسأهم إلى حد كبير في استسلام المدينة، ولذلك يبدو أن هذه المكافأة لم تكن كافية بالنسبة إليه. تعلم اليوم أن الأضرار التي لحقت بحصون الجزائر بسبب القوات البحرية قدر ب 7 فرنك و 50 سنتيا. وبالتالي، كانت ادعاءات السيد دوييري مجرد ضعف عجز في مثل هذه الشخصية الضعيفة.

كان سيد الجزائر العاصمة المارشال بورمونت موجودا بشكل مفاجئ مكان الداي في نظر القبائل العربية. وما يجب فعله في هذه الوضعية الجدية يجب أن يكون له تداعيات في المستقبل، لأنه دعي لتسوية علاقاتنا الأولى مع هؤلاء السكان الأذكياء، الذين لا تخفى عنهم أي نتيجة لخطوة خاطئة. لكن قبل الحديث عن سلوكه اتجاه العرب، يجب أن أعرف بمحافظة الجزائر، على الرغم من كون ذلك طويلا، إلا أنه من الضروري فهم الحقائق التي ستأتي بعد هذا.

بالنسبة إلى المحافظة أو منطقة الجزائر العاصمة، هي جزء من مجلس الوصاية التي إدارها الداي بشكل مباشر، والتي يسيها لم يعد يسمى الباي. وهي تمتد من الشرق إلى الغرب، من حدود "القبائل" المستقلين (الأحرار) إلى حدود

المدينة الصغيرة تنس. كانت الجزائر العاصمة تحتل منتصف سواحلها تقريبا. في الجنوب تحدها قمة الأطلس الصغير، كما لديها امتدادات إلى خارج هذه المنطقة. هذا الامتداد للأراضي يشغله في جزء كبير سهل متيجة، والتي تقدر بعشرين فرسخا (وحدة لقياس الطول) في طولها، وعرض يقدر بحوالي أربعة إلى خمسة ويستند هذا السهل على تلال الجزائر العاصمة في الشمال وعلى البحر. تمتد في الجنوب إلى سفح الأطلس الصغير. ونجد وراء الجبال نحو الشرق سهل حمرة، الذي ينتمي إلى محافظة الجزائر العاصمة. أما بقية المحافظة فهي عبارة عن جبال يلي الأطلس الصغير عموما الاتجاه الموازي للبحر، ولكن يدفع بفروعه نحو الشمال على طرفي متيجة، كما لو كان غيورا من عناق هذا السهل الجميل من كل النواحي.

تمثل متيجة منحدرًا حساسًا من الجنوب إلى الشمال، بشكل تنزل فيه المياه من الجبال، لتجد على تلال مسيف (الجزء الرئيسي من الجبل) الجزائر العاصمة عتبة لتدفقها الطبيعي، لتشكل بذلك مستنقعات في هذا الاتجاه. وبما أن العديد من الأنهار تمر على هذه المنطقة، فمن السهل عمل تخفيف بواسطة بعض الأعمال المثقنة والموجهة. وقد أجريت محارب من هذا النوع وقد نجحت بشكل جيد، وقد أثبتت أن ليست العملية وحدها التي كانت ممكنة، ولكن ذلك لم يكن مكلفا كما اعتقدنا في السابق. ونجد خلال عبورنا للسهل آثار لا يمكن إنكارها لعمليات التخفيف التي أجريت سابقا، سواء تحت الحكم الروماني أو في فترة لاحقة، لكن من كان حقيقته نابعا لإدارة حكيمة وكذلك لتكاليف بلاد.

تمثل متيجة منحدرًا حساسًا من الجنوب إلى الشمال، بشكل تنزل فيه المياه من الجبال، لتجد على تلال مسيف (الجزء الرئيسي من الجبل) الجزائر العاصمة عتبة لتدفقها الطبيعي، لتشكل بذلك مستنقعات في هذا الاتجاه. وبما أن العديد من الأنهار تمر على هذه المنطقة، فمن السهل عمل تخفيف بواسطة بعض الأعمال المثقنة والموجهة. وقد أجريت محارب من هذا النوع وقد نجحت بشكل جيد، وقد أثبتت أن ليست العملية وحدها التي كانت ممكنة، ولكن ذلك لم يكن مكلفا كما اعتقدنا في السابق. ونجد خلال عبورنا للسهل آثار لا يمكن إنكارها لعمليات التخفيف التي أجريت سابقا، سواء تحت الحكم الروماني أو في فترة لاحقة، لكن من كان حقيقته نابعا لإدارة حكيمة وكذلك لتكاليف بلاد.

تمثل متيجة منحدرًا حساسًا من الجنوب إلى الشمال، بشكل تنزل فيه المياه من الجبال، لتجد على تلال مسيف (الجزء الرئيسي من الجبل) الجزائر العاصمة عتبة لتدفقها الطبيعي، لتشكل بذلك مستنقعات في هذا الاتجاه. وبما أن العديد من الأنهار تمر على هذه المنطقة، فمن السهل عمل تخفيف بواسطة بعض الأعمال المثقنة والموجهة. وقد أجريت محارب من هذا النوع وقد نجحت بشكل جيد، وقد أثبتت أن ليست العملية وحدها التي كانت ممكنة، ولكن ذلك لم يكن مكلفا كما اعتقدنا في السابق. ونجد خلال عبورنا للسهل آثار لا يمكن إنكارها لعمليات التخفيف التي أجريت سابقا، سواء تحت الحكم الروماني أو في فترة لاحقة، لكن من كان حقيقته نابعا لإدارة حكيمة وكذلك لتكاليف بلاد.

تتألف سلسلة الأطلس الصغير من جبال ذات ارتفاع معتدل ومشجرة في كل مكان تقريبا حتى القمة: جبال جرجرة التي تتواجد بعيدا عن الجنوب، تصل إلى ارتفاع معتبر قليلا، ووراء هذه السلسلة، على الشرق، نجد سهل حمزة، الذي يعتبر أقل اتساعا وخصوبة من متيجة: يتم ريها بـ "دهوس" الذي يصب في البحر شرق بجاية، وبعض الأنهار التي يشكل تجمعها نهر يسر. يتميز سهل حمزة ببنيته الرملية والصخرية على العموم، ولكنها تحوي الكثير من الواحات المناسبة كثيرا للزراعة الحبوب. تشكل محافظة الجزائر العاصمة من خمسة مدن واثنى عشر مقاطعة أو "أوطان".

المدن هي: الجزائر العاصمة والبليدة ودلس وقليلة وشرشال. أما المقاطعات فتتمثل في: بني خليل، بني موسى، خشنة، يسر، سباعو، بني جعد، بني خليفة، حمزة، السبت، عريب، بني مناصر، الفحص (صاحبة أوريث الجزائر العاصمة). أوتان أو مقاطعة بني خليل تمتد من الشرق إلى الغرب، انطلاقا من الأربعطاش إلى شفة، ومن الشمال إلى الجنوب، انطلاقا من ريف الجزائر وصولا إلى قمم الأطلس الصغير فوق البليدة.

أما منطقة بني موسى فتتمدد على الضفة اليمنى للأربعطاش على شرق مقاطعة بني خليل، وهي تشغل جزءا من السهل الموجود في هذا الاتجاه، وينحدر إلى شمال الأطلس.

في شرق هذه المقاطعة نجد مقاطعة خشنة الواسعة جدا: يحدها شمالا البحر، وفي الجنوب قمم الأطلس المرتفعة كثيرا في هذا الاتجاه. يفصلها نهر قرصو عن

منطقة يسر. تمتد هذه الأخيرة من الشمال إلى الجنوب، انطلاقاً من البحر وصولاً إلى قمم الأطلس.

وفي شرق مقاطعة يسر، نجد منطقة مباحو، أكثر المناطق امتداداً وأهمية في محافظة الجزائر. كما أنها الأكثر ميولاً إلى الشرق، ويقتصر على بلاد "القبائل" الأحرار. في جنوب يسر وخشنة نجد "أوطان" أو مقاطعة بني جعد، على هضاب الأطلس. وتقع منطقة حمزة في جنوب بني جعد، وفي السهل الذي تحدثنا عنه سابقاً. في غرب بني جعد وحمزة، وفي الجانب الآخر للأطلس القريب نسبياً إلى الجزائر العاصمة، نجد مقاطعة بني خليفة.

تمتد منطقة السبت إلى غرب شقة، وصولاً إلى منطقة شرشال، وهو حد محافظة الجزائر العاصمة في هذا الاتجاه.

حتى لا نقطع السرد كثيراً، قمنا بالإشارة إلى وصف خاص للمدن والمقاطعات. تحت الحكم التركي (العثماني) كان للأغا السلطة العليا على المقاطعات، باستثناء منطقة يسر وبني مناصر. رغم كون يسر غير ساحلية في محافظة الجزائر العاصمة، وتتميز بكونها تابعة لباي التيركي الذي يطلق عليه اسم "القائد". تخضع بني مناصر لسيطرة قائد شرشال المستقل عن الأغا.

كان لدى مدينتي البليدة والقليلة "حكاما" أتراك يطلق عليهم اسم الداي، الذي يوضع في هذا المنصب تحت أوامر الأغا. منطقة شرشال كان لديها "قائد" كما رأينا سابقاً. تخضع دلس إلى قائد مباحو الذي لديه "وكيل" أو مدعي هام، كما تواجد في هذه المدينة وفي مدينة شرشال قائد الميناء الذي يطلق عليه اسم وزير البحرية.

الآغا هو أحد الشخصيات البارزة في مجلس الوصاية، وهو يقود في الرند الميليشيا التركية، التي يديرها في الداخل الخزناجي، لكن سلطته يشعر بها العرب أساساً، حيث يمارس عليهم محاكمات عسكرية مريعة ورهبية.

ورأى الأتراك، من أجل مساندة سلطته في الخارج، بخلق قوة لا تكلفهم الكثير والتي تؤخذ من الشعب الذي احتلته. كل عربي يحس بأنه مناسب للعمل الحربي، ومن لديه الوسائل لشراء الأسلحة وحصان، يمكن أن يعفر من كل الضرائب، وذلك بالتسجيل ضمن مجموعة فرسان الآغا. صحيح أن هذا التسجيل لا يعتمد كلياً على إرادة مقدم الطلب، وأن الآغا لا يقبل في مجموعة فرسانه، أو سباهية، إلا الرجال المعروفين بصفاتهم العسكرية. حيث كان يشترط هدية تقدر ب 40 سلطاني (200 فرنك).

كان عدد الفرسان الذين يعملون بشكل دائم قليلون جداً حيث يقدرون بخمسين فارساً تقريباً، ويطلق عليهم اسم "المكاحلة" (حملة البنادق)، وهم يجتمعون في معسكر في الجزائر العاصمة، ويرافقون الآغا في كل خرجاته. أما الآخرون فيبقون في منازلهم ولا يأخذون أسلحتهم إلا عندما يتلقون الأوامر من أجل معاقبة بعض القبائل المتمردة. الغنائم التي يحصلون عليها في معظم الأحيان في هذا النوع من الحملات، وهي مغرية لحد أنهم لا يتأخرون عن مواعدها أبداً. مهام "السباهية" أو الفرسان كانت وراثية، وتشكل نوعاً من النبيل الذي يفتخر به العرب.

توجد بين العرب فئة من الرجال الذين كانوا معفيين من الضرائب، وهم

"السراجة" و"العزارة" وكانوا مكلفين تحت أوامر خوجة الخيل بالاهتمام بقطعان الماشية والحقول التابعة للحكومة. عندما يبدأ الجيش في التحرك، كانوا هم من يجمع وسائل النقل ومن يقود الأمتعة.

ويصرف النظر عن "سباهية" (الفرسان)، كان تحت تصرف الآغا نوع من الميليشيا الذي يطلق عليهم اسم "زمول". الزمول كانوا في الأصل مغامرين تنازلت لهم الحكومة عن الأراضي على حساب الخدمة العسكرية: ويمنح لهم كل سنة ملابس كاملة وبعض البؤجو (الوحدات النقدية المستعملة خلال الحكم العثماني). كان بعض الزمول موجودين في مقاطعة السبت وسباعو، وهم يشكلون، كما سنرى لاحقاً، مستعمرات عسكرية حقيقية.

يتم تعيين القياد من طرف الداي بعرض من الآغا. كان يوجد نوعان من القياد، وهما قادة الأوطان وقياد العشور. المجموعة الأولى التي كانت تضم القياد المدنيين والعسكريين للأوطان، ويجب أن تكون تركية. أما المجموعة الثانية، والتي تتكون عادة من العرب، فقد كانت مسؤولة خاصة بدفع العشر الذي يؤخذ من المحاصيل. غالباً ما كان هناك الكثير من قادة العشور في مقاطعة واحدة، ولكن لم يكن هناك إلا قائد مقاطعة واحدة. قياد العشور هم من يقومون بجمع فرسان الآغا عندما يتم استدعاؤهم. قائد الأوطان كان لديه فرسان خاصين وهم يتمتعون بنفس مزايا الآغا. يطلق عليهم اسم "مرازي"، ويتم استخدامهم من أجل إدخال ضرائب ومساهمات أخرى عدا العشر. كان هناك قياد لبعض العرب الذين يتواجدون في وضعيات خاصة،

وخارج المقاطعات التي يقطنون فيها. كان قايد عرب الصحراء لولاء في هذه المنطقة، وقد استقروا في فترات مختلفة في محافظة الجزائر العاصمة. قايد الغرب للمغربيين الذي وجدوا في نفس الموضع، وقايد العريب من أجل العريب الذين استقروا بحمزة.

كل مقاطعة كانت مجزأة إلى قبائل أو عروش، يترأسها شيخ الشيخ، أو الشيخ الكبير. كل دوار أو قرية كان لديها شيخها الخاص. لم يعتمد التقسيم بالمقاطعة على أعراق أو أجناس الرجال الذين يعيشون في محافظة الجزائر. يبدو أن الأتراك، على العكس من ذلك، قد اتخذوا مهمة الجمع بين "القبائل" البربر والعرب في مقاطعة واحدة، ربما يقودهم تفكير سياسي موحد أدى إلى تقسيم فرنسا لهم إلى دوائر.

في كل مقاطعة يوجد قاضي من أجل العدالة المدنية. العدالة الجنائية كانت تحت رئاسة الأغا والقادة. الأغا هو الوحيد الذي كان يتمتع بحق إلحاق عقوبة الإعدام. لكن قايد السبب وقايد سباعو تحصلوا على هذا الحق ومارسوه لمرات عديدة.

سلطة الداي لا يمكن تحدّيها في محافظة الجزائر العاصمة، أين كان يخضع لسلطته كل من العرب و"القبائل". لم يكونوا مثل قادتنا الضعفاء وغير المتأكدين، الذين لا يمتدّون إلا على الفحص وعلى أجزاء من مقاطع بني موسى، وكشاشة وبني خليل التي كانت الأقرب إليها.

بعد أيام قليلة من احتلال الجزائر، انطلق السيد بومونت من مبدأ مثير للشك

قليلا، وهو وجوب خدمة الأهالي من أجل السيطرة على الأهالي، معتقدا أنه قام بأصحوبة باختيار أحد المور لأغا العرب، ولم يأخذ بعين الاعتبار نظرة العرب المليئة بالكثير من الاحتقار لأفراد المور. في هذا الخطأ الأول، أضاف خطأ آخر هذا الأغا في فئة من التجار، الذين يحقرهم العرب بطريقة لا يمكن التعبير عنها، لأنه لا يوجد شعب يكره الأرستقراطية أكثر من ذلك. القائد العام ترك زمام المبادرة في هذا الطرف، من طرف مجالس أحد بودرياح. أحد أخطائنا هو اعتقادنا الدائم أننا يمكن أن نستفيد من المور البربر من أجل توسيع تأثيرنا في بلد ليس لديهم فيه أي تأثير أو أي اعتبار. تقدم عربي من فرنسي لأنه اعترف له بحق الأقوى، ولكن الرغبة في جعله بطبع مدينا أو تاجرا فهذا يعتبر إذلالا سيرفضه بكل ما أوتي من قوة.

الأغا الجديد حميدان بن أمين السكة لم يتمكن من فعل أي شيء. يجعل العرب ينسون وصمة عار أصله ومهنته. كان يتميز بجشع مفرز، وشجاعة أكثر من الاشتباه بها، وخيانة أمانة مؤكدة. وإلى جانب ذلك المور لا يعرفون البلد جيدا، لأن مور الجزائر العاصمة لا يغادرون مشارف هذه المدينة إلا نادرا. في اليوم الموالي لاحتلال الجزائر، أرسل باي التيطري ابنه إلى السيد بومونت، من أجل إجراء استسلام وطلب السلوك الآمن حتى يأتي بنفسه إلى الجزائر العاصمة. تمت الموافقة على هذا السلوك الآمن، وقد أتى الباي شخصيا. وقام بإداء يمين القسم بالولاء لفرنسا وحكومتها.

لها سبب إلا الشعور بالفضول، لأنه لا علاقة لذلك بأي فكر سياسي. قامت المجموعة الصغيرة بالمرور على جسر واد الكرامة، وتوقفت طويلاً في بوقاريك، هذا المكان المعروف كثيراً حالياً، والموجود في وسط مقاطعة بني خليل، ووصلوا في الليل إلى البلدة، أين تم استقبالهم بحفاوة من طرف سكان المنطقة. في اليوم الموالي، لم تتأخر في إدراك أن العرب والقبائل يحضرون لمحاربتنا. كان العدو قد قام بقصارى جهده من أجل إخفاء نوابه، إلا أن كان قد قبح جميع أفراد الفرقة العسكرية، لأن ذلك كان وشيكاً لو أراد.

أقام الضباط معسكراتهم على أبواب المدينة، وهم متحمسون بفضولهم، وقد تحمل الجنود عن كل شيء تقريباً، حيث تخلوا عن مواقعهم من أجل زيارتها، ولكن تم تحذيرهم عن طريق مظاهرات معادية جزئية، وقد ركضوا إلى معسكراتهم في حوالي منتصف النهار، تم اغتيال قائد سرية الأركان، بعيار ناري خلف سياج، حيث كان هناك ليقضي بعض الحاجات الطبيعية. على الساعة الواحدة، أعطيت أوامر الانطلاق. وبمجرد ما بدأت الفرقة العسكرية بالسير، تعرضت لغجوم من مجموعة كبيرة (سرب) من العرب والقبائل، وكان الحلاق السارق يهاجمنا جعل الكثير منا يترك المعركة. لحسن الحظ، تذكر الجنرال لورال الذي كان يقود الفرقة العسكرية أن الطريق الذي سلكوه ليس كان أحرقاً ومحاصراً في مسافة كبيرة: سلكوا طريقاً آخر أوصلا على الفور إلى السهل. بدون هذا الالتفات السعيد، كاد العلو أن يقتضي علينا.

حفل التعرف على باي التيطري كان يوم 15 جويلية. ومن المعتاد في هذه الظروف أن يحصل المستسلم على علامة الكرامة، وهو سيف شرقي السيد الذي أردنا تقديمه لمصطفى تحت سرقة في القصة نفسها، قبل وقت قليل من الاحتفال، ولم نجد ما يحمل محله. على الرغم من أن المضيفين الجدد لهذا القصر ضبطوا وجود العديد من الأسلحة الثمينة. لم يتلقى مصطفى أي سيف وهذا ما تسبب في استياء عميق. ومع ذلك، غادر إلى المدينة، عاصمة محافظة التيطري محتجاً على تكريس نفسه لخدمة فرنسا.

بعد أيام قليلة من ظهور حمدان في خدمة الأغا، ظهر بين زمون، وهو رجل ماهر ومؤثر على قبيلة فليسة بمقاطعة مباحو، في اتصال مع القائد العام. اتصالاته أو مراسلاته كانت تثبت أنه شكل المشروع على نطاق واسع، خلقت مكانة سياسية مرموقة، بتشكيل وسيط بيننا وبين أبناء وطنه. العروض التي قدمها لنا كانت ذات طبيعة تجعلك ترحب بها أكثر من القيام بها. لقد توصل إلى إقناع تجمع كبير، أين يجب أن يقترح على العرب الاعتراف بالسلطة الفرنسية، بتعيين بعض الشروط التي تضمن لهم الرفاهية والحرية. عندما علم أن المارشال دو بورمونت يحضر للسير إلى البلدة، كتب له على الفور من أجل منعه من ذلك، ومن التقدم في البلد، حتى تقوم معاهدة جيدة من تنظيم طبيعة العلاقات بيننا وبين العرب. لم يستجب السيد دو بورمونت للتحذيرات، وانطلق إلى البلدة في 23 جويلية مع 1000 إلى 2000 رجل من المشاة، ومئة حصان ومدفعين. هذه الحملة لم يكن

في السهل، لم يكن للقبائل شيء يحميهم ولذلك لم يغامروا كثيرا. ومع ذلك واصلنا طريقنا حتى سيدي حايك، على بعد فرسخ (ما يعادل ثلاثة أميال) تحت بوقاريك. وفرت مجموعة جنودنا بعض تحميلات الأسلحة، ولحسن الحظ مازال النظم يسود فرقنا العسكرية. ومع ذلك، لم نتوقف سوى في محطة واحدة فقط من البلدة إلى سيدي حايك، وسرعة سيرنا أعطت لفرقتنا صورة الفارين. نامت فرقنا في بشر توتة، وهنا تلقى السيد بورمونت عصا وبراعة اختراع مارشال فرنسا، الذي جلبه له ضابط الأركان، والذي وصل إلى الجزائر خلال غيابه. تعيينه كان معروفا منذ عدة أيام. فرحة الانتصار، بعد احتلال الجزائر، تسمرت بالنسبة إليه بموت ابنه. هما كان موت السيد تريبلان، هذا القائد للمرية التي تحدثنا عنها سابقا، والذي أحبه مثل ابنه، جاءت أو سمة تكريمه لتغطي على حداده. وهذا الجنرال البائس (الحزين) لم يستطع أن يثبت رضاه بالمجد الذي حققته الحملة له.

بالإضافة إلى ذلك صادف السيد دو بورمونت بعض الصعوبات التي أثرت على تخرجه في البلدة. جرح فخره وحيه وسعى بشكل طبيعي إلى البحث عن الأسباب الخارجية البعيدة عن مهوره. مور مدينة الجزائر العاصمة جعلوه يسمع أن الأتراك الذين بقوا في هذه المدينة يمكن أن يساهموا بمؤامراتهم. ويبدو أيضا أن خيائته وخداعه بسهولة يكون بوضع طرق مفترضة بين عينه، وفيها قام الأتراك بتكليف العرب بحمل الأسلحة. القائد العام، الذي كان يجب أن يحصل على مدنيين، أخذ ما عرض عليه، وأمر بترحيل كل الأتراك بكل وحشية،

وهو الشيء الذي لم يكن في شخصيته. لم يستثن إلا المستن والكتوفين. كان يرغب في البداية في ضرب المظيين بضرية مليوني فرنك (2,000,000)، لكن سرعان ما تحول عن ذلك، خشية أن يكون مجبرا على استخدام الوسائل التي تتبر الشترازة. بالرغم من عودة الأتراك إلى الاعتقال، إلا أن ذلك لم يكن أقل ضغطا من الرجال الجشعين الذين استغلوا مصائبهم. العديد من مور المدينة الجزائرية أغلوا منهم مكافآت ومبالغ معتبرة، كتمن للخلعات التي لم يقدموها، وقصة عن وجود لم يكن مهلدا أبدا. اسم القائد العام قام لأكثر من مرة بشوية هذا النوع من المفاوضات، بواسطة رجال دون حياء، والذين كان من الخطأ دعوتهم إلى مثل هذه الأعمال، ولكنه كان بعيدا عن معرفة وحتى معاقبة من ارتكبوا هذه التصرفات المتعفة.

الأتراك الذين تم نفيهم تعرضوا لابتزاز من نوع آخر. الفترة القصيرة التي منحت لهم من أجل وضع الترتيبات اللازمة لأموالهم، جعلهم يفرطون في قيمة فوائدهم الصرف إلى بلاد الشام وإيطاليا. ولم يستطيعوا أن يحصلوا إلا على أسعار ياهظة. بعض وكلاء الفئيلة الخارجية دنسوا صفاتهم في هذه الأسواق بسبب الفوائد الفاحشة.

قبل حملة البلدة، كان السيد دو بورمونت مشغولا بتوسيع علاقاتنا حتى محافظتي قسنطينة ووهران. ونلقى اتصالا من الحكومة، يعلمه بأن مشروع دخول النوبة العشائية في الجزائر العاصمة وداخل مجلس الوصاية، والابقاء فقط على الساحل الطلاقا من الأربعين ووصولنا إلى طبرقة، وهي المنطقة التي

يجب التوقف عندها. بما أن احتلال عنابة قد دخل في تنفيذ هذا المشروع، فقد تم حلها. ومن جهة أخرى، قام باي وهران بتقديم عروض الاستسلام، التي لا يمكن التراجع عنها، مهما كانت آراء الحكومة اللاحقة في هذه المحافظة، وقد أرسل إليه نقيب قائد أركان من أجل استلام يمينه. هذه المهمة كلف بها النقيب دو بورمونت.

تتكون المجموعة التي قادت الحملة إلى عنابة من الفرقة 1 من القسم 1 من الجيش، ويطارية ميدان ومجموعة من مطلق النار، ممن نزلوا يوم 25 جويلية على متن أسطول يتألف من سفينة وفرقاطتين وشرعية. هذه المجموعة من السفن، يجب أن تنزل المجموعات العسكرية في عنابة لتعود إلى طرابلس من أجل إرغام باي هذه المنطقة على إصلاح الإهانة التي صدرت منه في حق الجناح الفرنسي. كانت هذا المجموعة تحت قيادة الجنرال دامريمونت، الذي أعطى في بداية حملته أدلة على براعته وشجاعته. كان سرب الجنود تحت أوامر محافظ الأميرال روزاميل. وبسبب عامل الوقت، لم تصل إلا في 2 أوت أمام ميناء بون، وقد تقدمته السفينة التي كانت تحمل السيد دو ريمبارت، وهو عميل سابق في الوكالات الفرنسية في إفريقيا. احتفظت هذه الأخيرة بذكاءاتها للمدينة، وأقنعت بدون عناء السكان من أجل استقبال الفرنسيين. وقد تم الهبوط بدون وجود عواقب تذكر.

قد يكون هذا المكان المناسب من أجل معرفة بعض التفاصيل عن محافظة قسنطينة، كما ذكرنا بالنسبة لمحافظة الجزائر، ولكن مثل هذا الاحتلال الأول

ليون لم يدم طويلا، وبقينا لأكثر من سنة بدون علاقات مع هذا الجزء من مجلس الوصاية. وسنعود في كتاب آخر إلى وصف ما يجب أن نقدمه. لقد تصرفنا بنفس الطريقة بالنسبة إلى محافظة وهران.

شغل الجنرال دامريمونت نفسه مباشرة بعد هبوطه بوضع قواته في موقف دفاعي ضد العرب، الذين كانت مواقفهم بعيدة عن مواقف سكان المدينة. المفاوضات التي أراد أن يبدأها مع القبائل المجاورة كانت دون نتيجة، سواء كان ذلك بسبب خوف هذه القبائل من التعامل مع الفرنسيين، لجلب استياء باي قسنطينة، أو بسبب كرههم للمسيحيين الذي يعدهم عن أي اعتبار آخر. على بعد 400 متر من بون القديمة، توجد أسوار قلعة، مثل ما في الجزائر العاصمة، وتسمى القصبية. استقرت إحدى الكتائب هناك، أما بقية الفرق العسكرية فقد بقيت في المدينة، وحصنين تم بناؤهما على يمين ويسار طريق قسنطينة.

لم يتأخر العدو من القدوم لمضايقة قاعدتنا الأمامية بواسطة نار المحاربين غير المرحب بهم. في 6 أوت، أراد السيد دامريمونت أن يلقنهم درسا ليعلموا مع من يتعاملون، وأمر بتنظيم حركة هجومية عليهم: لم يتحمل العرب صدمتنا، واختفوا. وفي اليوم الموالي، قام شيخ المجموعة (الكال) بتعزيزات خاصة، فتجمعوا، وفي ليلة 7 و 8 أوت، هوجت صفوف الفرنسيين. تقدم العرب حتى حافة حفرة الحصن، ولكن حريقا مهولا وقف أمام عبورهم. في صباح 10 أوت، كان هناك هجوم آخر، لكنه كان ضعيفا.

في 11 أوت، لاحظ الجنرال دامريمونت أن الحركة السائلة بين صفوف العرب كانت مختلفة، وأن عددهم أصبح أكبر من المعتاد، وبذلك أدرك أن يتم التحضير لهجوم خطير. انتقل شخصيا إلى الحصن الذي كان يعتبر حسا موقعه الأكثر عرضة للتهديد، واستعد للدفاع قوي. خطط لانطلاق الهجوم من الساعة الحادية عشر ليلا. تسلل العرب إلى أماكننا بجسارة مثيرة للإعجاب كان الجنود سعداء بمواجهتهم عدوا من مستواهم. تم صدهم بصعوبة وتواصل ذلك حتى الساعة الواحدة صباحا. عبر العديد منهم الخندق، وصعدوا على شرفات القلعة، وقاتلوا بال سلاح الأبيض داخل الحصون، أين ماتوا بكرامة بعد معركة شرسة، ساعدت فيها الشجاعة على الانضباط، وانتصرت الشجاعة لوحدها. ترك العرب 85 جثة في الخندق وعلى شرفات الحصون، دلالة على أنهم قاتلوا بشراسة. سمعت بعض الضباط يقولون بأن نجاحنا، دون أي أدنى شك، لن يكون كبيرا لو كنا في سهول سطاوالي، ولكان أكثر فتكا بأرواحنا، لو وجدنا أعداء مروعين مثل الذين وجدناهم في عنابة.

هذا الهجوم الساخن، كان آخر محاولة للعرب: حيث اقتنعوا بعدم جدوى جهودهم، وعاد معظمهم إلى القبائل. واصل عدد نادر جدا من المحاربين وقوفهم أمام مواقعنا. كان اللواء دامريمونت يستمتع بلذة النصر، حين تسلم فجأة أمر العودة إلى الجزائر العاصمة. سرى لاحقا سبب هذا الاستدعاء العاجل.

بينما كانت هذه الفرق العسكرية الشجاعة تقاتل في عنابة، نحصل محافظ الأميرال روزاميل في طرابلس على الإرتياح الذي كان يصبو إليه. وفي طريق عودته، أخذ فرقة دامريمونت، التي دخلت إلى الجزائر العاصمة في 25 أوت، بعد غياب دام شهرا. هذه الرحلة القصيرة كان شرفا كبيرا للجنرال دامريمونت. كانت مواقفه العسكرية تستجيب لمواصفات الصورة التي أعطاها عن نفسه، كما جعله سلوكه وتصرفاته اتجاه سكان عنابة معروفا في جوانب أخرى لا تقل حميرا وحسنا. أولى في البداية الرعاية والاهتمام لوظائف القايد والقاضي، وأنشأ بعد ذلك مجلس الأعيان للتوسط بين المواطنين والسلطة الفرنسية. عندما كان عليه اتخاذ بعض الإجراءات التي يمكن أن تتنافى مع عادات السكان، كان يسمع أهدافه لمجلس الأعيان، ويقوم هذا الأخير بإيضاح نواياه للسكان عموما. كانت معاملته بهذه الطريقة من أجل كراء المنازل المطلوبة لتكون ثكنات، وخلال أيام قليلة تم إيواء فرقته العسكرية. دقته في الوفاء بوعوده، وطباعه اللطيفة، لم تتوان في جعله يحصل على تقدير واحترام المواطنين، الذين أسرف في تقديم أدلة أقل غموضا عن عاطفته اتجاههم حتى آخر لحظة. كانت سمعته في العدل والاعتدال مشيرة إلى الخارج، وهذا ما ساعده على الحصول على استسلام بعض القبائل الذين يعرفون قيمته عنما جاء أمر بإجلاء عنابة، مما تسبب في إجهاض علاقة كانت بدايتها جيدة. وبمغادرته، ترك ذخيرة لسكان عنابة، إلى جانب سلوكهم

الوفى والموالي لنا، مما دفعهم إلى الانتقام من باي قسطنطين. جعلهم يتعلمون بأسر
دعم فرنسا الدائم لهم.

لقد رأينا فيما سبق بأن القائد دو بورمونت تم إرساله إلى وهران من أجل
استلام وثيقة استسلام الباي. هذا الشخص (الباي) الذي يدعى حسن كان
رجلا قويا، منا وقد ستم السلطة. ولم يكن يريد إلا العيش بسلام بشرون
التي اكتسبها. عرب المحافظة أرادوا أن يستغلوا سقوط الحكومة الجزائرية من
أجل استعادة استقلالهم، الممنوع في العاصمة، وذلك عندما وصل القائد
بورمونت. بالرغم من أن هؤلاء الأتراك ظلوا أوفياء، إلا أنهم رفضوا العيش
قلقين إلى جانبه، وطالبوا بإصرار إرسال فرق عسكرية فرنسية إلى وهران
ووعدوا بتقديم المدينة والحصون. وفيما يخصه شخصا، أعرب عن رغبة في
الاستقالة وإكمال أيامه الأخيرة في آسيا.

وبينا كان يحدث النقيب دو بورمونت، رعى النقيب لو بلان، الذي يهود
شراعية (التين) وسفيتين، بالصدفة في مكلا وهران، وأخذ على عاتقه مهمة
إنزال المئات من البحارة إلى الأرض. هذا ما أدى إلى الإستيلاء على حصن المرسى
الكبير، دون أن يبدى الأتراك، الذين شكلوا الحامية، أية مقاومة. هذه الطريقة
المباغتة للمظفي قدما لم تغير شيئا من مواقف الباي. عاد النقيب دو بورمونت
إلى الجزائر العاصمة على متن شراعية التين، ليعلم والده والبحارة الباقيون في
حصن المرسى الكبير بأنه مدعم في المكلا (مرسى) بوجود سفيتين أخريين.

وحسب تقرير ابنه، انتقل المارشال دو بورمونت إلى وهران رفقة الخط 1،
الذي يقوده العقيد غوتفري، الذي تسلم 50 حيرا في الخمسة الطفرات،
ومدفعين جبليين من نوع هاوتزر، أبحر أعضاء البعثة في 8 أوت، ولم تلبث حتى
بسياء مكلا وهران حتى تم طلبها عاجلا كذا هو الحال في غابة. نزلت بعض
سرايا الجيش إلى الأرض، ولكنها صعدت على القور مجددا، ولم تترك حصن
المرسى الكبير من خلال القفز عبر حصن الجانب الأمامي من البحر. عرفنا
على الداي نقله إلى آسيا، التي أبدى الرغبة الملحة عليها. لكنه أجاب بأنه يريد
لو يحصل التفاهم مع العرب، وبقي في وهران، لكنه كان ينظر إليه دائما كتابع
خادم للملك فرنسا.

وبينا كانت تجري هذه الأحداث، كانت هناك محاولة من أجل الاعتراف
بالهيمنة الفرنسية على بوجي (بجاية). في 1 أوت، تقدم فرد من هذه المدينة إلى
السيد دو بورمونت، ويدعى مراد، وقال أنه مرسل من طرف المواطنين الذين
يرغبون في الاستسلام لفرنسا. وطلب لنفسه مهمة القائد، وقال بأنه يكفي
وجود سفينة حرب واحدة كي يعترف بسلطانها في بوجي. وكى يبدى الخشاع
الفرنسي الاهتمام به. وافق المارشال على طلبه، دون أي امتحانات، وعبه "قائد"،
وتحصل على شهادة وهدايا وختم أيضا. تلقت شراعية الدولة أوامر بقيادته إلى
بوجي، وتنقل معه ضابط أركان من أجل معرفة البلاد، وموظف مدني من أجل
إنشاء علاقات تجارية إن أمكن ذلك. وبالوصول إلى مرسى (مكلا) بوجي،

توجه مراد والمور الثاني، الذي كان من المفترض ان يكون نقيب الميناء، نعم الشاطئ، على متن قارب كان يملكه، والذي اتبع السفينة الشراعية، ولكن بمجرد نزولها قطع رأسيهما. دخلت الشراعية التي أطلقت مدافعها عيارات نارية إلى الجزائر العاصمة، بعد هذا المشهد الدموي.

يبدو أن هذا اليأس مراد، الذي كان شابا ومتعطشا ينتمي إلى هذه المدينة، ولكن بغيا به القصير، انقلب الحظ عليه. على أي حال، كانت هذه المجزرة التي حدثت تحت أعيننا، في حق رجل جعلناه يتمتع قليلا بوظائف مرموقة، وانلا، عنابة ووهران، والتي يمكن للعرب أن يتبهاواها، ويوجهوا ضربة قاتلة لا اعتبارا الذي قل بعد معاهدة البليدة. فقدنا كل تأثير معنوي بأخذ الجزائر، ومررنا عبر جميع أنحاء البلاد، على شعب دون إرادة ولا مثابة، مما يسمح لنا بالقيام بكل ما نريده. تعززت وقاحة العرب خصوصا بسبب الهمود والتراخي الذي لحق بالسيد دو بورمونت في الجزائر العاصمة، عندما علم بأحداث جويلية.

في 11 أوت، وصلت سفينة من التجار من مرسيليا، وهي تحمل غالى الجزائر العاصمة نبأ سقوط تشارلز العاشر. وبما أننا لا يمكن أن نحفظ بأدنى شك، بدا أن السيد دو بورمونت كان قادرا على تحقيق مشاريع أكثر أو أقل اتفاقا، بهدف الحفاظ على شرعية جيش إفريقيا. لكن عندما أعطت اتصالات الضباط للأحداث التي كانت فرنسا مسرحا لها صفة عمل منجز، فقد تخلى عن متابعة الطريق، وبعد أيام قليلة من التردد الذي تصوره جيدا في موقفه، قام أخيرا برفع

ألوان العلم الثلاثة على أسطوله. الطريقة التي أثارت بها ثورة جويلية اعجاب جيش إفريقيا، لا تدرج إلا بشكل غير مباشر جدا في موضوعي، أعتقد أنه يجب أن أعود في ملاحظتي إلى ما يجب أن أقولها في هذا الصدد⁽¹⁾.

لا يمكن ولا ينبغي على السيد دو بورمونت التواصل مع قواته التي حصل على إشعار رسمي لاستقبالها من الحكومة. هذا الأخير، الذي رآه مناسبا للحد من ثورة جويلية لإبعاد ضيقة من تنازل الملك، أشار المارشال إلى هذا التنازل، وترقية السيد دوق أورليانز إلى منصب الملازم الأول العام للمملكة. توقفت اتصالات الحكومة هناك، والسيد دو بورمونت لا يمكن أن يعرف بالجيش الذي ناداه هذا الأمير إلى العرش. لم يعرف ذلك إلا عن طريق الصحف وإعلان وصول الجنرال كلوزيل، خليفة السيد دي بورمونت، الذي عرف أن للملك الجديد شرعية القانون، الخاصة بالخيار والضرورة. الجيش الذي كان على قناعة للقيام بكل شيء أفضل لفرنسا، لم يعد يهتم بهذه القضية.

بمجرد أن سمع السيد دي بورمونت عن أحداث جويلية، قال أنه يرى ضرورة جمع كل القوات لتكون جاهزة لوقت الحاجة. حتى أنه سارع في الجزائر العاصمة إلى استدعاء اللواء دمريمونت وفوج العقيد غودفراي، مما أدى إلى إجلاء بون والتخلي عن وهران التي تحدثنا عنها من قبل. هذا الاجراء، المبرر باقتراب حرب أوروبية، ربما كانت هناك دوافع أخرى، ولكن لا جدوى من البحث عنها.

(1) النظر في الجزء الثاني الملاحظة 6.

السيد دي بورمونت الذي، على ما يبدو، كان يأمل بأن تكون الحصة التي قدمها لكل المسيحيين، مستحق له المحافظة على موقعه على الأقر قام باي التيطري بأخذ ذريعة طرد الأتراك، لإعلان الحرب، وتكلم في دون أن يتبع ذلك بأي عمل؛ ولكن الجيش الذي كان كله يحاصر الجزر العاصمة، كان مجمدا في خطوطه من طرف غرب متيجة كانوا يشتر جميع الذين يغامرون بالخروج. تم قتل عقيد الفوج 1 وأحد ضباطه سهل باشا مصطفى، على بعد أقل من ميل من قلعة باب عزون. وهكذا فإن الفاترين بالجزائر العاصمة، الذين بالكاد عثروا على مكان للتجرك قد حوصروا من قبل بعض الرعاة المسلحين على نحو ردي، تحت ضغط مخاوفهم، وانتظار قرار الحكومة فيما يتعلق بمصيرهم.

وأخيرا، في الأول من سبتمبر، ظهرت السفينة التي تحمل الجنرال كنوزيل وخليفته السيد دي بورمونت في ميناء الجزائر العاصمة. وفي اليوم نفسه أدخل الجنرال إلى عاصمة مجلس الوصاية. السيد دي بورمونت الذي أعرب حتى الآن، عن نيته في الذهاب إلى فرنسا، غير قراره فجأة، دون أن يعرف جيدا ما نوع التأثير الذي سيفرعه، فور بعد بعض التردد، أن يتسحب مؤقتا لماهون، وطلب من سفينة الدولة أن تقوده، لكنها رفضت بشدة، وذهب بعد ذلك إلى الميناء، مع عدد من أعضاء جناحه، وهناك بحث مطولا

عن سفينة تجارية لتستقبله. ولم يجد الا سفينة شراعية نمساوية صغيرة، والتي أبحر عليها في اليوم التالي مع اثنين من أولاده. الأكبر ذهب ليحمل علم فرنسا الذي أخذ على العدو، أما الرابع فقد قتل في الحملة. وهكذا، تم نقل السيد دي بورمونت عن الجزائر العاصمة. ومع ذلك، فقد هرعت بطاريات البحرية في وقت رحيله، إلى تحيته كجمعية خيرية، من خلال إطلاق واحد وعشرين طلقة.

الكتاب 5

وصول الجنرال كلوزيل. - لجنة التحقيق. - تنظيم جديد للجيش. -
تدريب الزواوة (جندي المشاة الجزائري في وحدة جيش فرنسية). - لجنة
الحكومة. - منظمة الخدمات العامة المختلفة. - العدل. - المجال. -
الجهارك. - تدابير المكافحة الصادرة في حق الأتراك والشركات. - المزرعة
النموذجية. - تحليل أعمال الإدارية المختلفة.

شغل السيد الجنرال كلوزيل، الذي وضعت الحكومة الجديدة على رأس
جيش أفريقيا، مكانة متميزة في تاريخ المجد الفرنسي، وكنا نتطلع إليه، وكنا
على استعداد لاستقباله. ولكننا أجبرنا على القول أن أول اتصال له مع
الجيش من المرجح أن يكون لحفظ الحماس قليلا، أصدر أول إعلان يعلم
بوصول قوات الملك لويس فيليب، والبعثة التي كان مسؤولا عليها، دون
أن تشير كلمة واحدة إلى أن المجموعة كانت مسرورة بجيشه الأفريقي، ولا
أنها تبني المجد الذي غطت عليه.

في اليوم الموالي ظهر جدول أعمال حيث كانت هناك حملة قصيرة مفادها
المدح في مقدمة لإعلان تشكيل لجنة تحقيق لرؤية الحقيقة حول موضوع
معاقبة المدنيين المتهمين بالإشاعة في جيش أفريقيا. جدول الأعمال هذا،
كان رد الفعل عليه أكثر عداء من كونه مرحبا به، وقد أنتج تطاعا مؤلما.

يبدو بالتأكيد أن الانتشار المؤسف لواقع الخراب الذي اقترف في الجزائر العاصمة في الجرائد، كان كثيفا بما فيه الكفاية لجعل الجنرال كلوزيل عملا على التحقق من حقيقة ذلك، ولكنه كان يرغب في تجنب الجيش الذي يقوده العقوبة، فلم يرغب في وضع 36000 رجل محل إدانة بسبب جرائم لم ترتكبها الا مجموعة صغيرة من الجيش.

اختيار أعضاء لجنة التحقيق لا يمكن أن يخفف الاجراءات التي كانت مهينة: تم تعيين القليل من الرجال الذين نجبهم ليكونوا قضاة في قضايا تخص الشرف. بدأ هؤلاء السادة مهمتهم بمرارة، وكانوا يشيرون الى الاعتقاد بأنهم غيرون من المفسدين. لكنهم كانوا أكثر لطفا تدريجيا، وفي الأخير، وفي 21 أكتوبر، لم يفقد الجيش الذي علم رسميا تقدير السادة دولور وفوجيرو وكادي دوفو وييلو دوي وفلانندان. ظهرت بعض الاضطرابات في تلك الفترة، لكن تم التخلي عن الندم الذي كان يلاحقهم، وواصلوا الى ما لا نهاية.

بينما كان هذا يحدث في الجزائر، تفرغ الضباط الرسميون من جيش إفريقيا العائدون إلى فرنسا، في مارسيليا وتولون، إلى البحوث الأكثر ازدراء. وقد حمل موظف جمارك بابس عار تفشيش جثة الشجاع أميدي بورموث الذي نقل للدفن.

وبالعودة الطبيعية للأشياء، عانى السيد الجنرال كلوزيل بدوره من هجمات ضمنية. انتقد بمرارة بسبب بعض الاتهامات الخاصة بالاستحواذ على الملكية

التي قدمت له خلال فترة قيادته. فعبنا إلى أبعد من ذلك، وما يمكن أن يثبت له في هذا القرن هو عدم تجنب أوحاية أي شخص، ولا حتى أولئك الذين يتمتعون بأفضل سمعة وأروعها ويستحقون الأفضل. وعلاوة على ذلك، حتى عندما سمى الجنرال كلوزيل لتحسين ثرواته في أفريقيا، كان يقول دائما، كما هو الحال بالنسبة إلى المارشال فيلار، بأنه إذا خدم نفسه، لم يعمل أبدا شئون فرنسا.

الحق بنظراته الواسعة روحا قوية، وقد كان أساسا يتمتع بصفة جيدة وثمينة، تمثل في معرفته الجيدة كيف يتكفل بكل شيء بنفسه. فمن المقترض، ونود أن نعتقد بأننا لو تركناه يعمل ما يشاء، لكان قادرا على الاستفادة من البلد الذي يديره لوقت قصير جدا. ولكن من المقترض بسبب هذا الدراسة بعناية أكثر مما قام به، وخاصة الإبعاد عن شخصه بعض الرجال الجديرين بفته، والذين يمكنهم فقط إعطاء الاتجاه الحاطن للأعمال.

لا يمكن للسيد الجنرال كلوزيل، الذي انسحب من الجيش منذ خمسة عشر عاما، وفائد أركاته السيد الجنرال دولور، أن يكونا على إدراك تام لتشريع العسكري، الذي يعتبر للأسف متغيرا. بعض الأعمال بحس بها من بداية إدارتها، ولكن سرعان ما تسلم هذه الأنواع من التفاصيل إلى تقرب الأركان السيد شابليل. هذا الضابط المتمكن والعامل المنضبط والجيد وصل إلى نشر هذا الجزء من الخدمة بلحن عسكري منظم، لكنه لم يستطع منع تشكيل أربعة أقسام من الأقسام الثلاثة التي تشكل جيش أفريقيا. هذا الإجراء تم

يكن غرضه سوى توفير فرصة عمل للجنرال كامسون، مرافق جيش السيد كلوزيل، الذي استخرج من ثورة جويلية، على الرغم من عدم قدرته حيا وجسديا على تقديم أي نوع من الخدمة.

كان من غير المعقول زيادة عدد أقسام الجيش، التي أمر العديد من ألوانها بالعودة إلى فرنسا: تمثلت هذه الاقواج في فوجي المشاة والخط 3. ملأ الفراغ بعد رحيلهم من الجيش، أمر القرار الصادر في 1 أكتوبر بتشكيل كتائب من الأهالي، تحت اسم كتيبة الزواوة. تصور السيد دو بورمونت مشروع هذه المنظمة، لكنه لم يعتقد أنه من الضروري وضعها موضع التنفيذ في الوقت غير مستقر الذي وجد نفسه فيه. الزواوة هم "القبائل" الأحرار من محافظة قسنطينة، والذين باعوا خدماتهم القوية البربرية، كما فعل السويسريون في أوروبا. تشكلت أولى هذه الكتائب، تحت أمر السيد نقيب الأركان مومي، بجدارية لاشك فيها، ثم حاولوا تشكيل الكتيبة الثانية، والتي كانت دائما غير مكتملة، تحت أمر السيد دوفيفي، نقيب الهندسة، وهو ضابط يستحق المنصب بجدارية عالية، بسمعته الرائعة في الجيش. جلبت الوعود الجميلة عددا من الأهالي في الصفوف الأولى، ولكن عدم أداء الوفاء جعل الكثير يغادرون. هذه الكتائب لم تحافظ على وجودها الا بالنشاطات المائلة من قادتهم، الذين اضطروا إلى المخاربة ضد الصعوبات من كل نوع، والتي كانت في معظم الأحيان صادرة عن الغيورين الموجودين مع القائد العام.

العديد من الجنرالات وكبار الضباط تركوا وظائفهم نتيجة لثورة جويلية. السيد ديسكار كان من بين الأوائل: تم استبداله في قيادة القسم 3 بالجنرال بومي، الذي خدم لبعض الوقت مصالح مصر.

فكر الجنرال كلوزيل، الذي اهتم بترتيب شؤون الجيش، وقدم الوظائف الشاغرة، في توسيع منطقة الاحتلال قليلا. كان هناك فقط طريقتين عمليتين للجيش من أجل الانتقال من الجزائر العاصمة إلى متيجة، أحدهما على ساحل البحر، والآخر عبر تلال الكتلة الصخرية للجزائر. تم إنشاء المواقع في هذه الطرق، وأهمها تشغل حوش الحسن باشا، الذي حصل على الاسم من المزرعة النموذج. هذه المزرعة، التي تشكل فيها المبانى موقعا سهلا للدفاع، على بعد ثلاثة أميال من الجزائر العاصمة، وفي سفوح مدخل متيجة. ومع ذلك، فإن القائد العام لم يغفل وجوب أن يكون محاربا ومسؤولا في نفس الوقت. نحن شاهدنا بأنه بإهمال السيد دي بورمونت تعطلت جميع الخدمات العامة. لقد أصبح من العاجل استعادة أمر بأن سكان أوروبا اللذين ينمون كل يوم.

في 11 سبتمبر، تشكلت إدارة الجهارك وإدارة ممتلكات الدولة. هذه الأخيرة كانت مسؤولة ليس فقط عن إدارة ممتلكات الدولة، بل يجب أن تكون على دراية بجميع الحقوق غير الجمركية. سلعت الإدارة للسيد جيراودين الذي وضع على رأس خدمة الجهارك، التي سيرها كرجل مستنير. لأن تكاليف

الجمع تحت إدارته، والتي كانت في تلك الفترة 18 % لم تكن تقدر إلا بـ 7,5 %.

في 16 أكتوبر، تم إنشاء لجنة حكومية لتوفير دفع للإدارة وتقرير المسائل والقضايا المثيرة للجدل. وتتكون من أمين خزانة جيش الاحتلال ومجلس الوصاية، الذين كانوا يرأسونها، ومن ثلاثة أعضاء آخرين، الأول للعدالة، والثاني للشؤون الداخلية، والثالث للمالية. وكان أعضاء هذه اللجنة كل من السيد فولاند، رئيس أمن المخازن، الذي حل محل السيد دوني، والسيد ديفال، قنصل فرنسا، المسؤولة عن العدالة، والسيد كادي دى فو، المسؤول عن الداخلية، والسيد فوجيرو، المسؤول عن المالية، كما تم تعيين السيد كازمكريا لهذه اللجنة.

تم الحفاظ على البلدية، التي أنشأها السيد دويورمونت. وكان على رأسها مفوض الملك، السيد كادي دو فو، خلفا للسيد بروجي، وبعد بعض الوقت، أصبح السيد جارمون نائبا له، الذي وضع في هذا الجزء من المصلحة أمرا بأن السيد كادي دو فو غير قادر على التكفل حتى نفسه.

تم استبدال السيد أويينوسك في مهامه كملازم عام للشرطة، بالسيد رولاند دي بوسي. وكان هذا الأخير يحمل فقط صفة المفوض العام، وتم تعيينه من طرف وزير الداخلية، الذي نص على التواصل مع الإدارة مع وزارته، على الرغم من أن الجزائر ليس ضمن اختصاصاته. أننا لا نعرف لأي حد امتثل السيد رولاند

دي بوسي هذا الحكم، الذي لم يعجب السيد الجنرال العام كلوزيل بالتأكد. العمل الأكثر أهمية في إدارة عامة كلوزيل، كان تنظيم المحاكم. في 8 سبتمبر، أنشأت المحكمة المختلطة المؤلفة من الأوروبيين والسكان الأصليين (الأهالي)، ولكن لم يكن هناك إلا وقت قصير، وقام مرسوم 22 أكتوبر بتنظيم إدارة العدالة على النحو التالي.

محكمة للعدل، تتألف من ثلاثة أعضاء، كان عليها أن تتعامل مع جميع القضايا المدنية أو التجارية، التي يتم بها الفرنسي، وأسباب لها نفس الطابع بين الأجانب من مختلف الأمم، وتلك الخاصة بهذه الأخيرة مع السكان الأصليين (الأهالي). سمح لها بتطبيق القانون الفرنسي أو القانون الخاص بمجلس وصاية الجزائر العاصمة، حسب الاقتضاء. يجب أن تحكم في نهاية المطاف إلى مبلغ قدره 12,000 فرنك. بغض النظر عن جميع الأضرار والفوائد.

يعلن عن المسائل الجنائية بين الفرنسيين في الجزائر العاصمة عن طريق محكمة العدالة، ويعاد إرسالها إلى فرنسا من أجل المحاكمة. الأمور الجنائية بين الفرنسيين والأجانب يتم التعامل معها بنفس الطريقة، ويكون الرئيس العام على علم بها من أجل تحديد انتهائها.

تم إنشاء محكمة الشرطة. وهي تجمع في مسؤولياتها تلك الصلاحيات الخاصة بقبضة الصلح، وتعتبر محاكم القضاء المستعجل (محاكم الشرطة البسيطة).

احفظ الأهالي بقضائهم وقوانينهم. جميع المسائل (القضايا) بين المسلمين

يجب أن تملأ أمان القاضي التوري والحكم غير قابل للاستئناف سواء كان من
أو الجنائية. جميع المسائل بين الأسرى البليين على حد سواء المدنية منها والجنائية
يتم تعيينها في محكمة المحاكمات الثلاث، والتي تصدر الحكم الساري لها
وفي الأخير كان حكم القاضي المغربي في جميع الحالات بين المسلمين واليهود
قابلاً للطعن أمام محكمة العدل.

وضع مرسوم 15 أكتوبر تحت ولاية مجالس الحرب، الأهالي للحدود
بالجرائم أو بالجرائم المرتكبة ضد الأشخاص أو ممتلكات الأوربيين، لم يكن
هناك أي تغيير في هذا الحكم.

لا يمس مرسوم 22 أكتوبر بقضاء الفصلية. وأصل موقوف مختلف القوى
في النظر في القضايا بين الناس من الذين يتمنون إلى وطنهم. أعطى القائد العام
إلى القاضي والمحامات سلطة قضاء غير قابلة للاستئناف، ليحفظ بالحق في
اتخاذ قرار عن الشكاوى أو إنكار العدالة ويمكن أن يحاكم عليها.
النشاط التشريعي الذي قمنا بتحليله فاز بمدح السيد يشون نفسه، والنقد
اللاذع عن كل شيء في الجزائر، لم يصدر عنه. عرف بسد حاجة اللحظة الحاضرة
دون المساس بالمستقبل، وتحويل الصعوبات بمهارة (1).

أي جانب ننظر إليه، هناك القليل مما يمكن قوله ضد الأحكام

(1) المور (المغربي) حمدان بن عثمان خوجة، في الكتاب الذي نشره عن الجزائر
العاصمة، ينتقد مرسوم 22 أكتوبر، بعد أن ألغى ولاية (السلطة القضائية) القاضي
الحنفي. ويدعي بأن هذا الإجراء هو عفة أمام التبرعات الصالحة، التي يعترف بها
هذا التشريع الحنفي، حتى عندما عرضت شروطها في هذا الصدد، كانت أسهل شروط
التشريع الملكي، الذي لا يعترف بها إلا عندما تكون فورية ومطلقة. يشكو حمدان من
الخطأ في هذا الظرف، لم يتم القاضي الحنفي وظلقة بسبب القضاء الذي لا يزال في
الجزائر، إلا بالاسم بما أن طرد الأتراك، الذين كانوا الحنفين الوحيدين في مجلس

الصادرة عن مرسوم أكتوبر 22، ولكنه لم يتم حتى تعيين القضاة
وهذا ما قدم العديد من المخالفات. في الأول السيد عبد الله الذي كان
في هذه الفترة العالمية لا يزال يشغل منصب القضاة، وفيه يتعلق بأحوال
الأحوال المدنية وكتابة العدل (نشاط كاتب العدل أو الموثق)، فلا ينبغي
أن تكون من نشاطاته، لأنه كان يمكن أن يطلب حكم صحة الأفعال
الصادرة منه ثم كان ينبغي أن يكون السيد رولاند دي نومي قاضياً
ويوقف عن نشاطه كمفوض الشرطة. وقد رأينا قبل عدة أشهر، يقوم
بإداء هذه المهام المتردوجة وغير المتناسقة.

السيد الجنرال كلوزيل، وبعد تنظيم أكبر الفروع في الحكومة، خلق
فرصاً قليلة للعمل تقتصر على استخدام أكثر أو أقل إثارة للجدل. وهنا
شكل لجنة طريق، التي يجب عليها أخذ جزء من الوظائف الطبيعية
للبلدية، لأنه لم يكن من المؤكد الاستقرار في الجزائر، وخاصة في هذا
الوقت، وهو تمييز بين الطرق الكبيرة والصغيرة. كلف أمين هذه اللجنة
بتغيير أسماء كل الشوارع، وما يصبو إليه هو عدم تعرف سكان الجزائر
على مدبرهم. أراد السيد كلوزيل أن يضع كل الأقربين إليه.

هذا المثال الجيد هؤلاء المخترعين، وأعقبه في ذلك رئيس أركانه، محل
الغاسكوليين (سكان غاسكون) المحليين على لائحة المترجمين العرب.

أوصية، ولما دون قضائهم. وبذلك توقف القاضي الحنفي عن كونه قاضياً، ولكنه بقي
ذلك على المسلمين، وإذا أراد السيد حمدان أن ينشأ له مؤسسة من ممتلكاته، فيستقل
لذلك بالكثير من الشرعية أكثر من الاستعداد.

الجزء الأول

الجهاز الإداري الذي تحدثنا عن نشأته، بدأ نشاطه من أجل السلطة، وأحيانا لأوامر القائد العام. وفي بعض الأحيان من أجل تشريع المدنية. سوف أقدم أهم الأوامر التي لها علاقة بإدارة ممتلكات الدولة.

في 8 سبتمبر، وبسبب حقارة الاستسلام، أمضى مرسوما يضم إلى ممتلكات الدولة، ممتلكات الداي والبايات والأتراك المرحلين، وكذا ممتلكات مكة المكرمة والمدينة المنورة. هذا الانتهاك من محلف كان خاطئا للغاية، وقد مر ذلك في باريس خفية، دون أن يلاحظه أحد. ولكن في الجزائر كانت هناك شكاوي حقيقية ونزيهة، ليس من طرف الأتراك، الذين كانوا يقتلون بكثرة لو تجرأوا على رفع صوته، ولكن من طرف عائلات الأهالي، التي كانت متحالفة معها. الذين نصحوا الجنرال كلوزيل بهذا الاجراء، كانوا يعرفون جيدا عدم الشرعية بعدم جعلها عامة معلنة عن طريق الملصقات، وسيلة النشر الموجودة في الجزائر: لا يمكن معرفتها الا بالتطبيقات التي أجريت على التوالي، حسب الظروف، وربما أيضا حسب ملاءمة المسؤولين المكلفين بالتنفيذ. سترى فيما بعد، ونحت إدارة الجنرال بارتازين، التحويل بالقبض لفترة غير محدودة، للمصادرة المعلنة ضد الأتراك المساكين من طرف السيد الجنرال كلوزيل. هذا القبض كان موجودا أيضا في اللحظة التي كنت أكتب فيها.

في 7 ديسمبر، ظهر مرسوم يعطي لإدارة ممتلكات الدولة حق نسيير ممتلكات مكة والمدينة، الخاصة بالمساجد، وعموما تلك التي تعود إلى جهة خاصة والمتعلقة بالمجتمعات. هناك ملاحظتان مهمتان حول هذا المرسوم، الملاحظة الأولى، أنه يتحدث عن ممتلكات مكة والمدينة وكأنها تنتمي إلى المنشأة، على الرغم من أن الاجتماع في الميدان يشير إلى أن الشرعين، مثل الجنرال كلوزيل، ينظرون إلى المرسوم الأول على أنه تافه، أو أنهم نسوا وجوده. أما الملاحظة الثانية، هي أن الظرف الذي صنع مرسوم 7 ديسمبر أقل جباية مالية) من الذي ساهم في تحرير مرسوم 8 سبتمبر. هذه ببساطة عبارة عن عملة إدارية تريد تحطيم المهام الخاصة في مجلس الوصاية، لأن قواعد قوانين تشريعنا المالي لن يقبل بها في فرنسا مجددا. لأنه كان من المفهوم أن الخزينة الكثر كان يجب أن توفر نفقات هذه المهام. طبق مرسوم 7 ديسمبر دون صعوبات فيما يتعلق بملكية النوافير، الكل كان يعلم أن نصب النوافير لدى المسلمين كان عملا خيريا عاما كثير الحدوث من طرف أشخاص أغنياء، والذين ينحصر في لصيانتها بنايات ومعاشات. كان في الجزائر العاصمة العديد من المؤسسات من هذا النوع الذي جرده مرسوم 7 ديسمبر. الاهتمام والحفاظ على النوافير يعر بأمين العيون، الذي لا يعتبر الاعمال خاضعا للعلماء المهندسين الفرنسيين، ومنذ هذا التغيير، كانت الجزائر العاصمة مهددة كل سنة بمشكل الماء. لا تتطلب الهندسة المدنية أقل من 600,000 (600 ألف) فرنك فرنسي من أجل ضمان الخدمة. هذا المبلغ الذي يقدم مسبقا يمثل اتفاقا سنويا يقدر بـ 30,000 (30 ألف) فرنك، ينبغي أن تكلفه صيانة

فتح الباب أمام شكاوى عديدة: كانت الحكومة منهورة في ذلك، ولكن وفقا لمعادتها حيث لم يسبق حل أي قضية بشكل كامل، فإنه لم يبلغ مرسوم 8 سبتمبر و 7 ديسمبر، واكتفت بالتخفيف من التطبيق. تم الاتفاق على أن ممتلكات هذه المؤسسات لا تزال يحكمها "الأوكيل" أو النيابة العامة للمسلمين، ولكن زيادة الدخل يتم دفعها إلى الخزينة.

وكان التسيير بعد ذلك في هذه المسألة على هذا القبيل، أن مصالح وزارة المالية وتلك الخاصة المؤسسات الدينية والخيرية تم التضحية بها لمصالح خاصة، وهذا يعني تلك المصالح الخاصة بالأوكيل. في الواقع، إذا كان مرسوم 7 ديسمبر قد طبق بالكامل، بعد دفع الكثير من التسهيلات للمؤسسات التي استفادت من الزيادات، وإذا كان العكس، وألغى المرسوم تماما، فيتم اتباع الإيرادات دون وجود أي عقبة إلى وجهتها السابقة. ولكن الحكومة التي تراجعت قبل التنفيذ الكامل لمرسوم ترك نوعا من الفوضى، وإعفاء من جهة، والذي أعفى الأوكيل من أي مراقبة للمؤسسات الدينية، والذي سمح من ناحية أخرى، بمعارضة الأوكيل للتطبيقات التشريعية التي مازالت قائمة، استجابة لطلب أولئك الذين لديهم الحق في الدخل من هذه المؤسسات. "هل يمكن أن نقول لهم، ليس لدينا ما نعطي لكم، لأن الفرنسيين يحجزون عائداتنا". كانت هذه الاجابة جديرة بالقبول (مسموحة)، كان هناك، في الواقع، المدفوعات قدمت لإدارة ممتلكات الدولة: أولا، في الأيام الأولى للاحتلال تمت إزالة كل ما تركه الأوكيل في التطبيق، ثم تم دفع مبالغ معتبرة في فترات مختلفة. مصطفى بودرياح، أوكيل

النوافير، والتي ارتفعت في 1834 إلى ما يعادل (24 ألف) 24,000 فرنك. الدخل الذي يتزع منه ملكية الدولة للنوافير ليس سوى 17,763 فرنك و 23 سنتيم. وبالتالي، سيكون علينا الإتفاق لهذا الشيء 36,236 فرنك و 78 سنتيم، التي تمكنا من اقتصادها عندما سمحنا ببقاء إدارة امين النوافير، التي تضمن تقديم خدمة جيدة أرخص من تلك التي يقدمها مهندسينا. وأنا أعلم جيدا أنه يمكن الاجابة على ذلك، بأن جنودنا حطموا أو دمروا جميع القنوات (النوافير)، وأن النفقات العامة الزائدة المفروضة على أنابيب المياه من طرف عريانتنا الثقيلة، والتي غالبا ما سحقته، فإنه ليس من المستغرب أن تكون الرسوم (ما يتم اتفাকে) في زيادة. ولكن إذا دمر الجنود القنوات، فمن ينبغي أن نلومه على هذا الخطأ؟ أما فيما يتعلق بالنفقات العامة الزائدة على قنوات، فالجميع يعرف أن هناك ثلاثة شوارع فقط في الجزائر العاصمة حيث يمكن للسيارات السير، وخارج الهندسة كانت متقنة بما فيه الكفاية في أرضه لكي لا تترك مجالا للمرور إلى الطرق التي بناها بالضبط فوق القنوات نفسها، إذا كان دراسة الاتجاه تتطلب كل هذا الأزعاج. أذكر على سبيل المثال طريق "بيرماردريس" (بير مراد رايس)، حيث لم تنته بعد عملية الحفر، وقد أدركت فرقة الهندسة انها كانت فوق القناة (قناة لجر الماء) التي تحمل نفس الاسم. من المؤكد أنني لست من المعجبين بالحكومة التركية، ولكن من المحزن أن نرى اننا نقوم بكل هذه الاساءة (الشر)، وننفقات أكثر منه.

التسيير من قبل الإدارة لممتلكات الدولة وممتلكات المؤسسات الدينية والخيرية،

مكة والمدينة، دفع خلال أربع سنوات ما يعادل 34,531 فرنك إلى الخزينة. وكان عليه توزيع في الوقت نفسه حوالي 50,000 فرنك على الفقراء، الذين كان يعطي لهم أقل من 250 فرنك في الأسبوع. أو الدخل (الإيرادات) التي سيرها باعتراف من الجميع تقدر بـ 80,000 فرن سنويا على الأقل، وكان عليه أن يحصل في هذه السنوات الأربع على 360,000 فرنك، منها 275,469 فرنك بقيت بالضرورة بين يديه.

ومن بين هذه المؤسسات الدينية، تلك الخاصة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وهي الأغنى، لتليها مؤسسة المسجد الكبير، وتلك الخاصة بالمساجد الأخرى، وتلك الخاصة بالأندلسيين أو أحفاد الموريسكيين (مور إسبانيا)، وأحفاد محمد عليه السلام (المسلمين)، تلك الخاصة بالزوايا أو المصليات، وعدد قليل من المؤسسات الأخرى. وكان جميعها من أصل الهبات ووصايا الارث، وجميعها يجب أن توفر سواء لنفقات العبادة، أو احتياجات الفقراء، أو فئة معينة من الفقراء، اعتمادا على الغرض من المؤسسة. غرض مؤسسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى مساعدة الحجاج الفقراء لمغادرة الجزائر إلى الأماكن المقدسة، فهي تقوم بإرسال بعض المال للفقراء في هاتين المدينتين. تعليق المساعدات الممنوحة للحجاج هو يعتبر خطأ وسلوكا متهورا جدا، لأنه لوحظ أن جميع المسلمين الذين قاموا بالرحلة إلى مكة الخمس عشرة سنة الماضية، ورأوا مصر تحت حكم محمد علي، فهموا جيدا أن المسيحيين والمسلمين يستطيعون العيش في ظل نفس القوانين.

وعلاوة على ذلك، فإن جميع المخالفات الصادرة، في هذه الفترة، عن إدارة إقامة المؤسسات الدينية لم يكن لها، كما قلنا سابقا، تأثير كبير لدى العرب. هذا ما يشارك بشكل قليل للغاية: يمكن أن نعطي الدخل الزائد من هذه المؤسسات الوجهة التي تناسبنا، دون أن يكون لدينا أي شيء من الخوف أمام احتجاجات بعض الناس المهتمين بالحفاظ على الانتهاكات القائمة. ولكن العدالة والسياسة ترضان علينا استخدام هذه الإيرادات من أجل رفاهية السكان المسلمين.

منذ احتلال الجزائر، وجزء من السكان الذي يعيش في المدينة في حالة من المعاناة الصعبة يصعب وصفها. من جهة، تراجعت مواردها وزادت أسعار السلع الأخرى بنسب مخيفة. وكانت العديد من المباني قد شغرت كما هدمت الكثير من المنازل لتوسيع الشوارع وبناء الأماكن العامة. بدأت سلسلة الهدم هذه تحت قيادة السيد بورمونت. وعد السيد كلوزيل بموجب مرسوم 26 أكتوبر بتعويضات تعود إلى أصحاب الممتلكات، ومس ذلك مباني ممتلكات الدولة (المنطقة). هذا الإجراء العادل والإنساني وضع تحت التنفيذ: سادت روح الضرائب البغيضة على قواعد العدالة والشرف، وسحق التنازل. في أمة يرتفع فيها الدخل إلى 1200 مليون، كان الإفلاس للأسر الفقيرة التي جردت ضد كل الشرائع السماوية والبشرية. أقول الإفلاس، والاما معنى وعود يكون فيها التنفيذ مؤجلا باستمرار؟ ومع ذلك، لا شيء يمكن أن يكون أسهل من التأثير على إعفاء مباني القطاع من هذا الدين المقدس، الذي تكون فيه الواردات دائما عار على الخزينة، وضحايا إدارتنا لن يتم تعويضهم؛ ماذا الأسرة التي جردت

من بلا مأوى، وفي الشارع الذي أصبح فيه الرصيف بمثابة وسادة السرور،
يخرجون على تأمل منزل بدلا من إعطائها لها سوف يعود في وقت لاحق إلى
هذا الموضوع المحزن، ولكن تحذر القارئ منذ الآن، أن بعد عمليات القدم
التي كانت واسعة في الجزائر لتجعلها كومة من الأنقاض، قد يكون في كثير من
الأحيان بسبب آخر غير الأفكار بعض الروائية لبعض المهندسين المهنيين
الذين وضعوا هذه المدينة المسكينة في وضع مزري، حيث كان التقسيم والقطع
يتم دون توقف، كما عشي دون راحة بالأسواق التجارية المقيدة والمضائق
والمؤسسات العامة، في نقاط مختلفة بدأ الهدم فجأة بدأت بسبب نزول، ومن ثم
تدخل عنها مرة أخرى، ثم تعود إليها وتدخل عنها مرة أخرى، بناءات بدأت على
هذه الأنقاض يمكن أن تكون قائمة إذا أعيدت حسب خطط جديدة السلطة،
والتي كانت لا تزال بعيدة عن كونها نهائية، لكن لنعد مرة أخرى إلى بقية تحليلنا
الآخري.

في 8 نوفمبر، يمنع مرسوم من نقل ملكية الممتلكات العقارية، ولا يسمح
للإيجار إلا لثلاث سنوات، لم تكن تعرف الإدارة بشكل جيد جدا، في ذلك
الوقت، ما كانت تمتلكه، وبعد الكثير من العناء، تمكنت اليوم من معرفة بعض
الوقائع.

وضع مرسوم 7 ديسمبر شهادة براءة للمهنة الصناعية، وهي تنقسم إلى أربعة
أقسام، إلى جانب العتبة الاستثنائية المكونة من المصرفين، في 31 من نفس
الشهر، كانت الحانات (محلات المشروبات) تخضع لحق البيع.

ظهر في 17 سبتمبر مرسوم خاص بالجهازيك، الذي غير بمرسوم آخر
في 17 أكتوبر، وهو يحدد النظام على الأسس التالية.

حق الاستيراد تم تحديده إلى 4% للشحن الفرنسية و 8% للسلع
الخارجية، دون تمييز العلم، الأشياء ذات الاستهلاك القليل، بالإضافة إلى
ذلك، تخضع لحق مزعوم في المنحة، الذي هو في الواقع تكملة لحق الجهازيك
الممنح بعشر الإضافة.

حدد حق التصدير إلى 1% للسفن الجزائرية والفرنسية، و 1.5% للسفن
الأجنبية.

كانت سيانك الذهب والفضة في العملة، ما عدا عملة فرنسا، تخضع
لرسوم تصدير تقدر ب 3 فرنك للسيكة بالنسبة للذهب، و 20 فرنك بالنسبة
للفضة، ولكن ذلك بالنسبة إلى الكميات التي تتجاوز 5 كيلوغراما من
الذهب و 25 كيلوغراما للفضة.

قيمة السلع التي كان تكون فيها الحقوق عبارة عن سيولة، يجب أن
تسقط كل شهر بمرسوم زبقي للفرقة التجارية، ولكن هذا المرسوم
الزبقي سيكون بالضرورة مليئا بالفجوات، فكتيرا ما يجر التجار أنفسهم
على تقدير قيمة السلع التي يعرضونها، وإذا كان هذا التقدير غير مناسب
لوظفي الجهازيك، يمارس حق الشفعة بصرامة في كل شيء. تم تخفيض حقوق
للأجرة إلى حق المرسى على النحو التالي، دون تمييز في العلم (الجناس) 50
فرنك، لجميع السفن 5 حتى 50 طن، 75 فرنك بالنسبة لتلك التي تتراوح
بين 50 حتى 100 طن، 100 فرنك بالنسبة إلى السفن التي تتجاوز 100

طن. السفن ما دون 5 أطنان، والمرجانية الأجنبية لا تدفع حق مرصاة. أراد مرسوم 7 ديسمبر، تشجيع إدخال النبيذ الفرنسي، الذي يحمل 615 من حق الدخول على الخمر الأجنبية. تم تطبيق هذه التكلفة (الرسم) الإضافية على الخمر وعلى مياه الحياة الأجنبية بواسطة مرسوم 28 للشهر نفسه.

بقرار مرسوم 17 سبتمبر، غير الذي تحدثنا عنه سابقا، ألغيت حقوق المنع على السلع والإنتاج الغذائي في البلاد، باستثناء القمح والجلود. الحق في منح على البضائع المستوردة عن طريق البحر، كان الوحيد الذي استمر في الوجود حتى في إدارة الجنرال بارنازان، لكن الناتج الذي يدفع للخزينة، وليس خزينة المدينة، كان كما ضبطه السيد بورمونت.

ينص مرسوم 9 جانفي 1831، على أن مجلس البلدية (المدينة) يتألف من سبعة مور واثان من الإسرائيليين (اليهود) سوف يتجدد كل عام. وخصصت الرئاسة لمفوض الملك بالقرب من البلدية. وأخيرا، وصل استخدام قنصل من فرنسا إلى الزوال في المدينة، التي أصبحت فرنسية، بعد الاستغناء الواضح عنه، أما أعمال الأحوال المدنية فقد وضعت بقرار مرسوم 7 ديسمبر، فيما يتعلق بتعيينات المسؤولين نفسه.

وفي 16 نوفمبر نص مرسوم على وضع يعقوب البكري رئيسا للامة اليهودية، كما نص المرسوم نفسه على أن الشكاوى المقدمة ضد رئيس الامة اليهودية بسبب المزاوغة أو إساءة استعمال السلطة، سوف تعرض على الجنرال العام الذي يحكم وفقا لخطورة القضية.

بعد تنظيم الخدمات، وضع السيد الجنرال كلوزيل الأسس لمختلف فروع الإدارة، وضبط وضع المحاسبة. نص المرسوم الصادر في 14 ديسمبر على أن توزيعا شهريا لتوفير الأموال سيقدم من قبل أمين المخازن بين الإدارات الثلاث الداخلية والعدل والمالية. أعضاء اللجنة الحكومية المسؤولة عن هذه الدوائر، يمكنهم جدولة (اصدار) حوالات لا تزيد عن 500 فرنك، وبدون تعديل في آخر الشهر، بحوالة فريدة من نوعها أكثر. الحوالات التي تفوق 500 فرنك، كان يجب أن تصدر مباشرة من قبل أمين المخازن.

هذا هو مجموع الترتيبات الجبائية والبلدية والخاصة بالممتلكات التي اتخذها الجنرال كلوزيل. بقي أن نتحدث الآن عن القوانين المتعلقة بالتجارة، الزراعة والشرطة.

في 4 نوفمبر، كان تصدير الحبوب والدقيق إلى أي الوجهة غير فرنسا محظورا. في 7 ديسمبر، نص مرسوم في الجزائر على إنشاء غرفة التجارة الفرنسية التي تكون من خمسة فرنسيين، ومور واسرائيلي واحد. وقد تم تعيين أعضاء لثلاثة أشهر من قبل السلطة، ووجد أنه بعد هذه الفترة من الوقت، كانت التجارة تتخبطهم بكل حرية.

وقدم المرسوم الصادر في 31 ديسمبر بالجزائر على إنشاء مستودع حقيقي من خلال تنفيذ الترتيبات الرئيسية لأحكام قانون 17 ماي 1826 المتعلقة بهذا الشأن. ولكن نقص المخازن حال دون تنفيذ هذا المرسوم، ولم تتم الموافقة على المستودع التفاعلي إلا بالنسبة إلى بعض السلع. الأملاح ومنتجات التصنيع لم تكن لها أية حقوق.

الجزء الأول

في 30 أكتوبر، ظهر مرسوم مهم، ما صنع الخطوة الأولى نحو الاستثمار كثير من الناس، المغمرون أكثر من كونهم ماهرون، اتبعوا السيد الجنرال كلوزيل في أفريقيا. لقد تصوروا أن فكرة إنشاء مزرعة تجارية تكون بمثابة منظم لجميع المنشآت الزراعية التي سيتم تشكيلها. وقد أسست شركة مجهولة لهذا الغرض، والمرسوم الذي يخص هذه القضية وافق على النظام الأساسي، وقد استأجر مزرعة تسمى "حاووث حوسان باشا"، التي، منذ ذلك الوقت، أصبحت معروفة لدى العامة الأوروبيين باسم المزرعة النموذجية. ضم التاجير كل من المباني، و1000 هكتار من الأراضي. وكانت تصل إلى سعر سنوي يعادل فرنك واحد لكل هكتار، ل 9 و 18 و 72 عاما، مع إمكانية الإنهاء، ولكن لصالح مشترين فقط. أعمال المزرعة النموذجية، التي كما قلنا سابقا، ليست هي نموذج المزارع التي تتطلب في البداية 500 فرنك، ولكن كانت تراجع منذ ذلك الحين. وقد ساهمت عدة أسباب لوقف تطوير المؤسسة، وأكثرها أهمية هو الوضعية غير الآمنة.

افتتاح المزرعة النموذجية كان بالبعض البريق. وقد وضع موقع لحماية العمال، مهما النجاح البسيط جدا لهذا المشروع، كان الجنرال كلوزيل لا يقلل من الثناء على هذا المشروع، الذي يعتمد عليه، كمؤسسة بهدف مفيد.

الشرطة اجتذبت أيضا اهتمام الجنرال كلوزيل وعدد كبير من الاجانب في الجزائر وجعل المراقبة النشطة ضرورية؛ من ناحية أخرى، رعاية الشرطة العامة والسياسية تتطلب أحكاما خاصة بشأن الحق في حمل السلاح، وبيع الأسلحة والبارود.

رأينا أن مباشرة بعد الغزو، تم نزع سلاح السكان في الجزائر العاصمة دون صعوبة؛ ولكن لم يكن نفس نفس الشيء مع عرب الريف. ولكن بعد ذلك أصبح نزع السلاح منهم ممكنا، حيث يتطلب سفرهم عزهم من الأسلحة للقدوم إلى أسواقنا، واضطروا لاتباع الطرق التي تملؤها الفوضى وقطاع الطرق. ومع ذلك، يبدو أن الحذر مطلوب لمنعهم من الدخول بالأسلحة في خطوطنا (صفوفنا). ونتيجة لذلك، تم تخصيص مواقع حيث يجب أن يضعوا أسلحتهم بعد وصولهم إلى الأراضي التي احتلت من قبل الجيش الفرنسي، حيث يستأنفون طريقهم. الجنرال كلوزيل، لم يجد هذا الاحتياط كافيا، وأضاف في 22 أكتوبر، عقوبة الإعدام ضد كل العرب الذين نجحوا في التغلغل داخل مسلحة خط مراكرنا. ويحظر نفس الأمر، نقل البارود والرصاص، خارج حدود المعسكر. وكانت جميع هذه التدابير اتخذت بعد اغتيال ضابط من الفوج 35 من الخط.

أمر مرسوم ثاني في 22 أكتوبر، بإنشاء مكتب في الجزائر لبيع البارود والرصاص. ولا يجب تسليم الذخيرة للمشتريين إلى بتصريح (رخصة) من قائد المكان. تأسست لجنة من ثلاثة أعضاء لمراقبة هذا المكان الذي لا يوجد له إلا على الورق، كما هو الحال بالنسبة إلى المستودع، الذي صدر قرار إنشائه بواسطة مرسوم 14 ديسمبر. المرسوم نفسه تلفظ بعقوبات ضد من يبيع بطريقة غير قانونية، وبما أنه خلال مدة أربع سنوات، لم يكن هناك أي بيع بطريقة قانونية وشكلت من قبل السلطة، على الرغم من مرسوم 22 أكتوبر،

ومجموعة أخرى مصنوعة من هذه المواد، ومع ذلك، فمن الواضح أن الناس لا يمكنهم المتاجرة بالبارود، فهذه التجارة لا تحدث الا تحت عين السلطة، والتي ليس لديها السلطة ولا الرغبة في معارضة ذلك.

في 14 نوفمبر، نص مرسوم على أحكام لتقييد التجارة في المعادن النظيفه في صناعة الأسلحة، ولكن تم التخلص منها بمرسوم صدر في 28 ديسمبر. وفي 14 من الشهر نفسه، كان إدخال أسلحة الحرب سواء أجنبية أو فرنسية محظورا، وتم تعديل ذلك فيما أسلحة الصيد والأسلحة الفاخرة التي تحمل فقط برخصة قيادة من الجزائر العاصمة.

ربما توقفت لفترة طويلة جدا على جميع التفاصيل التي لم تكن ذات أهمية متساوية للقارئ، ولكن كان علي أن أجعله يعلم ما يتعلق بالإدارة المدنية للجنرال كلوزيل، والتي تستحق أن تدرس.

الكتاب 6

العلاقات مع العرب. - حملة المدية. - الإستطراد في محافظة التيطري.
- الاستيلاء على البليدة. - معركة الشية. - احتلال المدية. تعيين بن عمر
باي التيطري. - القتال وحقيبة البليدة. - الحد من الجيش. - الحرس
الوطني الجزائري. - الصيادون الجزائريون. - إزالة حمدان. - العقيد
منديري، آغا. - المعاهدة مع تونس حول محافظة قسنطينة وهران. - إخلاء
المدية. - رحيل الجنرال كلوزيل. - دولة من المستعمرة من رحيل الجنرال
كلوزيل.

في حين كان الجنرال كلوزيل، يحتاج الى الإدارة المدنية، كان يؤمن
بتمديد سلطته الى الخارج. اعترافات قوية، متشرة في كل الاتجاهات، تعلم
العرب بخروجنا من تخدرنا، وقريبا جدا سيعودون الى مشاعر الطاعة.
بعض علاقات القيادة، من جهة، حول الطاعة ومن جهة أخرى، استقرت
بين الآغا و"القادة". ولكن حمدان كان غير قادر على استغلال الوضع.
انسحاب البليدة الذي وجد فيه، جعله يتصور رعب العرب، حيث لم
يتجراً للظهور في السهل دون أن تدعمه قواتنا. "القادة" العشائريون الذين
تواجد بالجوار كانوا اذاً: في بني خليل كان محمد بن شرقي، في بني موسى
تواجد حامد بن أوسقون، في الخشة كان محمد بن عامري، أما في السبت
فقد كان "القائد" مسعود بن عبدلوا.

كانت مدينة شرشال تعرف بالزعيم محمد بن عيسى البركالي، وهو شيخ بني مناصر، وهو شخصية تنتمي إلى عائلة نبيلة وقوية، والتي كانت فيها سلطة الشيخ وراثية.

وكانت بقية المقاطعة في الفوضى، باستثناء القليعة، المدينة المعروفة بالمراطين المشهورين من أسرة مبارك، التي حافظت على نوع من النظام. إلى الغرب أصبح بن زامون أكثر قوة يوما بعد يوم.

لو كان الجنرال كلوزيل يعرف بشكل أفضل البلاد والوضع الحقيقي، لخلق نتائج أكثر إيجابية مما حصل عليه، لكنه حصل على معلومات كاذبة أو ناقصة. لا هو ولا أي شخص يعتقد بربط القضية الفرنسية، الفرسان القدماء للأغا والزموليين، الذين تجاهل وجودهم أولئك الذين كانوا على رأس الأعمال (القضايا)، وربما تجاهلهم حتى حمدان الأغا نفسه.

ومع ذلك، اعتقد مصطفى بو مزارق، باي التيطري بأننا لا يمكن أن نصل إليه، وتحدى السلطة الفرنسية وراء الجبال. قرر الجنرال العام إنهاء موضوع هذا الرجل، الذي كان في مركز حشد ساخط أو مركز اجتماع لكل المستأجرين. أمر مرسوم 15 نوفمبر بمساءلته في البرلمان، وبناء على اقتراح مجلس العاصمة، عين مكانه مصطفى - بن الحاج عمر حمدان قريب حمدان، الذي كان من المور وتاجرا أيضا. لكن مثل هذه التدابير يحتاج إلى دعم بالأسلحة، ونتيجة لذلك، توجهت هيئة للجيش بقيادة القائد العام شخصيا إلى محافظة التيطري في 17 نوفمبر.

هذه المحافظة، تقع بين محافظة فلسطين وهران، وتحدها من الشمال محافظة الجزائر، وتمتد في الجنوب إلى الصحراء. الجزء الشمالي، الذي يتميز بتضاريس

الجبلية جفدا، لا يذكرنا بأفريقيا أبدا، البرد هناك أشد من جنوب فرنسا. هذا هو المكان الذي تقع فيه المدينة، عاصمة المحافظة، وهي بلدة صغيرة ذات أربعة أو خمسة آلاف نسمة. يؤكد السكان الأصليون أن الجزء الجنوبي يتميز بجمال ملحوظ (ميز)، ولكننا لا نعلم بذلك إلا عن طريق الإشاعات. تم تقسيم محافظة التيطري إلى 21 "أوتان" (منطقة أو مقاطعة)، سبعة منها تحيط بالمدينة على شكل مروحة، من المركز إلى المحيط. أما البقية الأخرى فتتد في اتجاهات مختلفة، وذلك بالضغط على ما سبقها. أقوى هذه المقاطعات هي "ديزا" التي تحس محافظة فلسطين: لديها أكثر من 24 من الكانتونات وكانت عادة للقايد أحد أبناء باي التيطري.

كان حكومة باي التيطري تعكس حكومة الداي، ووسائل عملها مع العرب هي نفسها. كان تحت تصرفه مستعمرتين عسكريتين تمثلان مجموعة من 1200 فارس. وكان يطلق عليهم اسم "الحبيد (الحديد) والدوار"، الذين كان لهم نفس الشأ (الأصل) ونفس التنظيم الخاص بالزموليين في محافظة الجزائر العاصمة. عاشوا وما زالوا يعيشون، في "بورافية" (برواقية)، وهو نوع من الحصن أو مساحة منزل مربعة تقع على مسافة مسير يوم واحد إلى جنوب المدينة.

كان هناك الكثير من المبالغة في الفقر في محافظة التيطري نفسه. ولم يذكر شالر في كتابه القيم عن الجزائر، إلا ما يساوي 4,000 دولار (أي 20,640 فرنك) من الإيرادات في هذه المنطقة. ومع ذلك وجد على أوراق الباي، مبلغ بوجو (85,387 فرنك و 26 سنتيم) من مساهمات التيطري. تدفع قبائل الصحراء ما يقرب 100,000 (100 ألف) فرنك للباي، للحصول على الحق في التجارة مع المدينة.

هيئة الجيش المخصصة للمشى في هذه المحافظة كانت تتألف من ثلاثة فرق، بقيادة حراس (مارشالات) المعسكرات أشارد ومونك وأوزيه وإيرل. تشكل هذه الفرق الثلاثة كل من الكتائب الأربعة من أفواج مختلفة: تلك الخامسة بالفرقة 1 تم تشكيلها من قبل الخط 14، 37 و 20 و 28، وتلك التابعة للفرقة الثانية 2، من بواسطة الخط 6 و 23 و 15 و 29، أما الثالثة 3 فقد تشكلت من الثالثة الخط 17 و 30 و 34 و 35. هذه الفرق الثلاثة تشكل قسما تحت قيادة الملازم العام بومي. كان هناك، علاوة على ذلك، احتياطي يتألف من 21 كتيبة من الخط، وكتيبة من الزواوة، و صيادي أفريقيا، وبطارية الميدان، وبطارية الجبل، وفرقة هندسية.

هذا الجيش الصغير، يعمل لديه 7000 مقاتلا، أقاموا مؤقتا ببوفاريك في 17 نوفمبر. منع المطر المستمر من صنع الحساء من لحظة وصوله حتى الصباح، ولم تنطلق من هذه النقطة إلى عند منتصف يوم 18، وذهبنا متجهين نحو البليدة. وعلى بعد ميل من هذه المدينة، التقى الجيش بفرقة قوية من الفرسان العرب، الذين أبدوا نوايا عدائية. أرسل القائد العام اليهم المتمرد الشاب الإيطالي، الذي اسمه يوسف، والذي سوف يلعب دورا بارزا في وقت لاحق، وقد قام بإيقاف الجيش. هذا الشاب سرعان ما عاد مع الشخص الذي بدا وكأنه زعيم الفرقة، كان عربيا في صحة جيدة، بنظرة ثابتة، مع الحفاظ على الافتخار وفرض نفسه. القائد العام كان قد أدلى بنية للذهاب إلى الفراش (النوم) في ذلك اليوم في البليدة رد عليه بترفع لكي لا يقوم بفعل شيء. لأنه كان قادرا على المعارضة. في هذه الإجابة، أمر الجنرال للبرلماني بالانسحاب،

ووضع على الفور الفرقة في حالة سير.

بدأ العرب على الفور بإطلاق النار الكثيف. تقدمت فرقة أشارد التي كانت على رأس الجيش بسهولة، وسرعان ما صنعت قذائف قليلة القوضي في صفوفهم. بحلول الظلام، كان الجنرال أشارد أمام البليدة، التي كانت مغلقة الأبواب. وكان يستعد لإطلاق النار على المدفع، عندما فتحت من قبل ضابط وبعض الجنود تسلقوا الجدران. كانت المدينة مهجورة، وأكبر عدد من الأشخاص فروا إلى الجبال.

بينما سارت فرقة أرشاد إلى البليدة عبر الطريق، انتشرت فرقة مونك على اليمين للوصول إلى هناك عبر الحقول، ولكن كل ذلك انتهى عندما وصلت. ومع ذلك، واصل بعض "القبائل"، إطلاق النار في المرتفعات التي لجأوا إليها. أرسل ضدهم عدد قليل من الفرق التي انتشرت (تدفقت) وبقيت هناك.

شكلت فرقة أشارد إقامة مؤقتة قبل البليدة، حيث لم تترك إلا بعض المواقع. حيث استقرت الفرقة 2 و 3 في الخلف ولكن على بعد مسافة قصيرة من الأبواب. وصلت فرقة أورال متأخرة جدا إلى موقعها، فضلا عن فضلا عن الأمتعة وكتيبة ال 21 التي كانت تنتقل سيرا على الأقدام في الخلف من أجل التغطية. اثنان من التجار الذين يتبعون الجيش، ظلوا قليلا في الخلف، قطع العريزووسهم.

لم يكن لدينا من الرجال في اليوم 18 إلا 30 رجلا مبعدين من الحرب. توقفت الجيش البليدة خلال كل يوم 19. كانت نية القائد العام مغادرة

الجزء الأول

الحامية في حين كان يتطلع في هذا اليوم الى استخدامها في الأعمال التحضيرية اللازمة لإنشائها، كما سارع الى إصلاح أنابيب (قنوات) المياه التي كان العدو قد كسرها في عدة أماكن. وفي نفس اليوم، تقدم العرب الى السهل أمام فرقة أشارد، وجاء "القبائل" لاطلاق النار على اليسار، والبقاء على سفوح الأطلس الصغير، التي تلتصق بالمدينة. انتشرت فرقة من الفرسان الأوائل دون أن تتمكن من اللحاق بواحد منهم. أما الآخرون فقد لوحقوا في الجبال، من طرف الكتائب من خط 20 و 37. كانت الأوامر بتدمير كل شيء، واحراق كل شيء في هذا الاتجاه، أين توجد أرقى الخدائق في البلاد. قتلنا في المدينة، تقريبا تحت أعين الجنرال، كل من معه أسلحة في متناول اليد. استمرت هذه المجزرة برئاسة المارشال رئيس المجلس لوقت طويل، وفي الأخير أظهر الجنود أنفسهم أكثر من تردد واضح. يعتقد الجنرال كلوزيل، ولا شك، أن تخويف العرب بهذه الأعمال كان من الصرامة، والتي لم تكن من عاداته، ولكن كان يستعد للدعوى الانتقامية.

سحب العديد من سكان البلدة من الرجال والنساء والأطفال الى الأغاديث الأولى للأطلس. أرسلنا اليهم برلمانيا ليقنعهم بلعودة إلى ديارهم، ونحن لم نريد الرجال المتزوجين. استسلم الكثيرون لسوء حظهم، لهذه الدعوة. وفي 21، استأنفت مسيرة الجيش، على طول سفح الأطلس. ولم يبق في البلدة الا الكتبة و 34 و 35، ومدفعين، تحت قيادة العقيد روليار، وهو ضابط قوي ومتمكن جدا.

في حوالي منتصف النهار، وصل الجيش الى مدخل الأخدود، حيث يتقاطع طريق المدينة الجبل. هناك توجد مزرعة جميلة تدعى حوش شاوش الموزاية. أحد مرابطي موزاية، اسمه محمد بن مبيدي فقير، جاء لمقابلة القائد العام، مع خمسة من شيوخ العشائر المجاورة، التي تنتمي الى مقاطعة (وطن) سبت.

قال ان نيته في العيش في وئام مع الشعب الفرنسي، وأنه لا يعتقد ان شعب موزاية يدعو للقلق أو يعرقل رحلتنا، وسأل، بناء على ذلك، عن الناس وممتلكاتهم المدخرة، والتي منحت لهم، كما تعتقد. ومع ذلك، وجد بعض الناس أن القائد العام لم يستقبل هذا الرجل بشكل مناسب، ونحن على مقربة من رؤية هؤلاء العرب المتوحشين، الذين يعملون في أيديهم مستقبل البلاد، وبدون مساعدة منهم لا يمكن أبدا أن تفعل أي شيء في أفريقيا.

استقر الجيش بشكل مؤقت في حوش موزاية: استقرت فرقة أشار دحل بعد ثلاثة أرباع الميل إلى الأمام على طريق المدينة. استنادا إلى المعلومات المقدمة من المرابطين، حول صعوبة الطرق⁽¹⁾، تقرر مغادرة المزرعة، في قيادة كتيبة من خط 21 رفقة قطع الأسلحة وجميع العربات. كما كانت المدفعية الجبلية والبغال تتبع الجيش أيضا.

(1) كان رفقة القائد العام مرابط أفريقي يسمى حاتم بن أسغيفي بن حاد بن يوسف الذي كان ملك بعض الوقت متعلق بفضيلته والذي قدم لنا مائتي من المعلومات القيمة عن البلد.

أعلن بيان للقوات في اليوم التالي بأنها مستقومة بأول عبور لجنال الأطلس
بدأ الجنود على الفور الحديث حول حرائق الإقامة المؤقتة في العملية التي
الترموها بالقيام بها. الأكثر ادراكا، عادوا الى ذكريات الحروب الظلمية
الرومانية، وأعلموا أقرانهم بأنه لا يوجد أي جيش أوروبي عاد الى هذه
الأراضي مع هذا الشعب، الذي نحب كثيرا

أن تقارنه، لأنه لا يوجد دولة لم تتنافس في هذه المجتمعات التي تتطلب
المثابرة والاستمرار. هذه الأحاديث في المعسكرات المؤقتة هي من
العموم لافتة جدا في الجيش الفرنسي.

وهنا تصاغ عبارات حية لأفكار متنوعة وعميقة، والتي انتقلت بعد
ذلك الى صفوف الجيش، لتعطيل جنودنا. شيء واحد فقط أخرج المعلقين
عن إعلان الجنرال كلوزيل، هو المثل الذي يتعلق بالفائز بالأهرامات،
عن عدد القرون التي بقي الجيش الفرنسي فيها متآملا. كان العدد متفاوتا
وفقا للنسخة، البعض يطبقه على الأطلس نفسه، والذي حل في نفسه
القرون الماضية بشكل جيد، بينما رأى آخرون أنه عبارة عن تلال عتيقة،
معروفة في البلاد تحت اسم "قبر الرومية" ونحن نراه من موزاية على نلة
شمال حجوط.

وفي الأخير، كان بعض المرحلين يتجراؤون على القول أن القرون التي

تنا تأملها، لم تكن إلا عبارة عن بعض الجنرالات التي أرسلتها فرنسا
جوسلية الشابة، والتي تمكنت بعد حياة مهنية قوية، بلا شك، من البقاء
على قيد الحياة. كل هذا مهم جدا، لأن هذه النكتة تجعلنا نعتقد أن الجيش
يعرف ويعتكم على رجال الإمبراطورية، رغم أن هذه الفترة كانت لا تزال
محاطة بالهبة.

والمؤكد أن العديد من يتبعهم سوء الحظ يخطفون في كل مرة يتم تسليط
الضوء عليهم. غادر الجيش في الفجر يوم 21. ترك حمدان الأغا، الذي تنابعه
حتى ذلك الحين، في هذه المزرعة، مراقبة تحركات العرب في سهل متيجة،
ولكن بدلا من بعض التسوق في جميع أنحاءه، لاكتشاف مشاريعهم، بقي
هناك منزويا، بعيدا عن خطر. أعتقد أنه من إقامة هذا الأغا في هذا الحوش
نعودنا على تعيين مزرعة تحت اسم لأغا، الذي لا يعطى في البلاد.

كما أعلن لنا الم رابط، الذي أبقاه الجنرال كلوزيل مقرب منه، بأن الناس
في موزاية لا يسعون لمعارضة أية نقطة في تقدمنا، أو على الأقل، الذين أرادوا
شن حرب يذهبون للانضمام الى قوات باي التيطري، التي من المتوقع أن
تخرج عن طريق ثنية. تقدمنا من دون الكثير من المتاعب، ووصلنا إلى صفوح
جبال الأطلس، ونحن على هضبة عالية، حيث العيون مصوية الى سهل
متيجة. وكان البحر يظهر من مسافة بعيدة، واكتشفنا في الغرب، بحيرة

"تولة" في نهاية أراضي المحجوط. توقف الجيش عند هذه النقطة. وبدأ المدفعية الجبلية الأطللس الجليل بإطلاق 25 طلقة نارية من المدفع.

بدأ الجيش في الحركة، بعض الوقت دون مواجهة العدو ولكن على الساحة الواحدة، تواجد أمام فرقة أشارد التي تشكل رأس الجيش وبدأ إطلاق النار أطلقت فرق 14 و 37 بعض العيارات النارية بواسطة المتحاربين وسرعان ما تغير هذا الموقف إلى يسار من الطريق. تراجع عبر التلال على مرتفعات مرتفعة.

واصل الجيش تقدمه، وسرعان ما وجد نفسه في الأمام بالقرب من هذا العنبر وهو معرض، أو بالأحرى يقطع ببضعة أقدام تحيط به من اليمين إلى اليسار (تلال صغيرة) مخروطة. لم يتمكن من المرور إلا بصعوبة، حيث يجدها على اليمين حفرا عميقة، ومن اليسار تلال شديدة الانحدار. بالاقتراب من الممر، أصبح الطريق أكثر خطورة وهو محفور وزلق وقصير وفروعه منعرجة ومتقاربة وهي مائلة جدا وضع باي البطري قطعيتين مدفعتين سبيتين في البطارية على يمين ويسار قواته، التي من الصعب جدا تقييم عددها، وهي عملا كل المرتفعات.

لا يمكن مهاجمتهم في هذا الموقف إلا من الأمام وعلى اليسار، أما على اليمين فقد كان الهجوم أكثر صعوبة. ونتيجة لذلك، أمر القائد العام الجنرال أشارد بالمغادرة وصعود فرقته إلى مرتفعات اليسار للفوز عبر التلال، أما فرقة مونك دوزي، الذي كان يسير خلفه، فينبغي عليها المواصلة بالتابع الطريق.

من أجل تنفيذ الرسالة بدقة، اضطر الجنرال أشارد للمغادرة الطريق الحالية، حتى لحظة الوصول إلى هذه النقطة، أين تواجد فرقة مونك دوزي. لتجنب هذا التوهم يرسل إلا ثلاث كتائب على اليسار تحت قيادة العقيد ماريون وعلى الطريق مع كتية من 37.

وجد العقيد ماريون نفسه في أرض جد متضرة وكانت تتفرع عليها "التلال". وبذلك ساربطه. الجنرال أوزي، الذي كان يعتقد أن الضغط كان على الكتية 37، اعتقد أنه يجب أن يرسل الكتية 6 لدعمه. في هذا الوقت، قرعوا طبول الكتائب على اليسار كي يتحرك الجنود الذين وجدوا صعوبة في تسلق المنحدرات الشديدة التي واجهوها بشكل مستمر، واعتقد الجنرال أشارد أنهم وصلوا إلى التلال، وأنهم يتكفلون بأمر العدو قبل ذلك، تقدم مع الكتية الوحيدة من 37، التي أرسلت منها فرقة محاربين خارج الوافي على اليمين وقد عانت الكثير. وكانت تحت أوامر النقيب لافار، الذي قتل في معركة يسالة. هاجمت الكتية 37، برئاسة الجنرال أشارد والقائد دوكروس، الموضع الأمامي بأعظم قوة، ويمكن القول أنهم اندفعوا بنهوض من أجل الموت، لأن في جميع الاحتمالات، نصف هذه الفرقة الشجاعة يجب أن يموت قبل أن تصل إلى الهدف. في الواقع، فقدوا الكثير من الأشخاص، ولكن أقل مما كنا نعتقد. وألقي بعض الضباط إلى الأمام، لاملأ الطريق للسيد ماكهاون وكانت فرقة الجنرال أشارد هي الأولى التي وصلت إلى الممر.

كان العدو خائفا بسبب قوة الهجوم، وسارع إلى التخلي عن موضعه دون محاولة الصراع وجها لوجه. وصلت كتائب العقيد ماريون في هذا الوقت إلى الممر، وحيا مع التصنيفات خط 37 الشجعان.

استقر الجيش كله مؤقتا في مرتفعات مأخوذة من العدو، وتقدمت فرقة أشارد لكن قليلا كما هو الحال بالنسبة للفرسان. وصلت فرقة أورلو كلها الأمتعة في وقت متأخر جدا إلى الموقع، وقد تعرضوا للهجوم من قبل بعض المحاربين. في حين أن فرقة أشارد كانت تكافح مع المدافعين عن عمر الشية. أبدت فرقة الفرسان حضورا غير مهم في أرض غير ملائمة. كان لدى جيشنا في هذا اليوم المجيد 220 من الرجال عاجزين عن القتال. كان للجنرال أشارد الشرف من بين كل الضباط العامين كما كان الشرف للجنرال دو كروس الشجاع من بين الضباط السامين، أما ماكماهون من فئة الشباب فقد كان له الشرف في فئة الضباط المبتدئين. من عمر الشية هذا أطلق الجنرال كلوزيل اعلانه الشهير الذي يعكس أسلوبه، ويبدو محيطيا ومثير للسخرية لكثير من الناس، ولكن بعد ذلك بدا أنه من المناسب للرجال أن تكون الأشياء العظيمة تعود للأفكار العظيمة، أو إذا صح التعبير، للعبارات الرائعة.

في 22 نوفمبر، في الصباح ذهبت بعض الفرق لحرق بيوت سكان سوماتا (الصومعة)، الذين حملوا السلاح ضدنا. قرر الجنرال العام أن تبقى فرقة مونك دوزي في ثنية للحفاظ على الممر، وأخذما تبقى من الجيش إلى المدينة على الساعة الحادية عشر. ثنية هو أعلى قمة في الأطلس في هذا الاتجاه، فبعد الوصول

اليها، بقي فقط أن نزل. الطريق بصفة عامة أوسع بالتركيز على الجانب الشمالي، ومعبد في الكثير من الأماكن المنطقة من اليمين واليسار تكسوها الغابات. الوصول إلى سفح الجبل، هاجت فرقة أشارد أحاديقات العرب وتبادلت معها بطع الطلقات النارية. الكتيبة من خط 20 كانت على يسار الطريق، بعد العرب الآخرين الذين بدوا وكأنهم يحاولون الهجوم، وكان هناك اشتباك حاد فقدنا على اثره عددا قليلا من الرجال. أصيب خمسة رجال وسقطوا في أيدي الأعداء، الذين فروا إلى الصخور، ليقتلوا رؤوسهم المليئة بالدماء. قاتلت فرقة أشارد في غابة الزيتون، البعيدة عن الأرض التي تم العثور عليها. أمر القائد العام فرقة الفرسان لتهية نفسها. عند الوصول إلى هذه النقطة، تحرك المحاربون بسرعة، لكن توقفوا لوجود غير اعترض طريقهم. لم يحصل العرب تقدمهم لأنهم كانوا يعلمون من التجربة أن مشاتنا يملكون في كل مكان.

من يساتين الزيتون إلى المدينة، لا تحوي الأرض سوى عدد قليل التلوجات. فهي تميل قليلا إلى اليمين، وتصل في هذا الاتجاه بحوض الشلف.

من وقت لآخر، يتوقف بعض الفرسان العرب لإطلاق عبارات نارية علينا ولكن فرائضهم الأكبر من قواهم إلى المدينة. رأينا عدة مرات الرابط بين الفقير يجري بالقرب منهم ليحتملهم على وقف القتال. على بعد ميل من يساتين الزيتون، خرج أحد العرب الذي أتى سرا على لأقدام وهو يرتدي ثيابا رثة، فجاء من المكان الذي كان يختبئ فيه،

وتقدم البناء وأظهر لنا رسالة موجهة إلى القائد العام. كانت من سلطات
من المدينة، وشملت تقديم المدينة (الاستسلام)، كانت قد كتبت في الليلة
السابقة، وهذا يعني، قبل أن تلتقى المدينة عبر هزيمة الباي.

بالاقتراب من المدينة، سمع الجيش باستغراب صوت إطلاق النار،
ترافقه بعض طلقات المدفع. هؤلاء كانوا الناس المدينة الذين أرادوا أن يعطونا
دليلاً على صدق استسلامهم، وقد أطلقوا النار على قوات باي التيطري
المحارب رفقة فرقة عن طريق برواقية وسيلة دفاع كافية ضد العرب مع
المدخلين الرئيسيين توجد قلعتين صغيرتين مسلحتين ببعض المدافع من
الصنع الإسباني، وقد بنيت بانتظام أفضل من مدينة الجزائر، والشوارع
عادة ما تكون أكبر حجماً وأقل صعوبة، والمنازل بأسقف القرميد مثل
جنوب فرنسا. القائد العام الذي تلقى بيان الاستسلام من سلطات
المدينة، دخل إلى هذه المدينة مع حلول الظلام، حيث استقرت كتية
هناك. انتقلت فرقة أشارد إلى الأمام في ضواحي منزل الباي الرفيع، أما
فرقة أوورل فقد بقيت على بعد ربع ميل إلى الخلف. وكان لهذه الفرقة في
اليوم الموالي، أي 23، تبادل أعيرة نارية مع بعض العرب الذين حاولوا
الدخول إلى المدينة.

وفي نفس اليوم لم يعرف مصطفى بومزراق، إلى أين يتجه، خوفاً
من الوقوع في أيدي عرب الصحراء، وفضل أن يقع بين أيدينا، ذهب
إلى الجنرال كلوزيل لاعتقاله، ولكن مع ذلك تعامل معه بلطف. جمع

الأفراد من أتباعه، الذين عثر عليهم في المدينة عوملوا بنفس الطريقة.
ظهر استسلام مصطفى بومزراق نهاية الأعمال العدائية، بن عمر الذي
من مكانه كما قلنا سابقاً، استقر بهذه المناسبة، والشعب المسلح في المدينة
شكل نوعاً من الحرس الوطني. فترترك الزواوة وكتبتين فرسيتين
في المدينة، بهائي قللك تلك التي عين فيها العقيد ماريون فانتا، وكان
الجنرال كلوزيل قد شكل أيضاً مشروع إرسال الجنرال مونت فورييه
إلى مليانة، ووضع الجنرال بويري قسمه بالمليانة. ولكن هذه الخطة، ثم
التحل عنها في فرجة النصر.

بدون انطلاقنا من الجزائر العاصمة، كان دون أن نعرف عن التكاليف
التي من شأنها أن تؤدي إلى إنشاء باي وحامية في المدينة، أو أننا كنا نأمل
في العثور على كثر، لأننا بدأنا طريقنا بدون مال تقريباً. اضطررنا إلى
الاستعانة بمخزون الضباط، والاقتراض حتى يبلغ قدره 10 آلاف
فرنك من السيد مصطفى بومزراق، الذي لم يفعل أكثر من ذلك.

في صباح اليوم 26، غادر القائد العام المدينة للعودة إلى الجزائر، مع فرقتي
أشارد وأوورل. لم يتوقف إلا بعد بضع ساعات فقط من تيبه، والجيش
ذهب لينام في موزاية. لم نجد على الطريق، إلا مظاهرات سلمية من
القبائل والعرب، ولكن في هذه اللحظة، كانت مدينة البليدة مسرحاً
لحوادث. عندما اقترب الجيش في 27، لجأ إلى محاربة بعض قوات

العدو التي ظهرت وهي تريد القتال، وهذا ما أدى إلى تحديد المعركة التي كانت في اليوم السابق.

في 26، كان بن زمون على رأس جيش من "القبائل"، وجاء للهجوم على العقيد روليار في البلدة. قام باختراق عدة نقاط، وقتلوا طويلا من شارع إلى شارع. يبدو أنه حتى الحامية التي حشرت تدريجيا تحت أقواس بوابة الجزائر، ليست أكثر من كتلة عديمة الشكل ومشبطة. عندما خرج العقيد من خلال هذا الباب، والذي كان لحسن الحظ مرفقا بفرقتين من النخبة التي دارت حول المدينة ورجعت عبر المدينة. وقعت الفرق فجأة في الجزء الخلفي من المهاجمين، وقد اعتقدوا أنهم كانوا في مواجهة جيش المدينة، وقد أكدوا هذا الخطأ، بواسطة مؤذن المسجد الرئيسي الذي صرخ في أعلى لشدنة، وكان في الواقع بسبب قدوم القائد العام للقوات المسلحة. وبسرعة كبيرة تفرقوا فوراً واختفوا. هذا كل شيء، ولكن لا تزال بعض التفاصيل مغطاة بسحابة مظلمة ودموية. عندما عبر الجنرال العام البلدة في 27 نوفمبر، كانت الأرض مزدحمة بالجثث، وكان الكثير منها لكبار السن من الرجال، النساء والأطفال واليهود، والناس المسالمة تماماً. بدا عدد قليل جداً من الأشخاص الذين كانت لهم الرغبة أو القدرة على الدفاع عن أنفسهم. بعد هذه المذبحة الكبرى، لم نجد تقريباً أي أسلحة لدى المهزومين. كان هذا الظرف الأخير مثيراً لشكوك غريبة نشأت في نفس الجنرال العام كلوزيل، الذي في سخطه خاطب رئيس الحامية،

بعت مؤسف. الرعب الذي كان يشعر به على مرأيا لآثار الدموية من مجزرة في المدينة، كان يتقاسمه كل من الجيش الذي لم يشارك في هذا الحدث المؤسف، ولكن التأسف للمهزوم استبدل قريباً بشعور معاكس، عندما عرفنا بمقتل 50 جندياً مدفعياً كانوا متوجهين بنهور إلى مزرعة موزاية على الجزائر العاصمة، للذهاب بحثاً عن اللخيرة، بعدما أمر من القائد العام القادم من المدينة. لقد هلك كل جريح هؤلاء المساكين. وعرفنا أنهم قد هوجوا من طرف فرسان مرجية وحمدان في مقاطعة (وطن) بني خليل.

هذه البراهين للغضب الأعمى المتبادل المليئة بالحزن للذين يؤمنون بإمكانية الاندماج بين الشعبين. جاء عرض آخر ليؤثر على الراحة قليلاً. الجنرال كلوزيل الذي كان قد غادرو نخل عن مشروع احتلال البلدة، هذه المدينة مع جيشه في 28. بقية السكان كانوا خائفين من أن يقعوا في أيدي "القبائل"، اتبع جيشنا كبار السن، النساء والأطفال كانوا يلهثون وهم حفاة الأقدام في الكثير من الأحيان، وهم يتخفون وراء كتائبنا؛ كان هذا المشهد مفعجماً. جنودنا، الذين تعاطفوا معهم، بدأوا في التعامل معهم بحرص أكبر؛ نزل الضباط من جيولهم لاعطائها إلى هؤلاء المساكين الذين أهلكهم التعب. في المساء استقرنا في سيدي حابذ وهو منطقة جرداء، وجنودنا أعطوا القليل من الماء الذي كان لديهم لنفس الأطفال الذي جعلتهم نفس المعركة أيتاماً.

وفي اليوم التالي، أي في 28، بدأ العرب مرة أخرى نفس العملية، ولكن لن تنجح معهم أكثر من المرة الأولى، كانت المعركة أكثر صعوبة من تلك التي جرت حول المزرعة، تصرف الزواوة ببسالة عند مقتل أحد قادتهم. قاتل السكان كما في اليوم السابق، عليا رغم من جهود العدو لجذبهم إليه.

في اليوم 29، جرت الهجومات بنفس الطريقة، لكنها كانت أقل حدة بكثير. كان عدد المهاجرين قد انخفض بشكل ملحوظ. في يوم 30، كان العدو قد اختفى تماما، غادر تاركاً وراءه 500 قبيل في ساحة المعركة. العرب و"القبائل" الذين شاركوا في هذه المعارك الثلاث يتمنون إلى أوطان أو مقاطعات "ريغة"، حسام، ينحلب، بني حوسان، عوزارة (أوزاوة) وأواره. كان هناك أيضا من قدموا من حيد (هيد)، ودوار وعريب وبني سليمان.

هكذا كانت الهجمات ضد المدينة خلال احتلالنا. تم صدها بسهولة، وحتى الآن، كثيرا ما يستشهد بها على أنها دليل على خطر إرسال الحاميات في المناطق الداخلية. بعد هذه المعارك المختلفة أصبحت ذخيرة الحرب قليلة جدا لدى العقيد ماريون، ليجد نفسه مضطرا لرفض السكان الذين استنفدوا الذخيرة الخاصة بهم.

هذا الضابط السامي ترك مهمته (القيادة) في المدينة للجنرال دانليون، الذي جاء مع الجنرال بوير ليحل محله. تمت زيادة الحامية لكتيبتين، واستأنف الجنرال بوير، بعد أن قضى ثلاثة أيام في المدينة، مع ما تبقى من القوات، الطريق إلى الجزائر العاصمة، حيث وصل دون وجود أي حادث من أي نوع.

في 29 نوفمبر، عاد الجيش إلى ثكناته. تأثر القائد العام بشكل عميق من المجزرة، وتخلّى، كما قلنا، عن احتلال البليدة، التي كان يراها دون أدنى شك كمنطقة لسكان عدائين كثيرا. تركت حامية المدينة تقريبا دون طعام ولا ذخيرة: كما كان لديهم هناك موارد قليلة من المنطقة، ويجب التفكير في الإرسال إليها، ولذلك عاد الجنرال بوير إلى الجزائر يوم 7 ديسمبر مع اثنتين من الكتائب القوية التي عبرت الأطلس ووصلت إلى المدينة دون أن تطلق عيارا ناريا واحدا. ومع ذلك، لو أراد "القبائل" لأسلحة البنا كثيرا: ففي اليوم الأخير من المشي، سيطر اضطراب كبير على إحدى الكتائب لدينا، والتي تحولت عشوائيا، بين عشية وضحاها، بين الأطلس والمدينة، في أحوال جوية مروعة.

علمت حامية هذه المدينة بفرح شديد بوصول المساعدة التي أتى بها الجنرال بوير. ومع ذلك، فقد تلقت بالفعل بعض الحزم من الخراطيش من العرب. وواجهت، لمدة ثلاثة أيام، هجومات قوية لصدها، وقد بدأت في 27. هرع العدو بقوة نحو مزرعة الباي، حيث كانت الكتيبة من خط 28 والزواوة، وبدأت المعركة مع مايكفي من القرار. كان يريد أيضا قطع الاتصال مع المدينة، لكن السكان والخط وجدوا مخرجاً لاخراجهم من مواقعهم في هذا الاتجاه. أيدت هذه الحركة، من خلال مخرج وجدته القوات التي كانت تشغل المزرعة.

الأشياء بشكل جيد للغاية، ولم يخطأ الا في وسائل التنفيذ، وهو ما لم يتم به بما فيه الكفاية.

أراد القائد العام الذي تخطى عن احتلال البلدة، مع ذلك، أن يكون للمدينة حاكم معين من قبل السلطات الفرنسية. وقد وصل إلى هذا المنصب المربط بين يوسف، من مليانة، وأعطى له تسمية الخليفة، إلى جانب حكم المدينة والقبائل المحيطة بها. بما أنه لم يتم تحديد هذه القبائل بالاسم، وبالإضافة إلى ذلك، ووفقا للممارسات الإدارية للبلد، لم يكن سكان الريف مجبرون على معرفة سلطة محافظي المدن، والنتيجة كانت انتشار الاضطرابات التي كانت شائعة بين الخليفة الجديد وشيوخ القبائل.

المهاجرون من البلدة كانوا يرون هذا النوع من السلطة وقد تم ترميمها، فعادوا تدريجيا إلى ديارهم، وفي شهر جانفي، كانت المدينة قد استعادت كل سكانها تقريبا، ولكن في فيفري، شهد السكان خلافات مع الخليفة الذي تصرف بشكل مسيء معهم، فكان يسوي ذلك بالحل الوسط أيضا مع القبائل المجاورة من خلال مزايا القيادة، فطارده وكتبته إلى القائد العام لطلب حاكم آخر. السيد كلوزيل، الذي لم يكن في تلك اللحظة في موقف القيام بأي شيء، أغلق عينيه عما كان يجري من فوضى في البلدة بين الناس، وأعطاهم حاكما آخرًا كان يسمى محمد بن شرفاي.

وتمت إزالة الأغا في أول أيام شهر جانفي. بعد حملة المدينة، أراد حمدان، إبطال السخرية منه بسبب الأدلة الوافرة عن الضعف لديه من خلال البيانات

ومع ذلك، ووفقا لأوامر من الحكومة، كان على الجيش الأفريقي أن يخفض عدده إلى أربعة أفواج. كانت المسألة قوية، في هذا الوقت، في الحرب الأوروبية، كان الجميع فيها يريد مغادرة أفريقيا للتمرن على المسرح أكثر اشراقا. الجنرال كلوزيل، والذي كما قلنا، قد نظم بالفعل الزواوة لتفادي بالقدر الكافي الانسحاب الأول للجيش، وأم في هذا الوقت بإنشاء الحرس الوطني الذي يتألف من الأوروبيين والأهالي، لكنه لم يتم من هذا الإجراء إلا مجرد بداية التنفيذ. ولم يتم ذلك الا تحت وصاية الدوق روفيجو الذي نظم الحرس الوطني الجزائري، الذي خفض إلى أبعاد أضيق بكثير من تلك التي صممها الجنرال كلوزيل. فكرة خلق تنافس المواطنين للدفاع المشترك كانت جيدة، ولم يكن من الواجب التخلي عنها.

أمر الجنرال كلوزيل أيضا بتشكيل مجموعة من فرقة من الزواوة على الحبول أو ما يسمى بـ "سباهيس"، التي كانت تحت أوامر السيد ماري، نقيب المدفعية، الذي يتميز بذوقه الواضح جدا للآداب ولآداب المشرق وكأنه كان مدعوا لهذه المهمة؛ ولكن لم يكن لهذه الفرقة، في ذلك الوقت، وجود الا من خلال تسمية بحتة. كما حل تشكيل فرقة أخرى من الفرسان الأهالي، تحت اسم الممالك محلها. كان الشاب يوسف الذي تحدثنا عنه سابقا مكلفا بتنظيمها، وقد كلف كما سبق ذكره، بتنظيم وجذب الكثير من الشباب الجزائريين الذين يتمنون إلى أسر الشرفاء. ولكن الوعود التي قدمت له لم تحقق دائما، وكانت هذه الفرقة لم تعد أكثر قوة من فرقة السيد ماري. بشكل عام، تصور السيد كلوزيل

الجزء الأول

في الحملة، وطلب وحصل على إذن تسيير البلاد مع فرسانه، في هذه الجولة، تبادل بعض طلقات النار مع عصابات من المسلحين الذين أبدوا في السهل، وأرسل من البلدة، إلى الجنرال العام، رأسا وقال أنه رأس أحد العرب الذين كانوا قد شاركوا بنشاط في مجزرة الـ 50 مدفعيا، ولكن يمكنني أن أؤكد لكم أنه كان رأس (مؤذن) البلدة الذي ساعد، كما رأينا أعلاه، في هزيمة "القبائل" في الهجوم بن زمون. هذا الرجل، الذي قام بإعطاء المعلومات الكاذبة التي حفظت الحامية الفرنسية، لم يكن له أي غرض بلا شك غير الابتعاد عن مسرح الحرب، ولكن يجب الإبلاغ عن هذا العمل للرأي العام كصديق للفرنسيين. وكان ذلك ليؤسس سلطنة لنفسه على حساب سلطتنا التي ضحى بها حدان. قام بذلك بمهارة أكثر من الفرنسيين الذين كانوا يعتقدون أنهم حصلوا على رأس أحد أعدائهم. لم يكن هذا الفعل الغادر، والذي تم تجاهله طويلا، هو الذي أفقد الأغا. وضعنا عليه بعض اللوم والابتزاز الذي ارتكب خلال رحلته، وبالنسبة للجزء الأكبر رفاقتصر على طلبات لأحكام الأذن باستخدام، ولكن بما أن الجنرال العام كان متعبا، قال أنه سيتهم هذه الفرصة للتخلص منه. تمت إزالة الأغا يوم 7 جانفي. خاف القائد العام، من أن لا يسلم حدان نفسه بحشية العار من المؤامرات الخطيرة التي قام بتدبيرها، ما أجبره على الابتعاد عن الجزائر العاصمة، وانتقل إلى فرنسا، حيث قضى بعض سنوات وتزوج.

نفى الجنرال كلوزيل أيضا محمد بن عنامي، المفتي الحنفي للجزائر العاصمة، الذي أشير إليه بأنه رجل يجب الخوف منه، والذي كان كان

بفتخر بقدرته على التعامل مع العرب بتأثير خاص لم يستطع التمكن منه. إبتكر أيضا خطة رسال أبناء عائلات المور المميزة الى فرنسا لغرض مزدوج يتمثل في توفير التعليم الأوروبي لهم كما سيكونون رهائن أيضا، ولكن التردد لدى السكان أدى الى التخلي عن الفكرة. بدأ أعضاء البلدية المغاربة (المور) مرة أخرى في هذا الطرف ابتزاز الأموال من العديد من الأسر، التي وعدوها بالاعفاء من اجراء لم يتلقوا حتى أمرا بتفيلدة. حمدان بن عثمان خوجة، الذي نشر عن الجنرال كلوزيل تشهيرا افترا ليا، اتهم بالإشاعة العامة، بأنه انتزع بهذه الطريقة، مبلغا كبيرا من أرملة الشهير يحيى الأغا. ومع ذلك، فإن الجنرال كلوزيل الذي كان يدور في رأسه منذ زمن طويل مشروع يتيح لنا تنفيذ توكيز كل جهودنا وبكل ما نملك من تفسيحات على محافظة الجزائر العاصمة، بتأسيس سيادتنا على أجزاء أخرى من المنطقة (مجلس الوصاية). كان لإعطاء أمراء العائلة المالكة في تونس، بيلك قسنطينة ووهران، مع الاعتراف بالثمنية، وجزية سنوية يضمونها باي تونس. كان سفراء هؤلاء الأمير في الجزائر لبعض الوقت لمعالجة هذه المسألة. في 15 ديسمبر، أزيل الحاج أحمد باي قسنطينة، رسميا من منصبه، وفي اليوم التالي صدر مرسوم بدعوتين سيدي مصطفى، شقيق باي تونس بدلا منه، وفقا لاتفاق وقع في 18 من الشهر نفسه، بدأ الباي الجديد، بضمان شقيقه، بدفع مليون فرنك فرنسي

سنويا، كمساهمة في المحافظة، ولكن لم يقولوا له من قبل كيف سيحصل على حكومته، يبدو أنه يجب أن يكون ذلك من قبل القوات الخاصة، لأن الجنرال كلوزيل أرسل إلى تونس عددا قليلا فقط من الضباط الفرنسيين لتنظيم رسم شبه أوروبي للقوات التي ستقتل في مسيرة إلى قسنطينة. تم تجميع اتفاق مماثل في أول أيام شهر فيفري لبيك وهران، الذي ترك لسبيدي حمد أمير آخر من تونس أيضا، مبلغ سنوي قدره مليون فرنك وهذا يمكنه على الأقل أن يتمتع على القور بعاصمته، لأن مدينة وهران كانت تحت سيطرة قوتنا.

إمبراطور المغرب، عبد الرحمان، الذي سعى للاستيلاء على تلمسان، كان القائد العام متخوفا من أن المقاطعة سوف تقع في أيدي هذا الجار القوي، ولكن حسم ذلك بإرسال بعض القوات التي كانت في ذلك الوقت في حملة المدينة. كان الجنرال دامريمونت المسؤول عن هذه الحملة. ذهب إلى الجزائر مع خط 20، في 11 ديسمبر، ووصل في 13 من الشهر نفسه اليميناء وهران. قام باحتلال حصن مرسى الكبير في 14، وبعد بضعة أيام، حصن القديس غريغوريوس. ثم بقي لمدة شهر في حالة من التراخي الكامل. أرسل إليه من الجزائر كتية، خط 17، ولكن فكر بأن هذا التعزيز للقوة غير ضروري، فأعاد إرسالها إلى فرنسا. عرف بعض الضباط صعوبة في شرح ما قام به الجنرال دامريمونت الذي لم

يحتل وهران مباشرة بعد وصوله، فلم يكن هناك أدنى شك بأن لا شيء سيحدث في هذا الوقت حول كيفية التعامل مع هذه القضية لم يكن الباي الجديد قد عين بعد. ولما كانت التعليمات التي أصدرها القائد العام تنص على التصرف بحكمة وحذر، كي لا يضطر لأعمال الصرامة لتصيب حكومة جديدة للمحافظة. بعد ذلك كان هناك أغراض أخرى، تظهر في هذه الأجزاء وتأتي قبل الظروف مع تونس التي وصلت إلى نهايتها والتي تدعم وجود قواتنا التي أدخلت على إمبراطور المغرب لاجلاء محافظة وهران. ربما كان هذا هو السبب في أن الجنرال دامريمونت لم يحتل حتى 4 جانتفي، مدينة وهران. أخذ جميع التدابير اللازمة لمنع مواجهات دامية، ومع ذلك، فقد شهدت منطقة حصن (سان غريغوريوس) والمدينة، الشكاكا مع بعض العرب ولكنه دون أي أهمية.

باي وهران المعجوزة الذي، أخيرا، أُرسل من موضعا كان يزد ثقيلا عليه، غادر بعد أيام قليلة من احتلال المدينة من قبل الفرنسيين على سفينة قادمة إلى الجزائر العاصمة. وبقي هناك حتى رحيل الجنرال كلوزيل، وبعد ذلك أُحيل على المعاش في الإسكندرية ومنها إلى مكة المكرمة، حيث توفي هناك.

بعد أيام قليلة من وصول حسن باي إلى أرض الجزائر التي يعيش فيها حوالي مئتي تونسي، بهدف تشكيل حرس جديد لباي وهران الذي عين رسميا في 4 فيفري، وكانوا تحت قيادة ملازم أو خليفة هذا الأمير. هذا الأمير غادره

بعد الانتهاء من أعماله في الجزائر العاصمة، على متن سفينة مع فرقته الصغيرة، وذهب للاستيلاء على وهران. بعد انتهاء الجنرال دامريمونت من الشيت، ترك له الخط 21، بقيادة العقيد لوفول، وترك المحافظة بعد الانتهاء من مهمته.

في حين كان هذا الجنرال في وهران، قام العقيد بإرسال عقيد قائد الأركان أوفراي إلى إمبراطور المغرب، لإجبار الأمير على احترام التراب الجزائري التابع لفرنسا.

لم يتجاوز السيد طنجة حتى تم إمساكه من قبل حاكم المحافظة، إلا أن محكمة المغرب وعدت بإخلاء محافظة وهران، وعدم التدخل في شؤون مجلس الوصاية (المنطقة)، ولكننا سنرى في وقت لاحق أنه لم يتم الوفاء بهذا الالتزام.

لم يجد ملازم باي وهران الجديد هذه المدينة في حالة مرضية كما كان يأمل. وكان معظم الناس قد تخلوا عنها، وكانت العرب في المحافظة بعيدون عن الاستسلام. يبدو أن الجنرال كلوزيل أخفى عن التونسي الحالة الحقيقية للأمور، وقد شكّا من خداعه. اعتمد بشكل كبير على مخازن معبأة بشكل جيد، في حين أن تلك التي تسلمها كانت فارغة. كانت التقارير التي بعث بها إلى تونس غير مرجحة لجعل الأمير أحمد حريصا على معرفة محافظته. ومع ذلك، فإن الهدوء عاد تدريجيا. دخل بعض سكان وهران إلى المدينة، واستسلمت بعض القبائل. يفترض أنه لما كنا قد اتخذنا الإجراءات المناسبة، لكنا قادرين على التعريف بسلطة الباي

الجديد ولكن يبدو أن الحكومة الفرنسية غير راغبة في التصديق على معاهدات السيد كلوزيل مع تونس، فلم يعد هذا يهتم بهذه القضية، التي يأمل من جعلها توصلنا إلى أشياء جيدة. ومع ذلك، شكلت هذه المعاهدات أقل جزء قامت إدارة الجنرال كلوزيل باحرازه. حتى أنها كانت مفيدة التقرير المالي المشكوك في تحصيله خلال مراقبته في السنوات الأولى، ولكن كانت فرنسا ملزمة على وضع خصومات هذين البابين في الأيام الأولى من إدارتها، لكأن قد فازت في هذا المشروع ما خسرت مؤسساتها في بون (عناية)، وهران، بوجي (بجاية)، أرزيو ومستغانم. وفقا للتقرير السياسي، كانت الترتيبات التي وضعها الجنرال كلوزيل أقل حكمة. لأنها تسمح لنا بالعمل مباشرة عبر مركز مجلس الوصاية (المنطقة) بجميع وسائل عملنا، ووضع أساس للقوة والحضارة التي يجب أن تتفاعل بالضرورة مع الغايات، وحالة تبعية وخضوع، أو إذا كنت ترغب في القول الاندماج مع العرق المحتل.

كسر غرور السيد سيبياسنياني ليكون السبب الوحيد في عدم التصديق على المعاهدات. لقد كان وزيرا للشؤون الخارجية وقد أحرزت انجازات دون مشاركته. لم يخفي ذلك عن الجنرال كلوزيل، الذي أجاب أنه كان بسبب تعيين اثنين من البايات في المحافظات التي تعتبر من حق فرنسا، وما لم يكن مسؤولية وزير الشؤون الخارجية، انه وافق على الاتفاق لتنفيذ الأحكام المالية

بكفالة باي تونس، وهو لا يزال هناك في منصبه كقائد عام لجيش أفريقيا. على الرغم من عقلانية هذا التفكير، لم تستمر الحكومة في الحفاظ على معاهدات كلوزيل كشيء باطل. ومع ذلك، كانت ذات فائدة ملموسة، وكان السؤال منذ بعض الوقت عن استئناف العمل في الواقع، ولكن انتهى الأمر بالتخلي عنها تماما. وبالتالي، هذا يمكن لغرور رجل عجوز تافه، أن يخلط أوراق خطة بمهارة وتصميم، بعد أن حقق نتائج ناجحة قبل أن تقضى عليها.

في حين أن الأحداث التي تحدثنا عنها، قد تواصلت ونجحت في وهران، كان الجنرال كلوزيل مضطرا للتخلي عن المدينة نتيجة لانخفاض عدد أفراد جيش أفريقيا. لم تكن حامية هذه المدينة قادرة أو لا تعرف خلق أي مورد هناك، وأصبح من المستحيل التزود بالموثونة. كان بن عمر رجلا غير قادر، كما كان غير مغامر أيضا، ولا يعرف كيف ينظم شيئا. كان الجنرال كلوزيل ينص على عدم تغيير الإدارة الحالية، والتصرف في اللحظات الأولى على أنه حكم باي الأتراك، لكنه ترك كل شيء يذبل، ولم يفكر حتى بالاتفاق مع سكان حبيد (هيبد) ودواره الذين كانوا من الممكن أن يصبحوا عوناً كبيراً، وأن عاداتهم في دعم السلطة يمكن أن تحقق عروضاها. كل ما قدمه من عناية إدارية تراجع للممارسة المهنة في بعض الأحياء داخل المدن في أعمال قضائية خاصة بالمحاكم، وجمع الغرامات. كان الجنرال دانليون غير قادر على

توجيه، كان رجلا قادرا جدا على الحفاظ على الانضباط بين قواته، واتخاذ بضع الخطوات المبتدلة التي يجب الحفاظ عليها، ولكن لاتسأله عن شيء آخر أكثر من ذلك. من المؤلم جدا أن يكون دائما جاهزا للإلقاء اللوم، ولكن كيف يبرر لرجل لم يكن قادرا حتى على إنشاء مطحنة كان بالحاجة إليها، واضطر إلى خفض الحصص الغذائية للقوات في محافظة غنية بالحبوب، وفي مدينة كان سكانها أيضا متقبلين لقضيتنا أكثر مما كانوا سكان المدينة في ذلك الوقت⁽¹⁾

كما كان الجنرال دانليون غير متأكد من قدرته على عبور الأطلس مع فرقته، وقد أرسل الجنرال كلوزيل لمقابلته، حتى يمر الثنية، حيث جلبته فرقة أشارد إلى الجزائر، حيث عاد يوم 4 جانفي. وكان أراد بن عمر، الذي نشعر بالعجز لأول مرة أن يترك المدينة معه، لكن سكان هذه المدينة، الذي خافوا من الوقوع في الفوضى، أصرروا على بقاءه معهم. كان هناك رجل أكثر ذكاء من بن عمر، وقادر على اغتنام الفرص المواتية لإنشاء سلطته على أساس متين. وبعد عن ذلك، سوف نراه قريبا ملزما على التخلي عن منصبه الرفيع الذي كان قد قدمه له الجنرال كلوزيل، حيث كانت له فرص جيدة للنجاح.

(1) ما سيأتي سيعطي فكرة دقيقة عن الجنرال دانليون. طارده قبيلة عربية، بعد الحصول على يد الشيخ بن عمر، بطريقة مخزية وضعته في حالة تمرد ضد الباي. غادر الجنرال دانليون المدينة مع جزء من أتباعه لمعاقبة هذه القبيلة، ولكن أدرك بأنه لا يزال بعيدا عن تحقيق ذلك ومن المتعب الوصول إليها، فبدأ بحرق الأكواخ وأخذ الماشية من القبيلة المجاورة، معتقدا أن الأثر سيكون نفسه.

بعد إخلاء المدينة، وجدت قضايا الجزائر العاصمة في نفس النقطة التي اتخذها الجنرال كلوزيل، كانت لنا مواقع استيطانية في المزرعة النموذجية والبيت المربع، بدلا من أن نكون في حدود ضيقة بين فيجي ومصطفى باشا. ولكن كان كل شيء في تحسن متواصل. والجانب هذه المواقع، كان لدينا سلطة غير معروفة إلا في فترة دي بورموث. احتشد عدد قليل من الرجال من أجل السلام لدى "القادة"، في هذه العادات للإستلام للسلطة. ولكن بما أن هؤلاء الرجال لم يكونوا للأسف نشطاء كثيرا، فلم تجد فيهم السلطة إلا دعما ضعيفا. شاركت الجماهير في فرحة لا معنى لها بعد التخلص من أي قيد، ما لا يوجد حتى في القوانين التي تحكم أي مجتمع، ولكن قريبا تقع هذه التجاوزات على عاتقها، استجابة عادلة وعقلانية، أظهرت حاجتها إلى من يحكمها. عدد قليل من الناس أرادوا مراقبة مسيرة الأفكار بين العرب: بذلك ينبغي جعل هذه المهمة سهل بكثير بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلطة في الجزائر العاصمة.

عندما كان السيد الجنرال كلوزيل أقل تعاملًا مع العرب، فإن مرسومًا جاء لإلغاء جميع حقوق اليايات والقادة المستخدمين لصالحهم في بعض الظروف، والعودة إلى المعاملة المخصصة لهم ستويا. ينص هذا المرسوم على الإبقاء على هذا النظام، الذي كان في 18 فيفري يحفظ هذه الحقوق التي يمكن اعتبارها ضرائب دورية، بل ويمكن تسويتها إذا تم جمعها بالنيابة عن الحكومة. وقد

حدث بعض التدابير أيضا من طرف مفتش مالي لجمع التبرعات، قرر أنه سيتم بحلول شهر وكل اثني عشر يوما. من غير المقيد القول أن جميع هذه الأحكام لم يبق لها أن وجدت على الورق، لأنها تظهر كشهادات مضللة لسلطة لم نملكها. وفي نفس الوقت تقريبا، كان الجنرال كلوزيل بعيد منصب الأغا الشخص السيد موندري، قائد سرب الدرك وأكبر عميد في الجيش. وضع في خدمته 12 فارسا من الأهالي، ليكون دليله. كان العميد الكبير موندري إلى حد بعيد شخصا تافها، والذي كان أغا بالاسم فقط.

بينما كان كل هذا يحدث في الجزائر، انشغلت حكومة فرنسا بإيجاد خلف للسيد كلوزيل الذي اهتمها بالتصرف بطرق مستقلة أيضا، وهذا يعني، أحكام كثيرة جدا لزراعة نير العبودية المذل للمكاتب. تم اختيار الجنرال بارتازان، الذي كان قد قاد فرقة خلال الحملة. وينبغي أن يكون الجنرال الجديد مجرد نائب متواضع لقائد فرقة في احتلال أفريقيا. وصل إلى الجزائر العاصمة يوم 20 فيفري، وغادر الجنرال كلوزيل في اليوم التالي، بعد أن أعلن عن طريق جدول الأعمال أن جيش أفريقيا لم يعد له وجود بهذه التسمية، وعليها أن تأخذ تسمية قسم الاحتلال.

مهما كانت الأخطاء التي نسبت إلى السيد كلوزيل، فقد تركت الكثير من الندم في أفريقيا. أراد الخير للبلد وآمن بمستقبله. الجيش الذي بدأ التشهير، والذي

الكتاب 7

وصول الجنرال بارتازان. - المسيرة العامة لإدارته. - السيد بوندوروند أمين المخازن في رئاسة هيئة احتلال مجلس الوصاية. - نظرة عامة حول أعمال الإدارة العسكرية. - إنشاء حق التسجيل. - الاستحواذ الأوروبي على الجزائر العاصمة. - اختبارات الثقافة. - تحليل لمختلف النشاطات الإدارية.

السيد بارتازان الذي عينه الوزارة خلفا للجنرال كلوزيل، قام كما قلنا، بقيادة فرقة في جيش أفريقي خلال حملة عام 1830. كان اختيار الحكومة له نظرا لكونه شخصا يمكن أن يخضع بسهولة لها، وليس لأنه المتصدر في الأطلس.

تشكل جيش الاحتلال الذي تزعمه الجنرال، من بقية جيش أفريقيا، ومن ضمنها عدة أفواج تم إرسالها على التوالي إلى فرنسا، إلى جانب هيئات جديدة المنشأ. وتتضمن على التوالي الـ 15، 20، 21، 28 و 30 من الخط، الزواوة، والمقاتلين الجزائريين وسربين من الصيادين الـ 12، بالإضافة إلى عدد من بطاريات المدفعية وفرق الهندسة. كان هناك أيضا مجموعة غير منظمة من المتطوعين الباريسيين الذين يتزايدون كل يوم. وهي تتألف من الرجال الذين قاموا بدور نشط في ثورة جويلية، وكانت الحكومة الجديدة قد سارعت

أثناء هذه المأساة بعد ذلك، وجد فيه المدافع المتحمس. أخذ بزمام المبادرة التي استعملها، وعندما أراد وزير الحرب مهاجمة صحة تعييناته، ساند بالحزم والتبيل الحقوق المكتسبة من قبل واحدة من أروع مآثر الجيش في ذلك الوقت. بدأ سكان أوروبا بالتشكل في الجزائر العاصمة، ووجدوا في السيد كلوزيل رجلا يدرك من احتياجاته جيدا، ويتجنب الإذلال في الحساسة، كما كان في الكثير من الأحيان. ارتفع عدد هؤلاء السكان، في وقت مغادرة الجنرال كلوزيل، إلى 3000 أفراد من كلا الجنسين ومن جميع الأمم، الذين قدموا بدافع الحاجة لزيادة قوتها وتلقي الرعاية الاجتماعية، أو الهروب من ذكريات غير سارة بالتوافد إلى إفريقيا. ولكن هل يتوقع عمل مستعمرة برجال في مختلف المواقف والحالات؟ من بين هؤلاء الأفراد من كانوا يعملون في العديد من قطاعات التجارة، والقليل جدا من الزراعة. كانت الزراعة النموذجية الفردية المؤسسة الزراعية الفرنسية الوحيدة. في المقابل، زادت في جميع الجوانب الأعمال التجارية والمنازل التجارية والمتاجر، كان في الجزائر العاصمة، منذ شهر جانفي 1831، ما يكفي لتلبية كل احتياجات الحياة الأوروبية تقريبا. ولكن لم يكن هناك أي إبداع، فالتجارة ليست إنتاجا.

للتخلص منهم خلال إرسالهم إلى أفريقيا قريبا عندما لم تعد بحاجة اليهم تم العمل على جعلهم أكثر انتظاما، وبذلك شكلت في وقت لاحق خط 67. هذه الفرق لم تكن مرتبطة بالقطاع الا بالالتزام القانوني، وكان يسمح بقيادتها في الجزائر بعد التخلي عن وعود أولئك الذين لديهم مصلحة بإبعادهم عن باريس. لقد صدر عن هؤلاء الرجال الكثير من الشر والاساءة، ومع ذلك، فإنهم يتصرفون في أي ظرف من الظروف بشجاعة، وقدموا العديد من الخدمات الحقيقية لهذا البلد كفتاتين. وبشكل عام كان الضباط أسوأ ما في هذا الحشد. وقد اغتصبوا كلهم هذا اللقب تقريبا، أو على الأقل حصلوا على مناصب أعلى من مناصبهم الحقيقية. ولكن سرعان ما حدثت عملية التطهير المتأخر.

تم تقسيم كل هذه القوات إلى ثلاثة فرق بقيادة العميد بوثي، فوشار، وبروسار. حكم الجنرال دالليون منطقة الجزائر العاصمة. وكان الجنرال بارنازان قد عين العميد لوروي توفيره كقائد للأركان. وعين السيد بوندورو وكبلا للهيئة احتلال مجلس الوصاية خلفا للسيد فولون، الذي كان قد عاد إلى فرنسا. منذ بدايته الأولى في الجزائر، كان الجنرال بارنازان رجلا داخلية وحسابات شخصية. ويبدو أنه كان يرمي هذا المنصب فرصة كبيرة لتحقيق مكاسب كبيرة في تعاملاته المتبرقة وكان غير قادر على رفعها بطرق الكفة. هذا الضيق في الفكر والشعور، شائع جدا بين رجالنا في السلطة، وهو ما يميز سمعتهم في نظر الأمة.

من تغر الخيانة أمانة من الحجم الكبير وبعبارة عن الصدق البسيط. كان السيد بوندورو، أمين المخازن الجديد، وبأهميته الإدارية، الموظف الثاني في هيئة احتلال مجلس الوصاية، شخصا مستحسنا في الكثير من النواحي. لأنه كان قليل الثراء في وضع يجعله في حاجة إلى توفير المال، ومع ذلك، عاش بطريقة سليمة. ولكنه لم يكن رجلا ذا سعة عالية. لم تعط الإدارة العسكرية التي أدارها بنظام مادي في أفريقيا إلا مجموعة من الأدلة الحزينة على عجزها. ومع ذلك، كانت تضم عددا كبيرا من الموظفين. كان هناك خمسة من الحكام القرعيين أو المساعدين في الجزائر العاصمة وحدها، تحت قيادة السيد بوندورو، ومن بينهم نجد الرجال ذوي الجدارة الحقيقية في التخصص ومع ذلك، لم تكن هذه الإدارة قادرة على خلق أي شيء تقريبا في البلاد، ولم تعثر إلا برمها فقط، كدليل واضح على عدم وجود حماس أو تشجيع من جانب زعيمها.

وكان الجيش دائما يتسلم الغذاء في الميدان، أي الخبز، اللحوم، والخضر، والتمتع بالسلع والنيك. هذا ما يحدث في الأسواق في فرنسا في ما يتعلق بهذه السلع، باستثناء اللحوم وفي بعض الأحيان الحبوب. لم تكن إدارة جيش أفريقيا تعمل أي شيء. فقد كانت تلتقي فقط السلع أو ما يرسل إليها لتحصي الكميات. لكن الجيش في الكثير من الأحيان كان يشكو من هذه السلع، فالأغذية تنقص في الكثير من الأحيان ومن الواضح أنها غير صحيحة في بعض الأحيان، يتم توزيعها دون وقوع أي طارئ، أي لا يمكن القيام بذلك بطريقة أخرى، في مرحلة قادمة.

الجزء الأول

الأركان نلاحظ في أوقات الفترات، ولا سيما تلك الخاصة بتجديد الجترات، وجود مطالبات وشكاوي، وأستطيع أن أقول حتى اتهامات خطيرة للغاية، تم إرسالها إلى الإدارة في هذا الشأن. اعتاد الجنود، على أحكام طفيفة جدا، وربما المسؤولون عن التغذية، يمكن أن يتهموا في هذا المنصب بعض أعضاء الإدارة بالتواطؤ مع الموردين.

عمليات بيع وشراء اللحوم تحدث في الساحات. وقد تفاوت وضع هذا الحكم في كثير من الأحيان. أحيانا تقوم به الشركة، وتخضع في بعض الأحيان للحكم. منذ فترة طويلة كان المحاسبون هم الذين يمولون باشتراك زبقي والذي تكون جميع البنود فيه لصالحهم: وهنا تكشف عن نفسها فيما يخص جميع أنحاء الإهمال، ومن أجل تلبية الحاجة لاستهلاك كبير وثابت، فإنه ينبغي أن يكون لها قطع حسب هذه الاحتياجات، قطع لا يكلف شيئا للإطعام، لأن ممتلكات الدولة تضم حقولا للرعي واسعة النطاق وليست بعيدة عن العاصمة، على ضفاف أركاث وحمير، كما يمكن أن نجد أراضي مختلفة بتكلفة قليلة جدا، ولكن أقرب بكثير من المدينة. إذا سير هذا القطيع بشكل جيد، فسيقتضاه، لتوفير اللحوم الجيدة للجيش بأقل تكلفة، أفضل من اللحوم السيئة التي توزع عليهم منذ أربع سنوات. بدلا من ذلك، كل المحاسبين يملكون بعض الحيوانات التي لا يطعمونها، والتي ذبحوها قبل ساعات قليلة من إمكانية موعها جوعا. تحزن العين على مראي الهياكل العظمية التي تتسكع حول منازل المحاسبين والتي توجه

لتغذية جنودنا. اعترف جنرال برؤيته وجود هذه الظلال للقطاع الإداري وهو ما يكفي، في قاعدة جيدة لتحفيز إزالة هذا المنصب (أي أمين مخزن). لكن لم يحدث أي شيء: زود الجزارون في قواتنا المسلحة بلحوم سيئة جداً، بالوسائل التي وظفتها الإدارة، بحيث أن أدنى انخفاض في اللحوم الواردة من العرب، يجبرنا على تخفيض الحصص الغذائية، وحدث ما حدث حتى أن اللحم غاب تماماً في بعض الأحيان.

المحاسبون الذين لديهم مصلحة شخصية لشراء لحوم رخيصة، يكتفون بشراء حيوانات غير جيدة وفي بعض الأحيان مريضة، وأحياناً أخرى ماشية مسروقة، والتي تكون بأسعار رخيصة جداً. والإدارة العسكرية، التي لم تكن راضية بالطريقة التي يتم بها إطعام الجنود، كانت تعطي مكافآت تحفيزية لسرقة العرب أنفسهم. رئيس المكتب العربي وبسبب دعمه حقوق المالكين المحليين والأوروبيين، الذي يقر أن الثروة الحيوانية تسمى اليقطين محاسب، قدواجه الصيف الماضي اتهامات الإدارة بالأسامة في تموين الجيش، لأنه أراد استعادة هذه الماشية. لذلك فإن الإدارة تعترف بتعيينها لعدد من الوسائل المستخدمة لإطعام الجيش في بلد تسمى إلى ادخال الخطارة اليه ونوقف السرقة.

في كل هذا، لم تكن الإدارة العسكرية فقط الجاني، بل ينبغي القول أن المدراء العاميين ليس لديهم الاهتمام شخصياً باحتياجات الجيش والوسائل المستخدمة، من الواضح أيضاً أن من المستحيل إنشاء مؤسسة

الجزء الأول

قطيع عام مع قطيع حقيقي ينمو ويتج، كما كان الحال في حكومة الداي، ولكن في الأخير، كان من واجب أمين المخازن اتخاذ مبادرة الاقتراح، وأنا مستعد للاعتقاد بأن المساعدات العسكرية كانت غائبة في منشأة مفيدة. ولكن على العكس من ذلك، يبدو أن الإدارة لم تزعج نفسها للدراسة موارد البلاد، وحتى أنها لم تتخذ قرارات للاستفادة من تلك السلطة العسكرية التي وضع تفييدها. وسوف أذكر على سبيل المثال مقص ورص القش تحت قيادة الجنرال فوارول في البراري الشاسعة والحمير. سوف نرى في الجزء الموالي ما كانت عليه هذه العملية التي لم تحمل أي فائدة، وذلك بسبب خطأ من الإدارة العسكرية. وخلاصة القول، أن هذه الإدارة، لا تعرف إنتاج حتى كومة قش، أو أن تولد عجلا. إضافة لهذا كانت دائما تشعر بالحرج من وسائل النقل في جميع تحركات القوات، وهي لم تكن قادرة على تنظيم قوافل المساعدة لمساعدة العائلات الفقيرة في البلد، والتي لديها على الأقل بغل أو جمل، وفي الأخير كانت واحدة من الأسباب الرئيسية لحالة تحجر الجيش الهائلة في أعالي الجزائر لمدة خمس سنوات.

من بين أعمال السيد بوندرون، عمل واحد يستحق كل الثناء، هو إنشاء المستشفى التعليمي في الجزائر العاصمة. يتم إجراء دورات بواسطة ضباط الصحة من الجيش، من بينهم رجال ذوي المعارف العميقة. ومن بين هؤلاء العالم العامل بودوس، والذي، على الرغم من صغره

(كونه شاباً)، اكتسب بالفعل سمعة أوروبية. هذا الجراح الشهير، المهتم بالمؤسسات المفيدة، مثل كل الرجال الذين يستحقون مصير الحدود المشتركة، ساهم إلى حد كبير في إنشاء المستشفى التعليمي. أعجب السيد بوندورون الذي يشكل أكبر حالة، وبسط كل الصعوبات بنظرة عالية وعرض مثابر، وكنا نود أن نراه في جميع الفروع الأخرى للإدارة، لأنه، أعيد وأكرر، كان السيد بوندورون، واحداً من هؤلاء الرجال الذين نرغب في استئجارهم على الإطلاق.

وكان السيد الجنرال بارتازان غير قادر على إعطاء الدافع الحافز للإدارة العسكرية التي تلقاه من رئيسه المباشر. كان نفس الوضع بالنسبة للحالة المدنية، وهنا كانت نعوم القائد العام نتيجة، طبيعية للامبالاة حول كل ما لا يتعلق حصرياً به، وزاد هذا إلى حد التطرف والتعصب في نفسه وصل إلى درجة الحذر نفسه وعدم اليقين وعدم الثقة بالنفس. على الرغم من أن الكتاب الذي نشره مؤخراً، لا يحمل أي شيء رائع جداً، إلا أنه سمح باكتشاف المزيد عنه، وكما كان افتراضنا، فقد كان غير قادر على معالجة المسائل الإدارية ذات المرتبة العالية. كان يمكن بسهولة عن طريق إسكات أولئك الذين على دراية بالعبارات الإدارية، والتعود أخيراً على الحصول على ما يرغب فيه دون مناقشة، ولكن لا يغفلوا ذلك من الاستياء. لأن الرجل ذو الكرامة العالية يفر من وضعه في الكثير من الأحيان في الحاجة الملحة للاعتراف بمعجزه الفكري. أنا المس الآن مسألة حساسة في موقف، وفي الأخير قررت التحدث عن الحقيقة.

هناك نوعان من العثرات والعقبات التي تجاوزها جنرالنا بصعوبة. مهملات تألفت حياتهم الماضية والجدارة في خدماتهم، إلا أن قلة منهم لديهم المعرفة العامة وحب العمل اللازمين للدفع بالجهاز الإداري إلى الأمام في نفس الوقت وبشبات. في حين لم يجروا بأي حساب وملاحظات ولا مشورة رؤساء إدارتهم، كانت تصرفاتهم تحمل الكثير من الجهل والوحشية. عندما تركوا للعمل دون مراقبة، كل في مجال تخصصه، ومن ثم سيكون هناك خلل عام، وضيق في أعمال الإدارة. كل رئيس قسم لا يرى ولا يجب أن يرى إلا تخصصه. الاعتبارات التي تؤخذ خارج الحلقة التي يتحرك فيها، ليست بالنسبة له، بحيث إذا لم يكن هناك في أعلى التسلسل الهرمي الإداري رجل قادر على الإمساك بين يديه كل الأبناء دون الخلط بينهم، لن تكن هناك إدارة ولا هدف مشترك. لم يكن عمل إدارة المالية إلا زيادة الإيرادات دون النظر في ما إذا كانت المعايير الجبائية تؤثر سلباً على ازدهار البلاد. ولا ترى إدارة الأشغال العامة إلا البناءات التي يمكن تصنع الاحترام الذاتي لأعضائها فيما يتعلق بالفن، ولا تهتم إذا كان البناء أرخص وأسهل وغير مناسب للوقت الحاضر. وهكذا كانت البقية.

ما قلناه من الجنرالات يمكن تطبيقه، عن طريق القياس، على الكثير من السياسيين في النظام المدني، ونحن بالكاد لدينا في فرنسا إلا التخصصات، الرجال الذين يمتلكون المعرفة العامة قادرين للغاية. ومع

ذلك، فمن الواضح أن نكون أكثر عرضة للإيجاد في القسم المدني حاكماً جيداً الجزائر العاصمة أحسن من الأقسام العسكرية. بما أن الاختيار لا يتعلق فقط بـ 80 حارساً من الأفراد التابعين للملازمين والجنرالات، أين يتم اختيار بعضهم حسب العمر، والآخرين يتمون إلى الجيل الذي غابت فيه قوائد التكوين العالي تماماً.

أرجو أن يقتنع القارئ بأنني لا أسعى لمهاجمة أي شخص. أعترف بكل ارادة أن هناك بعض الاستثناءات للقاعدة العامة، ولكن من المسلم به أيضاً أن في قرن الأزمات مثلما هو الحال في بلدنا، حيث أن كل 15 عاماً تجلب أفكار و احتياجات جديدة، ورجال هذه الفترات يجب أن يحتضوا معها، ولا يتوقع أن يعتبرهم العامة بطريقة ازدرائية بأنهم مكثوا وقتاً طويلاً على المسرح. الوطن ممتن لبعض الخدمات القديمة، ليسجلهم بدون اعتبار في روعة المجد، في حين أنها باستمرار البقاء على الساحة، ليكونوا عرضة للتعرف في اللحظة (الحاضرة)، وهذا ما لا يأتي بالكثير من الفضول لاستكشاف ما كانوا عليه في السابق.

وصل السيد بارتازان مع أحكام مسبقة أكثر أو أقل تبريراً ضد معظم المسؤولين الذين استخدموا سابقاً. هذا ما شهدناه في أفريقيا بصفة عامة مع كل تغيير للزعيم (القائد). ويتصور أحدث الوافدين الجدد الأخطاء التي تم الإبلاغ عنها، أو أنها قد اكتشفت وقد غطى على نفسه بربط ذلك حصرياً

بالموظفين الإداريين وذلك عن طريق تغيير عدد قليل من الموظفين، سيتم قول كل شيء. ومع ذلك، إذا كان الموظف قد خرج عن مساره، فمن الأفضل إعادته إلى الوضع الصحيح بدلا من استبداله برجل جديد، في بلد تكون فيه دراسة واختبار مثل هذا، بعد تلقي تكوين في المجال، وهو ليس ما بالشئ القين. صحيح أن وضع رجل على الطريق، يجب أن يعلم شخصيا أين تريد أن تذهب.

من بين أولئك الذين أثاروا استياء الجنرال بارتازان كثيرا، كان السيد فوجيرو، مفتش المالية، الذي كانت معهم مشادات حادة إلى حد ما. كان هذا المسؤول مهما جدا، وقد قام باختبار صبر الجنرال العام في العديد من المرات. حل محله السيد ويليومك مفتش مالي، وكعضو لجنة الحكومة، التي أخذت في 1 جوان تأهيل اللجنة الإدارية، السيد نائب أمين المخازن، وكان وزير الجيش لأشهر قليلة. ليحل محله السيد كاز. ذهب السيد جيراردين، مدير البرامج الميدانية إلى فرنسا بسبب عطلة، وحل محله بشكل مؤقت السيد المراقب برنادوت.

غادر رولاند يوسي مهنة مفوض عام للشرطة. وأسندت إلى العميد مانديري الذي كان آنما العرب، والذي أصبح مسؤولا بمهمة ثالثة بعد المهمتين اللتين لم ينتهها.

كل هذه الترتيبات أنجزت، وبدأ كل رئيس قسم يديره إلى حسابه الخاص، دون الكثير من الخرج من البقية. قدمت المشاريع المتفق عليه على شكل نموذج إلى القائد العام، وكان العمل يجري قدر المستطاع.

لكن، من المفترض أن يكون للحاكم فكرة واحدة خاصة، لتبرئة ضميره، فكان الجنرال بارتازان يحمل فكرة تجعله على اتفاق مع الأهالي (السكان الأصليين). المشروع كان يستحق الشناء جدا، ولكن تطبيقه لا يحدث دائما بفطنة كبيرة. أثارت عاطفه مع السكان المسلمين تتركز على عدد قليل من المور على غرار بودرياج وزمرته. هذا الرجل الذكي والبارع قدم جائزة لنفسه أو لاتباعه، من خلال صفقة مزرعة القمح (رشيبة) وهي الصفقة التي جمع فيها المستحقات، من بين جميع الصفقات وجميع "الفنادق". بدأ يلعب دورا هاما بين المسلمين، وقد كان في السابق حقيرا ورجلا دون أخلاق، وقد ظهر اسمه لأكثر من مرة في المحاكم. يبدو أنه في هذه الفترة بدأ نبلاء المور في الجزائر العاصمة يحلمون بنظم مسلم يعود بالفائدة عليهم. هناك سبيل لاعتقاد أن اتصالات شبه رسمية جاءت من الأعلى، لجعلهم يعتقدون أن الأشياء ممكنة الحدوث، وأن فرنسا نفسها، تعبت من غزوهم واحتلالهم، وستمد لهم يد العون.

في 24 ماي، أصدر السيد الجنرال العام بارتازان مرسوما دفع أولي يعاد لإيجار لمدة 6 أشهر سيدفع لأصحاب الأملاك لأسباب تتعلق بالاستعمال العام.

وهذا هو كل ما حصل عليه حتى الآن الأهالي المساكين سرقوا من قبل الإدارة الفرنسية. ومنذ ذلك الوقت، كانت كتلة هؤلاء المساكين في زيادة هائلة، والفوائد بسبب كانت على الأقل في هذه اللحظة تصل إلى 120,000 فرنك فرنسي من القسط السنوي. فلتصور أن مثل هذا المبلغ يؤخذ سنويا من مئات العائلات، بسيطة الحال بالنسبة للجزء الأكبر، فاضطرت للمغادرة مقابل البؤس واليأس. ولكن لا أحد يريد التغلغل في هذا السر المملء بالكثير من الألم. الأطفال الفقراء يتسولون في الشارع، حيث يتظنون الصدقات المهينة، وفتيات كن يتظنون نصيبهن في عش الزوجية وقد أصبحن الآن عرضة للجوع والدعارة، ولا أحد يهتم بسبب هذه المآسي. تلذذ الدموع لسوء الحظ المظلم الذي لم تتطرق له مقالات الصحف، والذي لم يصل إلى غرفة الاستماع إلى شكوى هؤلاء والتخلص منه. أرسلت الحكومة مفوضين في عام 1833 لدراسة الوضع في البلد، ومع ذلك، فقد وجدت ظلما كبيرا يجب إصلاحه. وقد عين واحد منهم في المنتدى الوطني أحد ضحايا إدارتنا، ولكن من كان هذا الضحية؟ هذا الأودوي الذي بعد أن اشترى مقابل 800 فرنك أجزاء واسعة من مزرعة في ضواحي الجزائر العاصمة، وقد سلبت منه مباتيه التي أجبر على التخل عنها كماوى لجزء من فرساننا، ولكن دفعنا له 2,000 فرنك مقابل الأيجار. هذه هي المصيبة الرهيبة التي انتقلت إلى الأعيال الخيرية التي تحدثنا عنها. ومع ذلك، كان يذهب إلى الحفلات

الراقصة والسهرات، حيث وجه ملاحظاته، حيث يمكن لهذا المتحدث أن يراه أمام باب الفندق، أين يدخل العشرات من الأطفال التي لم تعط لهم حضارتنا بعد، مقابل متجر أو ورشة عمل آبائهم. الحكومة نفسها، كانت فرنسا ممثلة في غرف، يجب أن تعالج الانتقادات القاسية وسوء المعاملة وسوء النية ضد السكان الأصليين المحرومين. وقد رأينا أن الجنرال كلوزيل قد أصدر مرسوما يقضي بأن تكون المياني مجالا لضمان ديونها، ولكن بعض الملتزمين من وزارة الحرب، كانوا قد درسوا فن حكم الجزائر في المعاهد الإدارية للسيد جيرونت، وفي نشره القوانين، وجدت هذه الطريقة لاختراع قواعد مشتركة، والذي كان صحيحا، وأنه لا يوجد علاقة بين خصائص الميدان والديون السيادية، وهو في هذه الحالة، ما كان مزيقا. لأن هذا هو السؤال الذي يلخص في تعبير بسيط: الحكومة الفرنسية أصبحت تحكم في الجزائر، لكنها لا تعرف حتى الآن ما يعود إليها. وفي مثل هذا الوضع، كانت هناك أسباب أكثر أو أقل قوة تستدعي هدم منزل: البيت ينتمي إلى منطقة تعود إلى ممتلكات الدولة، وبهذا انخفض عدد المنازل في الميدان، ولم يعد التساؤل عن ذلك. يوجد أبعد قليلا من المنزل الأول منزل ثان كان هدمه ضروريا أيضا ولكنها تعود إلى أحد الخواص، وهو يطالب

ويقول: "ليس بعيدا عن بيتي في شارع من هذا القبيل، في بيلك من نفس قيمة منزلي، أعطوها لي وسوف اترككم". حذر كلوزيل من هذا الطلب، وأجاب بموجب المرسوم الصادر في 26 أكتوبر، حيث أمر وزير الحرب بوقف التنفيذ. لو كان ذلك للوصول إلى دفع تعويضات بوسائل تخرج عن العادات الإدارية، فلا شيء أفضل، ولكن هذا الاجراء لم تكن له نتيجة غير تخريب أملاك المحرومين، من الواضح للجميع أن الذي يتأمل أشياء أخرى غير المعاهد الإدارية، يرى أن ملتزمي وزير الحرب، كان عليهم إعادة توجيه القواعد الموضوعة من قبل الإدارة إلى قوانين ثابتة من العدالة والشرف، وإذا كنت أتحدث عن الكتبة (الملتزمين)، ليس لأنني أخشيان أصل إليالوزير، ولكن أنا مقتنع إن مسألة الجزائر قد تم التخلي عنها. ولكن ما كان لي في موقعي، سبب للشك، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإننا أرسلنا للمحافظ، ربما، لرؤية الأمور عن كثب، وقال أنه سينجح في إبعاد أي شكوك حول صحة رأيه حتى في عقل أولئك الذين أجبرهم الواجب لقراءة انفعالاتها لأسبوعية في الجزائر.

تعمل وزير الحرب، بحكم هيئة موظفيه، مسؤولية الظلم الذي ارتكب ضد أصحاب الممتلكات. لو تركنا المهمة للقادة الرئيسيين لدفعوا التعويضات. بوصول السيد بيثون، حسمت ميزانية المدفوعات على

الإيرادات المحلية، وليس هناك شك في أن التعويض سيكون مستمرا. عندما يرغب وزير للعودة إلى الجزائر في القانون المالي، فإنه لا يجب أن يكون له وزن ولا مقياسان، وعدم ترك الأهالي في وضع استثنائي عن ما لا يقدمون لهم خدمات، في نفس الوقت الذي أخرجوهم مما كان مقبدا بالنسبة لهم. ومع ذلك فهذا ما حدث بالضبط، لأنه إذا كان قانون المالية من ناحية لا يسمح بالصرامة في التطبيق، واتباع أحكام المرسوم الصادر في 26 أكتوبر 1830 من جهة أخرى، فلدينا قانون يحظر ويحرم المالك من تعويض عادل ومسبق. على الرغم من هذا الانتهاك لقوانين العدل والمنطق، لا يجب أن نعتقد أننا في مكتب العدو المنهجي للمور. على العكس من ذلك، ما لا يمكن تفسيره من تناقض، هو أن نفس الأشخاص الذين تسببوا في الخراب والضرر للأسر المسلمة يتبعه هذا القدر الكبير من الترحيب للمتأمرين الذين وصلوا الجزائر العاصمة. وقد أغرقوهم باللطف والرعاية، عن طريق الديكورات والمعاشات، من حسن الحظ أنهم لم يستخدموا مسألة التعويض لتمس بشكل قريب الممتلكات المحروسة، قلنا أن الجنرال كلوزيل بجمع كل ممتلكات الأتراك المرحلين ضمن ممتلكات الدولة. تم تحويل هذه المصادرة إلى ممتلكات محروسة بمرسوم 10 جوان 1831، والذي تم بعد قرار وزاري في 27

ماي. مازالت هذه الحراسة أيضا تمس الأتراك، ولا نعرف كم من الوقت سيكون ذلك. أنا لا أعرف ما اذا كانت الحكومة تتوقع تحولت ملكية هذه الممتلكات بين أيدي الأوروبيين، أو أنها مخرجة من ذلك، لأن تحتل شخصيا عدة ممتلكات ضرورية للخدمات العامة المختلفة.

غالبا ما طبقت أحكام المرسوم بتاريخ 10 جوان، إمام عن طريق الخطأ أو عن طريق تفسيرات كاذبة، على أتراك لم يتم ترحيلهم، وكان هناك بعض رفع الحراسة الجزئية. كانت اللجنة الإدارية ترفضها أولا، ليقوم الوزير بحجزها لاحقا. وهكذا، لم يتمكن الأتراك الذين يتمون إلى حامية مستغانم والذين كانوا في الخدمة من العودة إلى ممتلكاتهم بموجب القرار الوزاري، على الرغم من أن حراسة الممتلكات الذي تحقق، من الواضح أنه كان نتيجة خطأ لا يقبل المناقشة. هذا الالتزام الذي يوجب الركض إلى باريس لأشياء بسيطة، قلل في عيون المواطنين (الأهالي) أهمية الحاكم في الجزائر، وهذا ما كان إساءة كبيرة. قوة يجب ان تكون عظمى وتتمتع باستقلال أقل وضوحا⁽¹⁾.

ومع ذلك، جلب الأمل بعض الأوروبيين إلى أفريقيا فكانت هناك عمليات استنحواذ يومية. في 21 جوان الموالي، حدد حق التسجيل 2% من أعمال الاستلاب النهائي أو نقل الحيازة لمدة خمسين سنة وما فوق. تم تخفيض واحد بالمائة من كل عام من الحيازة الأقل من خمسين عاما.

(1) جمعت مجموعة من الحقائق التي يمكن أن تعلمنا لماذا كان اختبار باريس لتنظيم مسائل الضمان والتعويض. ولكن ليس من المناسب لي شخصيا نشرها الآن.

هناك أشياء غريبة جدا لنقولها عن استنحواذ الأوروبيين في أفريقيا، ويستحق هذا الموضوع توقفنا هناك لحظات قليلة.

لا تريد الأمر المسلمة العديدة ذات التحيزات العرقية والدينية العميقة أن تعيش تحت الحكم المسيحي، واتخذت في الأشهر القليلة الأولى بعد الاحتلال، قرار الابتعاد عن الجزائر، للبقاء إما في الشرق، أو في مدن المناطق الداخلية من البلاد. حاولت قبل رحيلها أن تحقق ثروات ولكن لم يكن المسلمون الذين بقوا في الجزائر في ظروف تجعلهم يحققون عمليات شراء المباني والممتلكات، وكان الأوروبيون الذين جاءوا ليستقروا هناك أكثر رغبة في أن يصبحوا أصحاب هذه الممتلكات. لم يملك معظمهم أكثر من رأس مال بسيط، وبعد ذلك، أصبحت أكثر أهمية، لم يكن مستقبل البلاد يقسم بياقيه الكفاية لعمليات الاستنحواذ التي تمت عن طريق وسائل عادية، وهذا يعني، من خلال تبادل مبنى مقابل أي مبلغ: لأننا نستطيع، من لحظة إلى أخرى، إخلاء الجزائر، والمشترون الجدد سيجبرون على التخلي عن مبانيهم، دون أدنى بصيص من الأمل للعودة برؤوس أموالهم. لكن من ناحية، هناك الرغبة في شراء، ومن ناحية أخرى هناك من هم بحاجة للبيع، وينتهي ذلك بالتوافق. يتم هذا الاستلاب باستخدام المعاشات الدائمة. هذا النوع من المعاملات لا يحمل ضمانات

للمشترية إلا في حالة الإغلاء حيث لن يجسر إلا بعض المعاشات، ويترك
البائع فرصة للعودة إلى ممتلكاته.

لحسب الاتجارات عموماً إلى أدنى نسبة حسب القيمة التي تعطى للمحيازات،
لذلك كان الأوروبيون مهووسين من السهولة التي يمكن من خلالها الملكية في
الجزائر العاصمة.

وبمجرد ما أصبح الحصول على الممتلكات، بطريقة جد مناسبة، متاحاً، لم
يتق الا لتهديد الممتلكين. بدأ منا الشراء للمهاجرين، ولكن سرعان ما اشتريا
من كل الأيدي (الملاك). امتد الاحتلال العسكري على عدد كبير من المنازل في
الناظر الداخلية من المدينة وخارجها. الدمار كان ثمار عدم الانضباط الصادر
عن جنودنا وللحزن للغاية، وبذلك يكاد يكون من المستحيل استخدام
الممتلكات الريفية في ضواحي الجزائر العاصمة. رأى السكان الأصليون
أنهم لن يجنوا شيئاً من ممتلكاتهم، إما الريفية منها أو الحضرية، والتي اضطروا
ليبيعها للأوروبيين في ظروف صعبة وقعوا فيها، اشترى الأوروبيون بأسعار
رخيصة، وأغريوا من أملهم في أن تنجح ممتلكاتهم في جعلهم محترمين. ولكن
كان ذلك محققاً دائماً تقريباً، باستثناء عدد قليل من الشخصيات الاستعمارية
(المستوطنين) الذين تحصلوا على تعويض عن الاساءة التي ارتكبت ضدهم،
أو هبات للمستقبل بالضبط أنهم كانوا أكثر عرضة لتكبد الخسائر، وماعدا

هؤلاء، لم يكن المستوطنون يعاملون أفضل من السكان الأصليين (الأهالي).
يمكن للمرء أن يقول الدمار والنهب كان مرتبطاً بهم، لأن سوء السمعة المرتبط
بقرص هذه الخسائر الطارئة ليشتروا بشئ بخس ويستفيدوا من عن الأهالي.
ربما أن أرادوا أخذ مهمة تحويل النهم ضدهم. القادة أنفسهم أظهروا الكثير
من الإهمال لقرص احترام الملكية عندما عرفوا أن الخسائر لم يعد ينبغي أن
تقع إلا على عاتق الرجال الذين كانوا مرة أخرى سبباً فيها بسبب تعاملهم مع
الأهالي. قال الجيش أنه لم يغزوا البلاد لاثراء الضارين. هؤلاء المستوطنون
الذين أصبحوا يعتززون ويفخرون بالملكية المميزة الجديدة مما يدفعهم في الكثير
من الأحيان للظلم، وأرادوا طرد الجيش من جميع المنازل التي احتلوها. من
هناك بدأ تبادل الاتهامات بين الجانبين، إلى جانب تبادل الشتائم من القسطنطين
والغريين (الوندال)، مما نتج عنه صفات من الرجال الذين يتأخسون نفس
القرص.

ولكن كل ما هو خاص حول هذا الموضوع، هو أن أكثر من عسكري في
قوة القسطنطين وأكثر من مضارب في قوة الوندال. اشترى العديد من الضباط
المنازل والأراضي، ولم ينشروا في معاملاتهم الأكثر دقة من مضارب النهب
والعديد منهم لجأ إلى تدمير ممتلكاته الخاصة، وقطع الأشجار، وإزالة الخشب
والرخام والتجهيزات من المنازل، وفي الأخير كل ما هو قابل للإزالة بعد

الحصول بهذه الطريقة على بضعة آلاف من الفرنكات، وتركوها لتتصاعد من قبل
البنك المور حسب خطأ دفع الإيجار الذي منح لهم.

ولكن جرت هذه الوسائل الصعبة بعض الشيء لكسب المال والمياني. أحسن
بعض الأوروبيين وسائل أخرى إجرامية. الممارسات الاحتيالية وقعت، لتجعل
ملوك الأرض الأصليين يعتقدون أنه سيتم مصادرتها من قبل الحكومة، والذين
لم يكن لديهم وسيلة أخرى لعدم خسارة كل شيء. إلا المبادرة إلى البيع بأي ثمن
كان.

الأهل الذين أعطينا لهم مثالا في الخيانة في المعاملات لم يتأخروا أبدا في
تقليدها. بيعت جميع الممتلكات "القحوص" تقريبا، والشراء أصبح كثيرا في سهل
متيجة. بدنا أولا بالتعامل مع المور والعرب من أصحاب المزارع في متيجة الذين
بدلوا في بيع أراضيهم، حيث وجدوا أنه من المفيد دفع الإيجار للمبنى بغياب ما
يمنع المالك السابق من مواصلة التمتع بسلام، لأن جميع هذه المقتنيات كانت
بعيدا عن خطوطنا. الأوروبيون لا يمكنهم حاليا التفكير في الاستيلاء، ولكن
كانوا يعملون من أجل المستقبل، أملا أن يصبحوا يوما ملاكا حقيقيين وليس
بالاسم فقط، كونها وبمجرد الوصول إلى الأرض، كثيرا ما كان البيع خياليا،
حيث جشع المشتري يخدع سداجة البائع. وتملك هؤلاء الأوروبيين رغبة
للحصول على شراء قطعة أفريقية وشراء كل ما يعرض عليهم، ليس فقط دون
رؤية البناء الذي كان من المستحيل تقريبا دلتها، ولكن أيضا على أوراق مالية

ثالثة أو محودة، وفي كثير من الأحيان على وثائق إعلان يكون فيها سبعة شهود
مهورين.

وبهذه الطريقة التي لديها نفس الخصائص ثبات نفس الممتلكات في نفس
الوقت للعديد من الناس، حيث تم خداع الأوروبيين أما بوضع عقود بيع
خاصة بتصوص دقيقة، وقد حدث بالفعل أن اشترى البعض 10 مرات سهل
متيجة أو اشترى أرضا لا وجود لها. جعل العرب خداع جشع الأوروبيين
لعبة، ويجب الاعتراف بأن هؤلاء تصرفوا سداجة، حاولنا أن نغفرها للأوائل
في تصرف بسوءه الكثير من الخداع والارتباك أكثر من الخبث. لأننا في الأخير،
رأينا في الجزائر رجالا تخيلوا شراء ألفين أو ثلاثة آلاف فدان من الأراضي
المتارة التي زرعت بشكل جيد مع الماء بالقرى التي يسكنها مئات من الناس
مقابل مئتين أو ثلاثمائة فرنك في السنة. لقد أصبحت كثيرا الفلق في أحد الأيام
على الصحة النفسية لأحد المستوطنين، الذي كان قريبا مني لفترة طويلة، حيث
جاء ليقول لي أنه قد اشترى في الصباح قرية ••••• التي كانت أجمل وأغنى
وأكثر قرية من حيث عدد السكان في السهل. وبعد أيام قليلة، قادني عملي إلى هذه
القرية وكانت أنسا. إذا كان إقليم ••••• سوى معلم واحد للسكان الفهم
كانوا من المزارعين أو المستأجرين، لكنني وجدت أن الجميع كان مقتنعا بالملكية
الثابتة لقرية، وحديثه وحقله، ولا أحد كان يشك بأن أوروبا قد اشتراهم مثل
"الفرن (عبد الأرض) المسكوفي".

كما كان مستوطن آخر مطمئنا، أو كان مقتنعا بأنه اشترى أكثر من 150
 "زواتجة" (الزواتجة تعني 25 فدانًا)، وأصبح صاحب الجزء العاشر من
 مزرعة الخوخ، ولكن عملية حسابية في دقيقتين أثبتت له أن هذه المزرعة
 التي تسمى الآن سهل متيجة الكبير، لا تمثل إلا الجزء العاشر منه.

وعلاوة على ذلك، وبالرغم من希يات الأمل الكثيرة، إلا أن العديد من
 الأوروبيين يملكون حقا في متيجة الكثير من الأراضي الجميلة والواسعة،
 وتباع وتشتري بحسن نية أيضا. هذه المفتيات الفعلية والحقيقية التي
 تتجاوز السهل، تمتد إلى ما وراء الجبال. ماهي النتائج المترتبة على هذا
 الاستيلاء على ملكية الأرض؟ هذا ما سوف ندرسه.

معظم الناس الذين يشترون لم يكن لديهم الوسائل ولا الرغبة في
 استغلالها. انهم مازالوا ياملون في تشكيل تجمع سكاني أوروبي كبير
 في أفريقيا، وبعد ذلك سوف يحصلون على فوائد كبيرة خلال إعادة بيع
 ممتلكاتهم. ولكن كانوا أنفسهم عقيمة أمام تحقيق حلمهم وطموحهم؟ بما
 أنهم كانوا هم العمال، فهذا يعني بأن عناصر المستوطنين ينبغي أن يدفعوا
 لهم الجزية، وتؤخذ الفوائد من هؤلاء، وهذا ما يجعلهم يتعدون. في الواقع
 أعيد بيع عدد كبير من الممتلكات عدة مرات، وسعر إعادة البيع يرتفع في
 كل مرة، لأننا شعرنا أن مثل هذه الفرصة لن تتكرر في الوقت الذي

يكون فيه الاستغلال الأوروبي ممكنا، بحيث أن الإنتاج وجد الآن مثقلا
 بالفوائد المتعاقبة للمضاربة التجارية، والتي من الواضح أنها تجعلها أكثر
 صعوبة. يجعلها أكثر تكلفة بالنسبة لأولئك الذين يقدمون عليها. هذا
 الاتجاه يدفع علاوة كسل للعمل، لأمر يمس ويخرج معتقداتي السياسية
 والدينية العميقة، لكنني لست من يلقي اللوم على الأفراد، لأن ذلك كان
 نتيجة للتنظيم الاجتماعي.

بعض المضاربين الذين كانوا أكثر تفتنا من غيرهم، و الذين يرون أن
 الادعاءات العالية جدا تبعد العمال، لهم مشروع، عندما يتقدم هؤلاء، بإقامتهم
 في أراضيهم بشرط دفع بعض الرسوم السنوية. بالتأكيد هذا هو أقل ما يمكن
 أن يطلبوه، وبينما نفكر جيدا، فيها إذا كان هذا النظام السائد، هو النظام الإقطاعي
 الذي نشأ في أفريقيا. ومن الجدير بالذكر، أن وجهة النظر في المجتمع الأوروبي
 القديم قبل أن الاستقرار في الجزائر العاصمة على أسس قواعد كسرتها نفسها.
 يمكننا القول تقريبا، بعد كل ما رأيناه، أن أكبر عقبة أمام الاستعمار موجوده
 في المستوطنين أنفسهم، الذين اشترىوا للمضاربة وليس ليتجروا شيئا. ولكن
 من العدل أن نقول من حيث المبدأ، لو أن الحكومة قد منحت لهم حماية أكثر
 فعالية لطلبوا إنتاج الفائدة. لا أرى أي علاج ممكن من العواقب القاتلة لمستقبل
 المستعمرة، والاستيلاء على الملكية، إلا اجراءا تشريعيا (قانونيا) يرغم أن ملاك

الأراضي ابقوا على البيع بسعر البيع الأول للأسر العاملة التي ريد البقاء في البلاد، الأراضي التي يحتاجون إليها، وحددت في نفس الوقت الحد الأقصى لما يمكن للجميع امتلاكه. من الواضح أن توفير هذه الفوائد والمزايا والضمانات للمستجيبين الا طريقة لجذبهم الى الجزائر العاصمة، لأنهم لن يأتوا بالتأكد ليكنوا الأيدي التي تخدم الأرض. قد يكون هذا قد جذب الأسر الزراعية الغامضة، والتي تمحرت بشكل مؤقت، ولكن بالنسبة للمزارعين الحقيقيين فهم رجال نظام، وعمل ومثابرة، ولن نكسبهم الا بجعلهم أصحابها.

لا يجب على هذه الملاحظات أن تؤذي (تجرح) أحدا. بالتفكير جيدا نجد أن تجار الأراضي يعترفون شخصيا بالدقة. معظمها تنتمي إلى بعض الأسر المتواضعة التي كانت في ثورة 89 لتحررها بالكامل، وفهموا كيف أنه من السخرية المطالبة بأن يصبحوا أسياد الأراضي، ويمارسوا الاستغلال البروليتاري (أفراد من طبقة العمال)، هو ما اعتبروه مطالبة بغيضة بالحد ذاتها. وعلاوة على ذلك، كانوا يرغبون في مصالحهم الخاصة، لأن التصرف بطريقة مغالطة سيحددون دمارهم ودمار المستعمرة في نفس الوقت (1).

وما نأمل خاصة هو أن عتكري الأرض لا يشعروا بعيوب نظامهم، مما

(1) الكثير من الأوروبيين في الجزائر فهم المسالك الكاملة، وأنا أعلم أنه على الرغم من ملكية مزارع عديدة، إلا أنهم أرادوا من الحكومة توسيع الحراسة على كافة الممتلكات الأوروبية في السهل، للتوزع فيما بعد على شكل قطع مجزأة تقدم للذين يأتون بالوسائل والرغبة في زراعة.

قد لمحا له في الأعلى، وأعطوا هذا من حيث المبدأ الاتجاه الكارثي لأعمالهم. الأصل هو شراؤها للاستخدام، وفي ربيع عام 1831 أصبحت بعض المزارع مهمة وغالية جدا. توجه الدكتور شوفرو الذي كان رجلا ممتازا، والذي لا يزال عبدا عن ترك ندم وأسف عميق فيا لجزائر العاصمة، والاخوة فوجيرو والسيد روش وكولومب الى تجارب في الزراعة، ويبدو أن ذلك توج بالنجاح. كان لديهم نفس المجموعة من العمال الأوروبيين فيا لمزرعة التي حصلوا عليها منهم في بني موسى، على بعد ميل ونصف من المزارع النموذجية. تم تقليد هذه الأمثلة بالقرب ا لجزائر العاصمة، ولكن عندما نعيش خارج خطوطنا في الحرب ومتحمس باستمرار بالسياسة الكاذبة والخاطئة لحكامنا، فهذا يأتي لتدمير ما نعمل على خلق، وبالدخل، كانت المنتجات كانت الزراعة في الكثير من الأحيان فريسة لأولئك الذين كانوا سيدافعون عنهم، وتواصل الاستغلال، وكنا نمضي الوقت في انتظار أوقات أفضل من خلال تخريب الأراضي وسرعان ماتع هذا المثال القاتل حشد من الناس الذي جعلوا منها مهنة دون أن تكون لهم أي أدنى فكرة عن الزراعة.

كانت الحكومة السبب الرئيسي لهذا الانحراف للنشاط الاستعماري ولم تفعل أي شيء لوقف العواقب. وقد وضعت رسوما لتسجيل، وأشادت بزيادة الإيرادات ببضعة آلاف من الفرنكات. ومع ذلك، فإن المشتريات

الأوروبية، والتي لا تزال، لسياستنا مليئة بالعيوب أكثر من تلك التي ذكرتها حول الاستعمار.

العرب الذين باعوا لنا ممتلكات بعيدة⁽¹⁾ على أمل دائم من أننا لن نعود لنشغلها، ليستمروا بالاستمتاع بها. بحيث أن كل عملية شراء المباني التي قام بها الأوروبيون، على النقاط التي لم تحدد حتى الآن، ما خلق في مستقبل الاحتلال أسرا عدوة جدد. بالإضافة إلى ذلك، تم شراء المباني في البلدة، وإدارتها يجب أن نتوقع أنه إذا لم تشغل هذه المدينة في أي وقت مضى، فسوف تصطدم مع كل خطوة ضد مطالبات الأوروبيين المبالغ فيه أكثر من مطالبات السكان الأصليين. ومع ذلك، فإن احتلال البلدة ضروري إذا أردنا أن نفعل شيئا للبلاد، والآن هاهم الأوروبيون الذين يجعلون الاستقرار أكثر صعوبة بحضورهم، لأنه من المعروف أن الكثير قد اشترى مع دافع خفي لطلب مبلغ كبير (فدية) من الإدارة لو كانت في حاجة إليهم للمرافق العامة. إلا أن الحكومة لم ترد أن ترى ذلك، على الرغم من أنها بلغت بهذه الحقيقة. كنا نرغب في حظر أي شراء للمباني من طرف الأوروبيين ما وراء النقاط (المناطق) التي تحتلها خطوطنا؛ لكن الحكومة، من خلال تبصرها كانت دائما تسرع على توسيع هذه الصعوبات الخاصة. أثرت أخطاء الإدارة والأفراد على بعضها البعض، وقد وضعنا ذلك في موقف أن أي تقدم سيكون من المستحيل إذا كان هناك نظام.

(1) الشريط في بني حيدوق في بني خليفة وفي بني منادوق حتى في بني مناصر التي توجد على بعد 52 ميلا من الجزائر العاصمة.

إذا كان إدارة الجنرال بارتزان مدركة قليلا لما يحدث، ومع ذلك فإنها كانت مليئة بالرداءة كثيرا، حيث قام السيد بارتزان بتوقيع 115 مرسوما (أمرا)، منها 45 لتشكيل التشريع، و 50 على أشياء انتقالية، و 20 تعيينا للوظائف. في هذا العدد كانت الأحكام الجبائية الواردة تلعب الدور الرئيسي. في يوم 20 مارس، وضع الحق في المنح، للأشياء الاستهلاكية التي جلبت من الداخل والذي أنشأ: التسعيرة المعدلة في هذا الوقت تم تغييرها بأمر المرسوم الصادر في 30 جويلية.

وفي 21 مارس صدر حق 80 بوجو في الشهر (148 فرنك. و 80 سنتيم) على جزائر اليهود، لعقده قانون البراءات.

في 11 جويلية، وكم أرىنا أعلاه، كانت عقود التملك أو الحيازة، تتطلب أن دفع رسوما لتسجيل. في اليوم نفسه أعلنت تجارة الملح كتجارة حرة، ولكن ادخلها عن طريق البر والبحر، كانت تخضع لحق 3 فرنك. لكل كيلوغرام للأملاح الفرنسية، و 4 فرنك للأملاح. لم لا تقبل الأملاح في المستودع مثلما يمتنع هذا الحق لغيرها من السلع بأمر 31 ديسمبر 1830. ولكن متلقي الجمارك يسمح بالحصول على السداد تحت مسؤوليتها لشخصية وبناء على الفواتير، وإيداع إلى 3 أشهر من موعد بالنسبة إلى النصف، و 6 أشهر بالنسبة للنصف الآخر من الحقوق المتحصل عليها من الخزينة. لا يمكن أن يعاد الحق بغض النظر عن وجهة الأملاح اللاحقة التي دعمت.

في يوم 28 جويلية، تم تعديل بعض أحكام مرسوم التعريفة الجمركية من تحديد باب 10 فرنك للرأس الواحد فيما يخص رسوم تصدير الثيران والأبقار و 12 فرنك للفطار منري (الكيلوغرام)، حق تصدير الشمع تحت أعلام أجنبية و 8 فرنك بالنسبة إلى تصديره تحت العلم لفرنسي.

هناك بعض الأحكام المالية الأخرى لإدارة السيد بارتزان، ولكنه اذات فوائد الثابتة.

بشأن ممتلكات الدولة، قدم الجنرال بارتزان في هذه الإدارة مبدأ تدل به التجربة عليها لفرصة: وهذا ما يعني فصل المجال العسكري عن القطاع المدني. وبمرسوم 26 نوفمبر 1831، تم توجيه جميع المباني التابعة للدولة إلى الثكنات القوات وإسكان الضباط، أو جعلها مخزن المدفعية الهندسة، وتلك الخاصة بالإدارة العسكرية، والتي تم منحها العقارية العسكرية بعد أن كانت مسؤولة عن الإصلاح والصيانة. هذا الإجراء منع التدمير الكامل للمباني التي يحتلها الجنود الذين كانوا يقيمون عندها عندما تم اتخاذها. فمن الصعب الحصول على فكرة عن الاضطراب الموجود في السابق والذي كان ضمن الاحتلال العسكري في الخارج، كانت القوات تقيم في المنازل الريفية الملائمة لهم، دون دفع شيء، و دون تحديد حالة المكان. كان وجوب الحفاظ عليها بكلمة واحدة دون الشكليات. داخل المدينة، وعندما أردنا إنشاء قوات الضباط، توجهنا إلى المقرض الملك بالقرب من بلدة، والتي، وبدون النظر في الأماكن، أعطى أحد وكلائه مهمة لتقديم المنازل الشاغرة. كان هذا لشخص يمر على المدينة، ليعطى

باب أول منزل يحده أمامه، وإذا لم يجب أحد، لأنه تم التخلي عن المنزل أو سبب الحجرة أو بسبب غياب مؤقت للمالك، كان عليه كسر الباب، وتسليم المنزل للفرق العسكرية، دون أي إجراء شكلي. فمن المتصور أن هذا النهج يؤدي حتما إلى فقدان كافة المباني المخصصة للثكنات، بما أن لا أحد كان مسؤولا عن الضرر، وبذلك ليسوا مسؤولين عن الإصلاح. وضع مرسوم 26 نوفمبر حدا لهذه الانتهاكات.

وكان الجنرال بارتزان قد خفض بالفعل جزءا من مساوى الاحتلال العسكري، ببناء ثكنات مصطفى باشا، التي تقع خارج المدينة، وراء ضاحية باب عزون. هذا البناء، الذي صمم مخططة تحت أوامر المارشال كلوزيل كان عبارة عن تكتل من المباني المبنية بطابق واحد، وشرقة، ورتب كمعسكر للثكنات. يمكن أن يحوي 2000 رجل. بدأ العمل في شهر مارس وتم الانتهاء منها في أكتوبر. بغض النظر عن هذا المبنى الرائع، ولكن المفيد للغاية، كان مشرفا لإدارة الجنرال بارتزان.

تم تنفيذ أشغال أخرى أقل أهمية في ذلك الوقت. كان وصيف الصخور البحرية الذي يشكل ميناء الجزائر لقد ألحق به الكثير من الضرر وبالتالي كان وجود المخازن الواسعة التي تقع هناك مهددا أيضا. تم إصلاح ذلك بمهارة كبيرة وسرعة، من طرف السيد فويل، مهندس هيدروليكي (مهندس في علم السوائل المتحركة)، المسؤولة عن هذه المهمة تحديدًا. تم بناء مسلخ (مذبح) خارج بوابة باب عزون،

وتحت إشراف البلدية السيد ملكيور، المسؤول عن البناء، الذي كان في الوقت نفسه المفاوض والمهندس المعماري، وقد عرضة مواهبه، خصوصا الصدق والثناء اللذان جعلاه محل ثقة الجميع، وحصل في وقت لاحق على القوائم الحقيقية المكتسبة بشرف.

تم إنشاء ستة طواحين الهواء أيضا خارج باب الواد. وضعت الأجهزة في فرنسا، تحت إشراف إدارة ضباط الهندسة، ولكن تم بناء البرجين من قبل الشركة في إطار اعتماد البلدية، و أرسلت بعد ذلك إلى الميدان العسكري. هذه المطاحن تقع في المكان الذي توجد فيه الرياح والتي تعبر بارتداد الهواء، والتي تدور في أخطود واسع في بوزريعة، وهي لا تعمل أبدا تقريبا، واعتبر هذا البناء أول مثال على انتهاك حرمة المقابر التي جعلناها لينة في ذلك الحين. على الرغم من الاستياء الشديد الذي تولد لدى المسلمين، إلا أن البرجين تم رفعهما إلى حدود المقبرة، وجد السيد المقاتل "زدا" الفرصة مريحة للغاية لتوظيف الحجارة القبرية الموجودة بين يديه. هذا الأسلوب الاقتصادي لشراء المواد، وزيادة القوائم. ولكن لن نضمن، أن قلب التدي سيغفر لنا، كنا ملزمين بأن نقاسم ذلك مع رئيس البلدية.

قبل وصولنا إلى الجزائر، لم يكن هناك متددى في هذه المدينة، حيث تلف الأسواق تحت الأروقة، والتي بالتأكيد كانت أكثر ملاءمة، نظرا لحرارة المناخ. لكن، بما أن عاداتنا تتطلب مكانا، ثم أردنا أن يكون ملتقى

لبناء حديثة، وبدأنا ذلك تحت إدارة السيد بورمونت، للتوسيع عن طريق هدم المنازل المجاورة، حيث توجد مساحة صغيرة مربعة الزوايا والتي كانت في وسط المدينة، قبالة المدخل الرئيسي للقصر القديم "جينة". كان هذا هو أصل مكان الحكومة الذي كان منذ وقت طويل مشروع الاحاطة بلطاني الجميلة. خصص السيد الجنرال بارتزان للهندسة العسكرية (لم تكن في هذا الوقت مسألة الطرق والجسور) مبلغا قدره 20 ألف فرنك للأعمال الأولى في هذا المكان، ووظف لتوحيد وإصلاح المخازن الجميلة للنية (المحدبة) الموجودة في الأسفل.

في ذلك الوقت، كان بإمكان القادة العاميين امتلاك المزيد من الأموال أكثر مما هو عليه الآن، لأن أنفسهم استقرت، كما هو الحال بالنسبة إلى ميزانية الإنفاق على المدنيين، وحتى طريقة المحاسبة. لا يزال لدينا ما نقوله لإنهاء ما كان علينا قوله حول الإدارة المدنية للسيد بارتزان، بالحدث عن بأعماله المتعلقة بالبلدية والزراعة، والتجارة، والشرطة.

وكان السيد كاديت دوفوكان قد أدخل في توقعاته الحاجة لحجر الخبوب الكبيرة. اشترى 10000 كيلا، والتي تركها لعدم وجود الرعاية، لذلك اضطروا إلى رميها بعيدا أو بيعها بثمن بخس. حدد الاحتياطي إلى 4000 كيلا، وكان على فلاح (مزارع) "راشيبا" تقديمها، لكن لم يفعلوا ذلك أبدا.

(1) هو مزارع من سوق الخبوب: كانت ميزة حظر بيع الخبوب خارج السوق، ويتحصل على حق (رسم أو مبلغ إضافي). لكل كيل يتم بيعه، يدفع إلى الحكومة رسما يقرب من 250 فرنك مقابل هذا الامتياز.

الجزء الأول

في 21 حدد أمر مدة سنة واحدة لمهام رئيس الأمة اليهودية، وسيتم تعيينه بواسطة القائد العام، على قائمة من ثلاثة مرشحين مقدمة من الملاحظين العبرانيين. كما وضع هذا المرسوم الى جانب رئيس الملة اليهودية، مجلسا مكونا من ثلاثة أعضاء يعينهم القائد العام من قائمة من ثلاثة مرشحين. في 4 سبتمبر، أخذ مرسوم آخر يعين الاعتبار الدمار الذي لحق بالجزائر، والذي شمل تدمير كل النباتات، لمنع قطع الأشجار، ووضع الأحكام السارية للغابة من القوانين الفرنسية.

في يوم 15 جويلية، تحصل إدخال الحبوب على كل الحقوق. عندما صدر هذا القرار، كنا عالقين في خطوطنا بسبب العرب. كان بعد تراجع كارثي في المدينة، والذي سنتناقشه في الكتاب اللاحق، ولم نتلق أي شيء من الداخل.

يوم 24 مارس، كان ممنوعا حمل السلاح لجميع العرب في الجزائر العاصمة، تحت طائلة الموت، إلا أولئك الذين لديهم ترخيص أو "القادة" أو المشايخ. كان الجناة يمثلون أمام سلطة رئيس المجلس. هذا النظام هو وسيلة غير مستمرة؛ لأن السيد يارتزان الذي لم يشغل إلا عددا قليلا من المناطق خارج الجزائر العاصمة، والذي لم يقم بأي إجراء ليؤكد سلطته على العرب، لم يتخذ تلك السلطة أكثر من منطقة الجزائر العاصمة وتلك الخاصة بـ "اليمن". وبعد ذلك، ماهي سلطة رئيس المجلس بالنسبة الى ادارة العدل، بعد الأمر التاميسي في 22 أكتوبر الذي لم تتحدث عنه.

ظهر في 9 جوان، قرار يخضع لشكليات مزعجة لغاية لتجارة المعادن وغيرها من المواد الموجهة لصنع الأسلحة، وأمر بترتيبات جديدة خاصة بمسحوق البارود، والتي كما نعلم أن لا وجود لها.

في 1 أوت، صدر أمر قضائي في المدينة لتعلن عن عقوبة الإعدام ضد أي شخص من الأهالي ممن لا يعلنون عن حيازتهم للأسلحة والدخيرة. تم استعادة حرية تجارة الحديد والصلب في 7 سبتمبر.

كما أصدر السيد الجنرال بارتزان على الإدارة بعض أحكام القانون، والتي ستتحدث عنها لاحقاً.

لم يقل مرسوم 22 أكتوبر 1830 من سيقدمون أحكام الاستئناف في المحاكمات الجنائية. كان من الواضح أنه في ذهن المشرع، يجب أن يكون أمام المحكمة، ولكن في الأخير كان من الواجب التعبير عما جاء به أمر 9 جوان.

في يوم 20 جوان، تم إنشاء لجنة لمراجعة الأوامر المعادة على العدالة، ولكن هذا الاجراء لم يحمل أي نتيجة.

أحرز السيد الجنرال بارتزان في سياق إدارته، بعض الأوامر مثبتة أو معلنة للأحكام التي أدلى بها القاضي، وهو ما يثبت أنه أصبح مطبقاً بينما تلقى القائد العام دعوات للمراجعة. وأذكر هذه الحقيقة، لأن في وقت لاحق جلب سؤال من هذا النوع نوعاً من الاضطراب المؤسف بين الساعطين الأوليين من مجلس الوصاية.

العلاقات مع العرب. - اغتيال "قايد" كراتشة. - رحلة إلى السهل. -
الاعتراف من القليعة. - الأعمال التضاريسية. - حملة بني صالح. - حملة
البلدية. - المضطرابات الانسحاب. - القتال حول المزرعة النموذجية. -
تعيين الحاج محي الدين الصقر سيدي بن علي آغا العرب. - الحملة
للإسفة في عنابة. - وفاة القائد هوندر. - الجنرال بوهر في وهران.
- منظمة الخدمات العامة بوهران. - وصف محافظة. - تذكير الجنرال
بارتزوان.

لم تضمن سياسة الجنرال بارتزان تجاه العرب أي خطوة إلى الأمام
وأكثر تبعا للإدارة المدنية، لاهو ولا أي شخص من المحيطين به قد
اشغل بالمواصلة والاهتمام المناسبين، يبدو أن العرب كانوا مجرد مادة
حاملة، وإحراج مادية، ووسائل مادية يجب أن تحيد فقط، حتى أننا لم
نلق حول ما كان يحدث لديهم (في عمر دارهم)، لأننا لا نعتقد بأنهم
يذكرون في مهاجرتنا، وتحليلنا بطواعية الاهتمام بمحكمهم، فقط عندما يأتي
المفس منهم، ممن تعب من الفوضى التي التهمتهم أو مدفوعا بواسطة
روح التآمر، للمطالبة بزعيم فتطبع على رأسهم الشيخ أو القايد دون أن
نعرف ما كان ذلك مناسبا أو لا، تفاصيل العمل تترك للممارسين، وهم
فئة من الرجال الذي لا يمكن التحليل عنهم في هذا البلد ولكن ينبغي

للمرء استخدامهم بغير شديداً لأن عدد الذين كانوا على استعداد لكسب المال من كل شيء كان كبيراً. عندما تأمر هؤلاء للحصول على مسار الجرائم الصغيرة التي ترتكب بين العرب، توقفوا عن أولئك الذين يمكن أن يضعوا أيديهم عليهم، وبعد الحصول على قذبة لصالحهم، يتخلون عن ذلك بالقول أنهم لم يتوصلوا لاكتشاف أي شيء. هذه الانتهاكات أبعدت العرب عن الجزائر العاصمة. في كثير من الأحيان كانت صفقاتنا عارية، وكراهية العرق بعيدة من أن تكون ضعيفة، لتكتسب مع كل يوم قوات جديدة.

أخطر قايده الذي تم تعيينه في كرانشة، محمد بن العمري، في يوم من الأيام ليأتي لزيارة الأغا مونديري، وتقديم بعض الهدايا له، قتل بعد عودته، كخائن لبلده. لم تكن قلقين كثيراً.

بعد أيام قليلة من وصوله، وهذا يعني في بداية شهر مارس، قام الجنرال بارتزان بجولات خلال بضعة أيام في متيجة مع 4 كتائب و 150 حصاناً. لم يواجه أي أعداء في أي مكان، وقتل جندي واحد فقط في الجهة الخلفية للوفد العسكري حول البلدة. استجابة لطلب سكان هذه المدينة، امتنع الجنرال عن التوغل. كان الشيء نفسه بالنسبة إلى القليعة، التي تقدم إليها أيضاً. كان شيئاً حزيناً جداً ولا يمكن تفسيره من خلال رؤية حاكم مقاطعة محتلّة وقد تم إبعاده عن المدينتين اللتين نوى زيارتهما وقد كان من واجبه بسط أو فرض سلطته. من الصعب الآن القول ما الذي ذهب الجنرال بارتزان ليعمله في السهل.

استغل ضباط مكتب الطبوغرافية هذه الفرصة للتعرف على مسار شقة ومزارعهم. ذهبوا حتى القليعة تحت حماية مرابطي أسرة مبارك، ووسطروا للمنطقة.

قام مكتب الطبوغرافية في سياق 1831 بعمل كبير جداً. لديهم لهم خريطة شواحي الجزائر العاصمة، والتي كانت دقيقة التنفيذ وجيدة للغاية، خلطت الجزائر، وطرق أخرى عديدة. كان المكتب يتألف من عدة ضباط مهرة ومتحمسين، ولكن تخفيض عددهم إلى نقيب واحد، ولذلك لم يعد يمارس نفس النشاط.

في شهر أفريل كانت هناك جرائم قتل قليلة أو محاولة قتل وقعت في المناطق الداخلية التي تتواجد فيه خطوطنا (قواتنا). هوجم فرقة الفرسان التي أرسلها الأغا إلى بني موسى، وأنا لا أعرف ما عملها هناك، من طرف سكان بني ميزرة وبني صالح⁽¹⁾ الذي قتل شخصاً واحداً، وأخيراً، في هذه الفترة تم قتل قايده من كرانشة، بن العامري. ولذلك أراد الجنرال الذهاب لمعاينة القبائل المذبحة: غادر الجزائر في 7 ماي مع 4000 رجل وبعض من قوات المدفعية، ومشى على أوتان أو منطقة كرانشة. هناك أوقف بعض الأفراد الذين كان يعتقد بأنهم من مرتكبي جريمة بني العامري، إلا أنه لم يستطع أن يثبت إدانتهم، وسرعان ما أطلق سراحهم، ولم تعد هناك مسألة هذه القضية. توجه الجنرال من الكرانشة إلى بني ميزرة، وهي قبيلة صغيرة لقبائل "منطقة أوتان بني خليل، والتي ساهمت بقتل الثيران، لم تسلم منها

(1) قبائل "القبائل" في أوتان (منطقة) بني خليل على الجانب الشمالي للأطلس.

اللائحة فقط من هناك ذهب إلى بني صالح مرووا بين جبال البليدة التي تركها على يمينه. وهي سكان بني صالح لتسليم الرجال الذين قتلوا قدامهم الأعداء والذين قبل أنهم يتعمون إلى هذه القبيلة. طلبوا وقتا للعثور عليهم واستغلوا فترة الراحة التي أعطيت لهم للاستحباب من الجانب الآخر من الجبل، مع جمع من يستطيعون التحمل. بعد ليلة من الانتظار، رأى الجنرال بأنهم يلعبون به، فبدأ بالهيجان على القبيلة. تغلغل حتى منطقة نيز، التي تعد واحدة من قسم الأطلس، دون أن يجد أي مقاومة، ولمن بالوصول إلى هذه النقطة، تلقى بعض الطلقات النارية من "القبائل" الفارين (المهاجرين). وقتلوا رجلاً نزل من الجبل مجدداً دون أن تتم ملاحقته، وجاء للتخيم (إقامة مخيم أو معسكر) حول البليدة. أرسل سكان هذه المدينة، التي لم تدخلها، الغذاء للجيش. عادت الفرق العسكرية إلى الجزائر في 13 ماي.

هذه الحملة قصيرة، التي كانت دون نتيجة على الإطلاق، لأننا لم نلق القبض على مختلف الذين أردنا معاقبتهم على جرائمهم، ومع ذلك، كان الجنرال بارتران راضى جداً عن نفسه. وقدم جدول أعمال حافل، بالرغم من كونه ثيرة قال: "نحن وصلنا إلى الأطلس عبر مسار أكثر صعوبة من التربة، وبالرغم من ذلك لا تشير إلى ذلك في المذكرة مثل الجنرال كلوزيل".

طوال هذا السباق، لم يفكر القائد العام بطريقة ليفرض السلطة الموكلة إليه في القبائل التي يمكن أن يتفاهم معها. لم يقم حتى باستبدال التبعس أو المسكين بن العامري، الذي لم يتقدم لموته، ومع ذلك، قال انه أظهر مشاعر

الإنسانية وكان على الرغم من نفسه، ولمنع بدأ اليوم على محطة. بدأ تصحى للحرب مع العرب وأكواخ بني صالح، لأنه غير قادر على الحرب على أهله الآخرين.

لكن موقف بن عمرو، باي التطوي الذي بقي بالمدينة بعد أن انحلت تطورات الفرنسية هذه المدينة، كان أكثر أهمية من أي وقت مضى. لم يكن هذا المورد بمستوى الوظيفة التي دعي لأدائها، في ظروف تتطلب البراعة والدراية، ولكن على الرغم من ذلك قدمت له العديد من فرص النجاح. ترك له الجنرال دانليون، لدى مغادرته المدينة استعدادات جيدة من ذخيرة الحرب، وأرسل له الجنرال كلوزيل، بعد مرور بعض الوقت، مرتين للمدفع ضمن عتاد الحملة والتي يمكن أن تكون هونا كجراً له.

لم توجه هذه القطع إلى المدينة من قبل عرب بن عمرو، ولا أحد فكر في أخذها في الطريق. كان المكان في حالة جيدة أيضاً، ومسلحة بأسلحة المنطقة (الموقف)، ولكن أركبنا خطأ الباي دون أي مال. ومع ذلك، فمن الواضح أنه كان بحاجة إلى مبلغ مقدم للاستقرار في البلاد، والسلطة بعد ذلك لتخلق الموارد. للحصول عليه، استعمل وسائل جعلته ينهم بالابتزاز، وعصص الحبوب وغيرها من السلع التي جمعها للاهتمام باحتياجات الإدارة الفرنسية. أجري تحقيق حول هذا الموضوع، ولكن إعلان عمون أو أمين المخازن العسكري الفرعي، كان مع الشرطة الإدارية للحامية في المدينة، والتي كانت موالية للباي، ولم تتبع هذه القضية.

إذا كان بن عمر قد استخدم لتعزيز التيطري بألف فرنك القليلة التي تمكنت من الحصول عليها بوضعها في رصيده (خزيتته)، على الرغم من عدم انتظام وسائله، كانت هناك بعض الأشياء التي قيلت له: لأنه في الأخير لا يستطيع البقاء دون المال، ولكن يبدو أن اليأس الذي انتابه حول تكتيت نفسه بقوة في المحافظة، لم يجعله يفكر إلا في زيادة ثروته الخاصة، أو بالأحرى لتغطية نفقاته الشخصية، لأننا لم يحدث منذ إدارته قصيرة، أن ازدادت ثروته. رجل أصغر سناً وأكثر مهارة من بن عمر، لكان قد استخدم المال المتحصل عليه، بأية طريقة لتصفية (حل) هيئة صغيرة من القروان التي سيخدم معها إلى القبائل المجاورة الأقرب إلى المدينة، وهو ما قد يزيد موارده المالية زيادة هذه الموارد هو زيادة في قواته لتلقي عروض أخرى بدوره كانت سيؤدي إلى أخرى، وهكذا دواليك، بزيادة قواته بموارده المالية، وموارده بقواته، ولكن كان لديه رأس غير رأسنا (لا يفكر مثلاً).

هذا الباي المسكين، وبعد وقت قصير من مغادرته الفرنسيين، لم يعد قادراً على مغادرة المدينة. وسرعان ما بدأت المخاوف تتنابه حول سلامته (أمنه) في المدينة. غالبية السكان الذين كانوا كثيرين جداً، لأنها كانت توحد الشجاعة بحسب النظام، كانوا على اتفاق معه، ولكن وكانت عائلة الباي السابق التي لا تزال في المدينة مع العديد من الأنصار، والتي يمكن أن تقع من لحظة إلى أخرى تحت ضرباتهم. الجنرال كلوزيل الذي أساء فهم

الكرم، لم يقم بترحيل وليد - بو مزراق، ابن الباي مصطفى. هذا الشاب، الذي كان شجاعاً وحاسماً، وقد أقام في الفترة الأولى في البلدة، حيث سعى إلى لفت الانتباه، بالتأثير على عادات مهمة. نجح بشكل جيد بحيث أصبح يبدو وكأنه شخصية غير مهمة ولا خطيرة، وسمح له بالعودة إلى المدينة. واستغل هذا التعالي، عندما لاحظ أن الباي هيا هذه المؤامرات له، كان موقفاً بالفعول بما يكفي لتحدي سلطته. غادر المدينة دون أن يجرأ بن عمر على إيقافه، وذهب ليرأس القبائل الساخطة، وسرعان ما انظم إلى بعض قوات الباي في منزل الباي في الريف، حيث حاصر المدينة، تحرك مناصروه (مساندوه) داخل ولم يعد الباي يجرف على ترك منزله بسبب الخوف وضيق النفس. كتب للجنرال بارتزان في جوان 1831، بأن موقعه لم يعد يمكنه من الدفاع عنه، وأنه إذا لم يتلق المساعدة الفورية، فيقضى عليه.

قرر الجنرال بارتزان عدم التخلي عنه، وانطلق من الجزائر يوم 25 جوان مع فرقتين بقيادة الجنرال بوشي والجنرال فوشار. لم تنم الفرق العسكرية ذلك اليوم، وكانوا أمام الواد كرامة، وفي 26 كانوا أمام بوفاريك، وفي 27، في مزرعة موزاية، حيث تركوا كتيبة من الخط 30. في يوم 28، عبرنا محر الشية، حيث استقرت كتيبة من الخط 20، وذهبنا إلى النوم في زيج الزرحة (الزرحة)، وهي بساتين الزيتون التي ذكرنا سابقاً، والتي تقع في السطح الجنوبي من الأطلس. حتى الآن، لم نلتق بأي أعداء، ولكن في هذه المكان تم إطلاق بضع العيارات النارية على قواتنا.

وصل الجنرال بارتران في يوم 29 إلى المدينة، وهناك عدد قليل العرب الذين تقاهروا وهم يريدون مهاجمة صفوفنا عندما تقدمت بالقرب من هذه المدينة، من قبل أسراب مقاتلة من الخط 12. ابتعد هذا السرب (الفرقة العسكرية) من العدو، ولكن من خلال حركتهم للالتحاق بالجيش، هوجموا بدورهم. وكان بعض الخسائر. مع اقتراب القوات الفرنسية من غادربو مزراق لحلت عن متزل الياي، الذي كانت احتله كتيبة من الخط 30 وفرقة القرسان. فيما استمرت بقية الفرق في شمال المدينة حيث دخلت كتيبة واحدة.

لم تتخذ أي حركة في 30 جوان، ويبدو أن الجنرال لم يكن يعرف بالضبط ما أراد فعله، وكان الغرض من زيارته انقاذ باي التيطري، ولكن على الرغم من أن وجوده أبعد الخطر للحظة، لكن من الواضح أن العودة الشبيكة ستكون رهية أكثر من ذلك. في هذه الحالة، ما كان على القائد العام إلا أخذ ثلاثة خيارات (طرق) فقط، إما ترك الحامية الفرنسية المدينة لدعم بن عمر نفسه أو البقاء شخصيا في المحافظة لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، للتقدم في هذه المنطقة (أوتان) الوقت التي تؤثر على المدينة بإنشاء قوات من الأهالي لبن عمر بن، أو في الأخير محاولة أن يكون محظوظا بما فيه الكفاية للوصول إلى وليد-بو مزراق، وجعله يشعر يحصل على ما فيه الكفاية من الخسائر ويسلب القدرة على حمل السلاح.

وكان الاختيار الأول كان مخالفا لتعليمات الجنرال بارتران، الذي كان في مهمة تعزيز بدلا من التوسع في البلاد. الثاني، الذي كان ذات ميزة،

وحكمة، وكان يحمل صعوبات كبيرة لرجل لم يستطع التغلب عليها. وكان الثالث يحمل فرصا قليلة للنجاح، لكنه لا يتطلب جهودا كبيرة. وهو الذي توقف عنده الجنرال بارتران. ونتيجة لذلك، غادر المدينة في 1 جوان متجها إلى جبل أواردة من المنطقة التي تحمل هذا الاسم. ولما توقعنا الهاماء، لم نتظرنا الأطراف المعادية وغادرت طريقنا. بدأنا بعد ذلك إلى بحرق القمح وقطع الأشجار. هذا الدمار هيج الفلاحين من السكان الذين كانوا يعانون كثيرا. كانوا تحت توجيه الألغا مولديري، الذي وجدهم مناسبين تماما في هذا.

ومع ذلك، كانت للقبائل القارة (الحاربة) نية واضحة في الانتقام. بعد السير لفترة طويلة، كان علينا تقصي أثر خطواتنا للعودة. فلت هذه القبائل متحدة وباقتراب فرقنا، بدأ إطلاق النار مع الطليعة. فعنا حتى هضبة أورا، حيث أمر الجنرال بارتران بالانسحاب إلى المدينة، ثم استأنف العدو هجومه واستمر في ملاحقة صفوفنا حتى المدينة، حيث وصلت في المساء.

في هذا اليوم، الذي كان فيه الغضب العاجز للجنرال العام قد تحول إلى ممارسة على الأشجار وحقوق القمح، والذي كان لصالح العرب، الذين لديهم كل الارتياح لروية الفرنسيين يتراجعون أمامهم. جاءوا ووقفوا بالقرب من المدينة وانتظروا ما فاعل يقوم به الجنرال بارتران.

كان هذا الأخير مخرجاً من موقفه، ساد الذعر في المدينة بين أنصار بن عمر، وكل شيء كان يشير في الخارج إلى وجود تمرد عام. لم تكن ظروف العيش والتغذية مهيئة بشكل جيد في المدينة، وكانت تلك التي جلبها الجيش تكاد تغد منهم. أفنع هذا الظرف الجنرال الفرنسي من أنه لن يتمكن من البقاء لفترة أطول في البلاد. يبدو كما لو أنه لم يدخل عقله (لم يستوعب)، أنه قد وجدت قمح يمكن حرقه وكان بالامكان أن يجده من أجل الحصاد، وأن هناك في المدينة بعض المصانع لتحويله إلى دقيق، عند الحاجة، يمكن أن العيش بأكل عصيدة دقيق الشوفان، في انتظار الموارد الأخرى المقدمة. كان على بعد أميال قليلة من البلدة، التي ولقد قد أرسلت له اللحم، إذا لم يتمكن من العثور على ما يكفي في البلد، لأننا كنا نتحصل على كل ما نريد من شعب محتل، لذلك بالهجوم، وبمجرد أقل من حركة إلى الورا، يصبح جميع السكان بين أيدينا.

لو فكر السيد بارتزان بهذه الطريقة، لما وصل إلى حد التخلي عن محافظة التطري، دون أن يعرف تنفيذ شيء أراد القيام به، لأنني لا أعتقد أنه لم يكن لديه غرض آخر من مغادرته الجزائر العاصمة، غير أخذ بن عمر من المدينة. ومع ذلك، أعلن في 2 جويلية للسكان الشجعان في هذه المدينة، أن فرنسا في ضرورة ماسة للتخلي عنهم مرة ثانية لأنفسهم. وحثهم على الدفاع عن أنفسهم قدر استطاعتهم، وأعطى لهم لهذا الغرض البنادق والذخيرة

التي أرسلها الجنرال كلوزيل. في هذا الخطاب، أعلن باي التطري وبعض الأشخاص الذين كانوا برفقته خاصة، أنهم يمكنهم البقاء في المدينة في ظل ظروف الراحة، وقرر القائد العام نقلهم إلى الجزائر العاصمة. في اليوم نفسه، في الساعة الرابعة مساءً، بدأ الجيش الانسحاب إلى الجزائر العاصمة وعلى الفور انتقل العدو، الذي كان لا يزال في وضع يسمح له بالبقاء في المدينة، خلف الجيش لمتابعة المناوشات كالمعتاد. والوصول إلى زوج الزراح، أين كان علينا قضاء الليلة هناك، ولكن بعد ساعات قليلة أراد الجنرال بارتزان استغلال الظلام من أجل عبور المعبر ولذلك استأنفنا المشي وصلنا إلى الثنية في الفجر برفقة العدو، الذي ظهر من مكانه. بعد توقف دام بضع لحظات، بدأ الجيش ينزل على المنحدر الشمالي للأطلس. بقيت الكتيبة 20، في المعبر، وشكلت ساقه.

وكان عدد من الأعداء في زيادة طفيفة، ولكن لم يزيدوا عن 1200 أو 1500 رجل عندما ترك الفرنسيون المعبر. اضطررنا للانسحاب عبر المسار الصعب، ولتجنب الفوضى كان علينا عدم إهمال أي من هذه الاحتياطات المبثثة في دراسة الأنظمة العسكرية والتي تعتبر الوحيدة الكافية لتعليم حتى أولئك الذين لم يتمكنوا من الحصول على الدروس عبر الخبرة. ولكن هذا هو ما لم نفكر فيه، تم إرسال القوات على قمم التلال التي تبين على الطرق،

الجزء الأول

بحيث حجز العدو وبدأت بمتابعة هذا الاتجاه للجناح الأيمن لفرقنا، والذي هاجم بنيران عمودية قاتلة.

قريبا ما بدأت كتيبة من الخط 20، التي كانت في الخلفية بالتراخي بعدما هوجمت من قبل "القبائل". في تلك اللحظة، صادف سوء الحظ أن أسفر ذلك عن إصابة القائد. انسحب هذا الضابط من ساحة المعركة، دون أن يأمر بوضع من يخلفه. لأن معظم أفراد الفرق لم يلحظوا ذلك وتفرقوا فرقة لعدم وجود قائد، بالتالي كانت النتيجة عدم استبداله، وبكثرة عدد المفقودين في هذه الكتيبة، بدأت الفوضى في صفوفه، و انسحب على عجل الجزء الأكبر من الجنود بعد الهجوم الذي وقع عليها من طرف "القبائل".

لذلك عمت حالة من الذعر في الجيش كله؛ فاختلطت الرتب والأفواج والكتائب، ولم يكن تفكير الجميع الا بالخلاص. بدأت أفراد الجيش بالفرار إلى المزرعة موزاية. تم التخلي عن الجرحى لغضب الأعداء. هاجم بعض "القبائل" جنودنا وجها لوجه وهرع العديد منا إلى الوديان التي تحد الطريق.

في هذه اللحظة الحرجة، التي ربما سمح فيها وجود 4000 فرنسي من قبل حفنة من الأفارقة، أمر قائد الكتيبة دوفيغير، قائد كتيبة 2 من "الزواوة" وبعض الباريسيين، بالخروج من الجناح الأيمن من صفوفنا، لمواجهة العدو. وقف بشكل عمودي على الطريق، بحيث كان يساره يضغط على المرتفعات، جناحه الأيمن على الطريق نفسه. هذه الحركة الماهرة والجريئة، التي أصلحت

جزئيا خطأ ارتكب من البداية، أنقذت الجيش. الباريسيون و"الزواوة"، حاربوا مع بعضهم البعض، لايقاف العدو، في حين أن بقية قواتنا وأصلت الفرار. ولكن عندما كان عليهم التفكير في الانسحاب كانت صفوفنا العسكرية بعيدة كثيرا، ولم يجدوا أحدا لدعمهم. القائد دوفيفير، الذي كان يعتقد أنه يعرف أن جنرالنا كانت تعرف معنى الانسحاب بالمستويات، تصور أنه يمكن ترتيب كتيبة بحيث يمكن لفرقنا أن تأتي للاحتشاد في وراة، ولكن لم يكن ذلك ممكنا. وهكذا تم التخلي بعض الشيء عن هذا القائد الشجاع. تم تفريق الكتيبة على مساحة واسعة جدا ومتفاوتة ولم تستطع إعادة تشكيل الفرق، ولكن انسحبت في مجموعات، وهي مازالت تقاتل العدو، عندما تم دفع العدو بشكل قريب جدا. وجدت على الطريق قطعة جبلية مقلوبة، ومع مدفعية القائد كامان، الذي لم يشأ التخلي عنها، فواصل تراجعهم، ونجح بالوصول إلى مزرعة موزاية أين كان الجيش محتشدا.

توقف "القبائل" والعرب عند سفح الجبل أمام القوات الفرنسية، التي أعادت تشكيل نفسها في صمت، في لحظة ضعف محجل عاشتها. بدأ الجنرال بارتزان مترددا حول القرار (الاختيار) الذي ينبغي اتخاذه. بعد ساعات قليلة من الراحة والتردد من كلا الجانبين، انتقل العدو، الذي أتى فرسان الحجوط ومتيجة للانضمام إلى اليمين للاستيلاء على جسر شقة، الذي مر عبره الجيش عند قدومه. الجنرال الفرنسي الذي تطلعت لنيته، قدم له الوقت الكافي لتحركه.

وسار في المساء ليعبر النهر على بعد ميلين من فوق اتجاه حوش الحاج. لم يعد العدو موجودا في هذه المرحلة، وقد عاد أفراده، ومع ذلك، ويمكن للأفصل الفرنسيين المناوشة في جهتنا الخلفية. لم يصل الفرنسيون إلى شفة قبل العاشرة مساء، وبما أنهم كانوا يقاتلون من العطش منذ الصباح، فقد هرعوا إلى الماء أين تشربوا وتفرغوا، واختلطت عليهم الأمور ولو هاجم العرب بشدة في الوقت الحالي، لتجددت أحداث الصباح. تم استعادة النظام في الأخير، وفي 4 جويلية، في الساعة الرابعة صباحا، وصل الجيش إلى بوفاريك. طريق هذا المكان يحددها على الجانبين غابة سميكة من اليمين إلى اليسار، وتعبها عدة وحيات من عشرة جسور ضيقة تقع على مسافة قصيرة من بعضها البعض. استولى عرب بني خليل وبني موسى بني على هذا الممر وسعوا للدفاع، ولكن تم سحقهم بسهولة. تحرك الجيش بعد العبور للتحدي، بعد لحظات قليلة من الراحة، وتوجه بعد ذلك إلى واد الكرم، حيث أقام بشكل مؤقت. في اليوم التالي أي 5 جويلية، الذكرى السنوية لاحتلال الجزائر العاصمة، عاد الجنود إلى تكاثفهم.

وكانت هذه الحملة المشؤومة إلى المدينة، قاتلة أكثر في الآثار المعنوية التي تركتها في نفوس الأشخاص، كما أننا تكبدنا خسائر فعلية، فكان 254 من رجالنا خارج ميدان القتال، ومن بينهم: 62 قتيلًا و 192 جريحًا. الجيش وقع اللوم الكبير على كل من الجيش والجنرال، ولكنه كان أساسا على هذا

الأخير، الذي جلب التوبيخ العام. نحن انهمس علنا عجزه وإهماله لتلكا في إغلاق العنان للشهيد، وكعادة العساكر الفرنسيون، فهم على استعداد تام لتعبه لجعل قاتلنا لجيش المسكين مذنبًا، وحتى الآن ليس تباطؤ الاتهامات المعطية هو ما نتوقع أن يصلح هذا القتل. أخطأ الجنرال هي في ميدان التاريخ، ولكن حتى في جيشه، الرجال الذين يحكمون عليه يجب عليهم إغفاء ذلك بدلًا من محاكمتهم، ويصمتوا بدلًا من إضعاف ثقة القوات بشئ هذه الأحكام. بالنسبة لنا، وضعنا بعيدًا عن الأحداث، واستطعنا دون أن نكون لنا مشكل استخدام القدر، جعل الآخرين يرون الجنرال بارتران من خلال تصرفاته.

المحرم الذي ران على تصرفات الجنرال وصل إلى مسجع القائد العام. وللأسف كانت لديه فكرة التهديد عن طريق جدول الأعمال بإعادة إرسال المتهمين إلى فرنسا، وحتى يجعلهم يتقبلون من قبل مجلس الحرب. هذا الانتفاخ المخرج ضاعف من نشاط ضار، وضع مثل هذا الشخص المحير عرضة للاضطهاد. أبدا نائب ملازم بسيط، ما اهتم به الجنرال بارتران، ووضع التحدي أما الجنرال للتحقيق معه أمام مجلس الحرب.

ومع ذلك، فإن العرب، القمخودين بالمزايا الواضحة للظروف المرسلة التي كانت ضللتنا، وتوقعوا لنا الخروج من الجزائر. حسن وليد بو مزارقي من جهة، وبين (مبون من جهة أخرى الأهالي لحمل السلاح، سيدي السعدي،

من أسرة مرابطين من الجزائر العاصمة، وبعد رحلتها الأخيرة إلى مكة أوصت باحترام الأخوة في الدين، وتهدف إلى انتجاح حسين باشا، بالمساهمة بقوة عن طريق الوعظ لاثارة القبائل الشرقية، التي انسحبوا منها. وقريباً تم تشكيل معسكرين للمتمردين، واحد في بوفاريك، تحت إمرة وليد بو مزراق، والآخر في الضفة اليمنى الأراتش لدى مرابط سيدي أرزين تحت تلك الخاصة بين زمون وسيدي السعدي، وكان هذا الآخر على بعد مسافة قصيرة من المزرعة النموذجية. هاجم العديد من الأطراف المنتشرة في جميع أنحاء "فحوس"، مزارعين الأوروبيين وقتل البعض منهم، وغيرهم أجبروا على الفرار من المدينة. كان الدمار علماً حتى بين السكان المدنيين الأوروبيين. زاد الرعب من عدد أفراد العدو، وانتشر الرعب بكل ألوان السواد. تخلص مستوطنون عن الحملات وبدأوا في الزراعة. في المدينة، أغلقت العديد من التجار مؤسساتهم، وكانوا يفكرون بالفعل في الشروع في إعادة السلع الأكثر قيمة، لأنها يبدو من الصعب مقاومة التمرد العام، مع جيش من المحيطين والمرضى، وزعيم فقد مصداقيته، ويبدو في الأخير، أن المستعمرة الوليدة وصلت إلى يومها الأخير. ولكن ما الذي يمكن أن تقوم به جهود غير منسقة من الحمجية ضد منظمة قوية عسكرية من الأمم المتحضرة في حرب دفاعية ؟

في يوم 12 جويلية، قام سكان بن زمون وأراتش، بمهاجمة المزرعة النموذجية، وأحرقوا أول حصاد جنة أهدي الأوروبيين والذي نعى على

قربان الجزائر الثوري. اضطرت جميع البؤر الاستيطانية للتراجع في المزرعة، ما عدا بعض التحصينات التي لا يلم يتمكن "القبائل" من إرغامها على الانسحاب. بعد أن أحاط العدو بالمرتفعات التي تهيمن على هذا المبنى على الجانب الشمالي، اتجه إلى الداخل وبدأ بوضع الحامية في وضعية حرجة، عندما وصلت فرق الالتقاء، كانوا مضطرين لإعادة عبور النهر والانسحاب في معسكره. في اليوم التالي، بدأ الهجوم، ولكن بأول طلقة لم يدفع الجنرال بارتزان، انطلق من الجزائر مع 6 كتائب وكل سلاح الفرسان وميدانيين، باتجاه القبة وطريق قسطة الطريق بين البيت المربع والمزرعة، بالوصول إلى قمة المرتفعات أمام سيدي أرزين، وجه نيران مدفعيته إلى معسكر "القبائل". في الوقت نفسه، قام العقيد أرلوتج، من الحظ 30، الذي يقود موقع المزرعة بخرجة ضد الذين كانوا أمامه، ليقتل بهم إلى الجانب الآخر من النهر، وموت عبر أراتش بعدهم متجهاً إلى المعسكر. انتقل الجنرال بارتزان مع جميع قواته، ولكن العدو لم يتوقع مثل هذه الصدمة الكبيرة. هيا المعسكر بسرعة، وسلك طريق الجبال. بدأ الفرسان بملاحقتهم، ولكن لم يستطعوا الوصول إليهم. وأضرمت النار في حوش بيتي موسى، أين حمل سكانه السلاح ضدنا. عاد القائد العام في نفس اليوم إلى الجزائر، معتقداً أن التمرد قد انتهى. على الرغم من النجاح في هذا اليوم تشتت قوات بن زمون، كانت عربات المدفعية، التي عادت في المساء في الجزائر العاصمة، تحت حراسة فرقتين، وقد تعرضت للهجوم بالقرب من بير خادع، من قبل الأطراف

العربية التي وضعت كميناً على الطريق. كانت هناك لحظة اضطراب في الفرق المرافقة، والذي انتهى في الأخير بالتخلص من العدو.

هوجت المزرعة من جديد في يوم 19، وهذه المرة كان من قبل العرب، من تجمع بوفاريك. وصل العدو إلى جسر وادي الكرامة، وحاصر المعسكرات التي كانت على المرتفعات المقابلة، وجاء للاستثمار في المزرعة التي لم يستطع فرض نفسه عليها. استمرت المعركة حتى الليل.

في يوم 20، مازال معسكر (تحصين) وادي الكرامة، محاصراً بالأعداء، وواصل لدفاع عن نفسه بإصرار، لكنه حرم من جميع الاتصالات مع المزرعة. كان الضابط الذي يقوده، وكان اسمه يستحق أن يكون معروفًا، وهو رويارد، وهو ملازم في الخط 30. كان يدخر خراطيشه ولم يكن يطلق النار إلا في طلقات مصوبة في الاتجاه المناسب، وبالتالي تمكن من الحفاظ على هذا الموقف الخطير. حاول العرب تدمير التحصينات (المعسكرات) بنزع ألواح بالياتاغان (سيف تركي مخدب)، لكنهم لم يفعلوا، ولحسن الحظ لم تكن لديهم فكرة إشعال النار فيها. في اليوم نفسه، تعرضت قافلة للهجوم بالقرب من بير خادم، وأصبح نصف كتيبة من الخط 67، الذي كان يرافقها في حالة فوضى كاملة ولم تتخلص من أثر هذا الهجوم إلا بقدم الكتيبة من الخط 30، والتي جاءت لانقاذها. المزرعة هوجت أيضاً، ولكن بشكل ضعيف.

في يوم 21 تقدم المحاربون الأعداء حتى بير خادم، وقاتلوا حتى الليل في ضواحي المزرعة ووادي الكرامة، لكن دون جدوى في كلا الجانبين. انتقل الجنرال قوشير إلى هذه النقطة في المساء مع بعض الكتائب.

وأخيراً، في يوم 22، مشى القائد العام إلى العدو في الفجر مع قوات تفرض نفسها. المعركة كانت تماماً لصالحنا. كان العرب على طريق البليدة، ولاحقناهم حتى بئر توتة على بعد خمسة أميال من جسر وادي الكرامة. تقدمت فرقة الفرسان حتى بوفاريك، وقد كانت مجموعات قليلة من أفراد العدو، لم نكن نشعر أننا أقوىاء تماماً من أجل الهجوم، تراجعت عن الجيش، وانتقل العراك إلى حرق ونهب عدة منازل العرب. عاد الجنرال بارتزان في اليوم نفسه إلى الجزائر كما كان فعل في 18، ولكن هذه المرة مع المزيد الإصرار، لأن نجاح اليوم كان حاسماً. النطاقات التي كانت تشكل تجمع بوفاريك، متفرقة فرقت مثل تلك الموجودة في بن زمون وسيدي السعدي، ولم يعد هناك أي أعداء للقتال.

لم يكن العرب مجتمعين ولا منظمين في الهجمات، وكانوا يتوقون إلى انتهاء القتال، لأنهم شعروا بأنهم لن يستطيعوا أن يصمدوا طويلاً. لو كانوا قادرين على توسيع نطاق جهودهم، لكننا في وضع حرج. سادت الأمراض في قواتنا لأكثر من شهر، وكانت في تزايد مستمر يوماً بعد يوم. كانت المستشفيات مزدحمة، والاطارات التنفيذية لعدة أفواج شبه خالية، وكان شهراً أو ثلاثة أسابيع من القتال والتعب كان قد خفض عدد أفراد الجيش إلى لا شيء تقريباً. وعلاوة على ذلك، رغم أن هذا التمرد لم يصل إلى الهدف المقترح، إلا أنه أحدث الكثير من الضرر للمستعمرة. فقد أوقفت عمال ومسار ملاومي الجزائر العاصمة، وأحبطت معنويات الرجال الخجولين، الذين كان عددهم كبيراً، وقد قدموا الحجج لأعداء

الاستعمار، وساهموا بقوة لإعطاء ما تبقى من النشاط الاستعماري، إدارة خاطئة وخيثة والتي أشرنا إليها في الكتاب السابق.

وعلى الرغم من صد هجوم العرب بخطوطنا، إلا أن هذا الفشل لم يدمر رأيهم وتصورهم عن أنفسهم منذ انسحاب المدينة. رأوا أن ما حدث كان مجرد تحذير لأنهم يعتبرون أنفسهم أندادا لنا في القوة والسلطة، أنهم قبل بضعة أيام مضت كانوا يعتبرون أنفسهم رؤسائنا. ومنذ تلك اللحظة بدأوا يميزون بين ضواحي الجزائر العاصمة، والتي كانوا عليها في استعداد للموافقة على الاعتراف بحقوقنا، وبقية المحافظة، والتي حسب تفكيرهم، كان يمكن إزالتها من سلطتنا. "ابقوا في منازلكم، ونحن وسنبقى في منازلنا"، هكذا كانت لغة سياساتهم. سلوك الجنرال بارتزان خلال الأربعة أو خمسة أشهر التي أمضاها في أفريقيا، أثبت أنه تقبل هذا الانذار. أبدى هذا الجنرال والجميع الموافقة على التعامل بقوة واحدة (قوة ضد قوة) مع العرب في محافظة الجزائر العاصمة، مع رغبة في امتلاك قائد يمكنه أن يجب ليس عن استسلامهم فقط وإنما حول هدوئهم. كان الآغا موندري مجرد خيال، والذي لم يكن في ذلك الوقت مؤهلة. وعلى توصية مور الجزائر العاصمة، تم استبدال موندري بالحاج محي الدين السجر بن سيدي علي بن مبارك، رئيس العائلة العتيقة لمرابطي القليعة. بدأ هذا الأخير بمعاملة تقدر ب 70,000 فرنك سنويا، لإجبار العرب على مراقبة شروط المعاهدة الضمنية. كنت أعرف

من تكوين هذا الكتاب، أنه تمت كتابة هذا الالتزام، والتي يوجد في يد الحاج محي الدين، والذي وضعنا في حلقة Popilius. كان هذا نظام من الركود التام، ولكنه كان في الأخير نظام. قررنا التصرف مع العرب، وكان الأمر يقتصر على اجراء مع 14 الى 15 ألف رجل من أجل شغل بعض الأميال المربعة، والتي يبدو أنها كافية لسد احتياجات مستعمرتنا. سمحت لنا القوات المتاحة بالقيام بعمل أفضل، لكننا تعودنا طويلا على أن فرنسا لا تحصل على النتائج السيئة مع الموارد الكبيرة.

أجرى الآغا الجديد، حتى فترة رحيل الجنرال بارتزان، في يناير جاتقي 1832، هذه الالتزامات كرجل ضميري. لا يسمح العرب بأي عمل عدائي في أرضنا، ولكن لم يكن من توغل فرنسي إلى أراضيهم. يرى الأهالي أن لديهم الحق في قتله كشرط من المعاهدة. أوصى الآغا بشكل جيد في جميع رسائله بعدم السماح لأي شخص بالدخول بين العرب، وعدم وجود الاتصالات معهم إلا من خلال وسيط. والواقع أن جميع تراجعت مع العرب بمراسلة الآغا، الذي لم يكن يأتي إلى الجزائر إلا نادرا، في سياق إدارته.

مارس الحاج محي الدين تأثيرا كبيرا على المواطنين، بواسطة حرمة أصله، والصفات الشخصية، التي كانت ملحوظة جدا. كان رجل النظام والسلطة، وقد أوقف الفوضى لفترة بين العرب. عين كفايد كروثة خلال استبدال بن العمري، والذي رويناه نهاية المساواة،

الحاج محمد الخطي ترك أحمد بن أورشفون في بني موسى، وموصود
 بن عبد الواد في البيت، على الرغم من الدور الذي قد اتخذ كلاهما
 في التمرد. في بني خليل محمد، تحل بن شرقي التخلي عن مهامه مع
 إرادة الأغا حمدان. الأغا موندري، الذين لم يكن يعرف الكثير عن معنى
 قائد، لم يفكر ليحل محله، لكن "أوتان" (المنطقة) التي ضجرت من هذه
 القوضى، وضعت على رأسها الحاج بوعلوان. السيد، كان يدرك أن
 عليه رفض التدخل في هذه القضية، رفض التعرف على بوعلوان،
 وعين العربي بن الرحيم شيخ بن صالح بدلا منه. لم يكن الأغا محي
 الذين يتق في هذا الرجل المخلوع، واعترف بالعربي بن موسى قائد
 بني خليل. في المدينة، استولى وليد بو مزراق على السلطة بدون تحديد
 منصبه، بعد رحيل بن عمر، ولكن تم التخلي عن هذا الشاب، بعد ذلك
 بسبب الفجور والسكر مع الفضيحة التي أثارت غضب السكان، في
 أكبر سوء سمعة، ولم يكن يعيش إلا من موارد فضلات باي قسنطينة،
 كما ستراه في المجلد الثاني. ونحن على ستطرق إلى الفترة التي بدأ فيها
 في الاتصال الفوري معنا، فمن المناسب أن يعرف القارئ في أي موقف
 كان يتواجد في ذلك الحين.

أحمد باي قسنطينة، وبعد الاستيلاء على مدينة الجزائر، انسحب من
 محافظته مع القوات القليلة التي ذهبت لإغاثة حسين باشا. بالاقتراب
 من عاصمته، علم أن الأتراك الذين تركهم هناك، تمردوا ضد سلطته،

وانتخبوا للباي الملازم حمود بن شكر، ولم يعودوا أقوياء بما يكفي
 للقدم، وتوسلهم ليسمحوا لعائلته بالانضمام إليه، واعدوا بالتنازل عن
 جميع الحقوق للاستحباب إلى الصحراء، يلد زوجته. ولكن خلال هذه
 المفاوضات الصغيرة كانت هناك ثورة سريعة لصالحه. سكان قسنطينة،
 الذين تخوفوا من زيادة المتمردين، يمكن أن يسلموا، إذا انتصروا تماما،
 وأرسلوا أحد المرابطين إلى أحمد باي، ودعوه إلى دخول المدينة مع القوة
 الصغيرة التي يمكن أن تتوفر، والتزموا بدعمه ضد الأتراك. أحمد، الذي
 لم يتخل عن القوة إلا رغما عنه، وضع قواته المتوفرة إلى جانبه، وتغلغل
 إلى قسنطينة. رأى الأتراك أن السكان كانوا كلهم ضدهم فخرجوا من
 المدينة، ونزلوا للاستقرار (التخييم) على مسافة معتبرة مع الباي الذي
 انتخبوه. في اليوم التالي، سار أحمد ضدهم مع قوات متفوقة المأخوذة من
 السكان. لم يتوقع المتمردون (الثوار) مقاومته، وذبحوا حمود بن شكر
 واستسلموا. تظاهر الباي باستقبالهم، ولكن في وقت لاحق ذبح الكل
 تقريبا بالتفصيل، تحت ذرائع مختلفة.

بعد أن كان مصطفى بومزراي، باي التيطري، في حالة حرب ضد
 فرنسا، وبعد أن أخذ لقب الباشا، بعث في صيف عام 1830، وفدا
 إلى أحمد لدعوته للاعتراف به خلفا لحسين. هذا السفير لم يصل إليه،
 فبالكاد وافق على خطوة مصطفى، حتى أقسم أنه لن يعترف أبدا بزميله
 كصاحب سيادة، وأخذ لنفسه لقب الباشا.

لم يقرب تراجع (انحطاط) مصطفى أحمد من الفرنسيين. الجنرال كلوزيل، الذي اتخذ كما قلنا، القرار ليحل محله الأمير من أسرة تونسية، لم يفكر إلا في الحصول على حالة الدفاع. النمل الرجل الحذر فاشات بن سعيد، الذي شغل مهام شيخ عرب الصحراء⁽¹⁾ تم خلعه، وعين خاله بوزيس بن غانا في هذا المنصب. هذا الإجراء المفاجئ كان مصدرا لا يخلو من الخرج من كل الجوانب، لأن فاشات لم يكن رجلا يتخلى عن منصبه بسهولة، وقد كسبموودة العديد من القبائل القوية، ومن خلالهم صد بن غانا، الذي تقدم للعراك مع قوات غير كافية. هزم بعد بعض الوقت من طرف أحمد باي، الذي سار ضده شخصيا، إلا أنه لم يفقد الشجاعة لهذا، ومعظم القبائل واصلت الاعتراف به كزعيم. كان مشغولا باستمرار بإثارة الأعداء على باي قسنطينة، ومدد مؤامراته على جميع النقاط التي يمكن أن يجد فيها أدنى "جرثومة من الاستياء" لاستغلالها.

هذا الوضع كان يهدد أحمد باي، ومنعه من الاهتمام ببونة (عناية)، بعد تم إخلاءها من طرف الجنرال دامريمونت في عام 1830. هذه المدينة، التي طرحت لسلطانها، وتخلت عنها فرنسا، وهي تحكم نفسها بنفسها. هاجت القبائل المجاورة، التي أراد الكثير لسكانها لاستقبال فرنسا بين جنراتها، عدة مرات، ولكن تم صدّها في العديد من المرات. المئات من

(1) شيخ عرب الصحراء هو أغا قبائل هذا البلد، ولكل قبيلة منها شيخها الخاص.

الأثر الكالدين كانوا قد استقروا هناك في القصبة تحت لأمر اكرغل مؤثر يدعى أحمد، وساهموا إلى حد كبير في دفاعه. ولكن، مع تكرار الهجمات باستمرار، اتّجّع سكان بونة إلى الجنرال بارتزان في صيف 1831، وطلبوا منه الإمدادات من رجال وذخيرة. وفقا لتلميحات سيدي أحمد، الذي كان يتمتع بفضيل كبير لديهم، بسبب الخدمات التي قدمته فرقة الصغيرة لهم منذ سنة واحدة، وأصر كثيرا على أن ترسل قواتا من الأهالي. هذا الترتيب يناسب سيدي أحمد، الذي قام بتصميم مشاريع لخلق موقف مستقل، والجنرال بارتزان، الذي لم يكن ليعتقد أنهم يكون قادرا على الانتفاذ على عاتقه مهمة إرسال القوات الفرنسية بدون إذن من الحكومة الفرنسية إلى بون. وفقا لذلك شكلنا مفرزة (انفصال) صغيرة من 125 من الزواوة، جميعهم من المسلمين، باستثناء بعض الضباط ونواب الضباط، تحت قيادة الملازم بيجوت... كان القائد أودي، ضابطا مساعدا للجنرال غيومينوت، ثم السفير في قسنطينة، وكان مسؤولا عن الإدارة التنفيذية للبعثة (الحملة)، لكن بمزيج غريب من الأفكار، تبقى لقب قنصل فرنسا في بونة. وكان السيد أودي قد جاء إلى أفريقيا تحت أوامر الجنرال كلوزيل، واعتقد أن معرفته لبعض مور الشرق يمكن استخدامها. وكان نشطا جدا ومتحمس جدا، ولكن قراره (حكمه) غير مؤكد.

وصل السيد أودي وبيجوت و125 من الزواوة إلى بونة على متن الحراقة

(كوفيت سقينة حربية قديمة) كريبول في 14 سبتمبر. تم استقبالهم بشكل جيد من قبل السكان، لكن سيدي أحمد، بمجرد رؤيته للضباط الفرنسيين، أظهر كل استيائه. لم يكن هذا ما طلبه. لقد أراد جنودا مسلحون ولا شيء أكثر من ذلك. القائد أوودي، الذين رأى في أحكامه، أن هذا الرجل سيكون عدوا، وبدأ فوراً بإبعاده عن القضايا. ولتبرير حجة الرغبة في التخفيف عن الأتراك، وضع بعض الزواوة في القصبة، وعمل على زيادة عددهم تدريجياً، وذلك بطريقة تمكنه من إرسال ضابط، والتي أزال حكم سيدي أحمد هذه القلعة. لكن هذا الأخير بقي مع ذلك قويا بما يكفي لالحاق الضرر لو أراد وأراد. من الواضح أكثر أن السيد أوودي قد تخاصم (أنهى علاقته) معه. هناك ظروف صعبة يجب التظاهر مع العدو، عندما لا نشعر بالقوة لسحقه تماما.

كان هناك في بونة باي قسنطينة القديم، وكان اسمه إبراهيم، الذي قادته سلسلة من الأحداث إلى هذه المدينة. هذه الشخصية، التي تخفي تحت روح الدعابة الواضحة الكثير من الغدر العميق، كان يسعى إلى اكتساب ثقة السيد أوودي. شاهد جميع خطوات سيدي أحمد، وادرك شكل القيادة الفرنسية. كان هدفه خسارتهم واحدا تلو الآخر، ومن ثم الاستيلاء على السلطة.

السيد أوودي، الذي لم يكن يعرف العادات العسكرية جيدا، استقر ببونة بشكل سيء وشديد. لقد بقيت فرقته بشكل سيء. كانت الأبواب دائما في القصة مفتوحة، وكان القائد الذي كان يحكم يأتي كل يوم، ليتناول طعامه

في المدينة. إبراهيم، الذي لاحظ لاحظ كل شيء، ناتج عن الاستفادة من هذا الإهمال للأسراع للوصول إلى النتائج التي كان يستعد لها، وكان قد حصل من الموثوق فيه أوودي على بعض المال مقابل الخدمات التي كان من المفترض أن تقدم له. وظف جزءا منه لرشوة بعض الرجال للدخول إلى القصبة عندما كان الضابط غائبا. تفاجأت الحامية وتردد للحظة، ولكن سرعان ما اجتلبتها بعض الهبات، وأعلنت نفسها له، والأتراك أولا ثم العديد الزواوة. أولئك الذين لديهم تمتوا البقاء أوقياء، كانوا يرون أنه سيتم التخلي عنهم، أجبروا على القاء أسلحتهم.

قام إبراهيم سيد القلعة بإغلاق الأبواب وأعلن فوزه بواسطة تحية المدفعية. وكره فعل على هذا الصوت، جمع القائد أوودي والملازم ييجوت بعض الجنود على عجل، وساروا إلى القصبة، حيث تم صدعهم بواسطة إطلاق نار قوي. دخلوا إذا إلى المدينة أين كان مؤيدو سيدي أحمد، يسعون بالفعل لإغلاق الأبواب. كانت هناك في ميناء بونة سفينتين تابعتين للدولة، الكريبول وأدونيس. توصل السيد أوودي إلى المطالبة برجال المبروط ومهاجمة القصبة رفقة الزواوة. لكن سكان المدينة الذين وعدوا بجلب بالأتراك من واجبههم تقديم (تسليم) إبراهيم، وتخل عن مشروعه.

مر يومين بانتظار تأثير هذه الوعود التي لم تتحقق. كان سكان الريف على أبواب المدينة، واستقبل إبراهيم عددا كبيرا في القلعة، وجميع أعلنت عن

محرم مثل في 29، دعا بعض سكان بونة الى التحرك بالنيابة عن إخوانهم وجاءوا ليعلموا للقائد أوودي أنه لا يستطيع أن يبقى في بون. أجبروه على الاستسلام للضرورة، فأكد لهم هذا الضابط المسكين انه ذاهب، وقريبا طلب قوارب من سفيتين. وبمجرد انتشار هذا الخبر في المدينة وخارجها هرع المواطنون إلى الباب، وأجبر الحراس للانسحاب، وغمرت المياه الشوارع. الكثير من الزواوة تم القبض عليهم، أو تجمع المتمردون وقد قتل (ذبح) الملازم (الكابتن) بيجوت بعد ما دافع عن نفسه ببسالة. اندفع أربعون أو خمسون شخصا فرنسيا ومن الزواوة نحو باب للبحرية، متجهين بسرعة الى السفن أرسلت. هلك الكثير في هذه الكارثة، وكان هذا العدد مؤسفا بالنسبة لأوودي، الذي أصيب بطلقتين، ليطلقى طلقة نارية في الرأس قادمة من زورق، بالكاد انتهى هذا المشهد الدامي حتى أرسل سكان هذه المدينة برلمانيين على متن الكريول، احتجاجا على أن لا علاقة لها في كل شيء. قد حدث. بعد فترة وجيزة، وصل الى الجزائر سفيتين شرعيتين تقلان 250 رجلا من الكتيبة 2 من الزواوة، بقيادة القائد دوفيفير، الذي أرسله الجنرال بارتزان لنجدة الحامية الصغيرة من بونة. أعاد أهل المدينة السجناء، الذين كان من بينهم الضابط دوفيفير الذي حاول وضع يده على القصة مع رجاله وبعض أطقم السفن؛ لكن قادة السفن لم يعتقدوا أن بإمكانهم الوصول إلى المشروع. ولذلك كان من الضروري العودة إلى الجزائر، حيث عاد حطام الحملة في 11 أكتوبر.

انتهت هذه القضية المؤسفة بفقدان الجنرال بارتزان والقاء عليه المسؤولية في النهاية من طرف جميع بمرارة، ولكن أمر مؤسف صنعت الدين كان بإمكانهم أن يشاركوه في المسؤولية.

في محافظة وهران، كان موقفنا غير مؤكد لمدة طويلة تحت إدارة الجنرال. أُنقذت الحكومة منذ عدة أشهر دون اتخاذ قرار بشأن اعتماد أو رفض الترتيبات الذي أدلى بها الجنرال كلوزيل حول موضوع هذا اليلك، وخلال كل هذا الوقت ظلت الأمور في الدولة الواحدة حيث تركنا في الكتاب 5 من هذا العمل. كان من المفترض دائما على خليفة الأمير أحمد أن يبقى في حكم البلاد تحت حماية العقيد لوفول وفوجه؛ ولكن لم تمتد سلطته كثيرا الى خارج المدينة، وانحصرت على عدد السكان صغيرة جدا. كان تحت خدمته الأتراك الذين كانوا يخدمون الباي السابق، وهو ما رفع عدد الجنود الى 4 الى 500 رجل الجنود تحت قيادته، بما في ذلك جلبهم (أحضرهم) من تونس. في شهر جوان، ذهب للتعامل مع هذه الهيئة الصغيرة، وهو الذي كان قد تحدى قبيلة، قتل فيها الكثير من الناس، وتحصل على غنيمة كبيرة جدا. كان يحتاج هذا المورد لأنه كان بدون مال تقريبا وجنوده كانوا في حرمان مخيف. لم يكن خط 21 في وضع يسمح له أن يكون أكثر إشراقا. بما أنه عين منذ فترة طويلة للعودة إلى فرنسا، فإنه لم يحصل على أي شيء من مخازنه، بحيث كان الجنود عراة تقريبا، حتى المسؤولون أنفسهم لم يكن لديهم الا الملابس الرثة فقط.

قصي الإحباط على هذه القوات، وكذلك الشعب في العزلة، حيث لا يسمعون في الكثير من الأحيان، ولمدة شهر كامل، أخبارا عن الجزائر أو فرنسا. توفي العقيد لوفول الذي قاد من الحالي في شهر أوت الحالي.

غير النجاح الذي حققته حملة "القبائل" في المدينة، حمس بعض الحركات في وهران. العرب الذين كانوا يعيشون بالقرب من هذا المكان، غادروا مع النية العلة للانتقال أو الانضمام إلى المواطنين في الداخل وعودة مهاجمة الحامية ثم. هذه الاستعدادات المعادية أعادت الحياة قليلا إلى الجنود الفرنسيين الذين سيطر عليهم التراخي، ولكنها لم تقدم إلا بعض العروض التي تنفع من العرب. لم يكن هناك أي هجوم خطير، واقتصر كل شيء على بضع طلقات الناقلة للبنادق، التي أطلقت على الصفوف الأولى.

وفي الأخير، حددت الحكومة رأيها، برفض تصديقها على ترتيبات الجنرال كلوزيل، وقررت إجراء حسابها الخاص في وهران. كان المنصب للمرة الأولى للجنرال فودواس للذهاب والقيادة حول هذه النقطة، ولكن قرار جديد مولوق به تعطى إلى الجنرال بوير، الذي كان قد قاد فرقة جيش أفريقية تحت قيادة الجنرال كلوزيل. ووصل إلى وهران في منتصف سبتمبر، عاد خط 21 إلى فرنسا، وحل محله الخط 20. ولكن إرسال ملازم إلى وهران أثبت أن نية الحكومة كانت لزيادة قوة في هذا الجزء من وجلس الوصاية، والذي سيكون له تأثير المكان في وقت لاحق.

وجه الخليفة والتونسيون إلى بلدهم برضاهم الكثير، لأنهم كانوا متعينين من هذه الوضعية التي دامت طويلا.

بعد أيام قليلة من وصول الجنرال بوير، جاء مولاي. أحد أقارب إمبراطور العرب وقائد القوات التي كان الأمير قد أرسلها إلى محافظة وهران مع مئات من الفرسان للالتفاف حول المكان، وبعد يومين أو ثلاثة أيام العروض الصيانية دون جدوى الخفى، ولكن ظلت ضواحي المدينة غير آمنة. أطلق العرب الذين جاؤوا كالأطفال المفقودين على الحارس للاحتجاج على وجودنا في وهران بهذه الأعمال العدائية من دون نتائج، إلا أن ذلك لم يمنع عرب آخرين من الاقتراب من سوقنا وقد حدث لأكثر من مرة، أن بعض الأهالي بعد ما باعوا بضائعهم في وهران، كانوا يتسلون قبل في العودة ليتفريغ أسلحتهم ضد الجنود. هذه الدولة الغامضة، التي كانت في حالة اللاحرب واللاسلم، استمرت، مع وجود اختلافات طفيفة على مدار عام 1831.

وصل الجنرال بوير في قيادته وقد سبقه سمعته كبيرة حول شدته، والتي جعلته في إسبانيا يحصل على لقب "القاسي" حيث كان الوحيد الذي شرف بهذه التسمية. وكان، علاوة على ذلك، رجل من متميزا بالطرافة والقدرات، ومتعلما ومديقا للفنون، لينا واجتماعيا في باطنه، ونال مجموعة من صفات التقدير، ما يتنافس بشدة مع سمعته الرهيبة التي تبرز من خلال أفعاله. وقد أظهر في وهران نسوته ضد المغاربة (المور)، فلا يرحم أحدا ممن يحاولون التذاكي مع إمبراطور العرب. وأعدم العديد منهم دون محاكمة، والبعض بشكل غير قانوني. كان

هناك تاجر مغربي يدعى بالنوسباتو، وقد اختطف مرة من منزله تحت أوامره، وبعد ذلك أخفى من الوجود كل ثرواته التي صودرت. عاد إلى الخزينة بمبلغ قدره 20 ألف فرنك، والتي لم تعد إلى الورثة إلى في 1834. لا شيء يبرر مثل هذه التدابير المريبة. لم يكن عدد سكان وهران كبيرا بما فيه الكفاية، ولا معادين بما فيه الكفاية ليكون من الضروري الحفاظ على هذه الطريقة المماثلة في التعامل معهم. إذا كان هناك مذنب، كان على العدالة العثور عليه لمعاقبته. يجب أن تكون خطيرة جدا لكي يفترض رجل واحد الحق في الحياة والموت. وللأسف استعمال القسوة كأداة سياسية، كان منهجيا لدى الجنرال بومي، كانت قضية عقيدة ومنطق أكثر من كونها إثبات من الشخصية.

عندما تقرر نهائيا أن وهران ستكون جزء من الاحتلال، اهتمنا بتنظيم الخدمات الإدارية. كما هو الحال دائما بالنسبة للجباية التي وضعت في الخط الأمامي. نص مرسوم 7 سبتمبر على تطبيق تسعيرة وطريقة تقدير الحقوق الحركية والمنح التي تستخدم في الجزائر العاصمة على ميناء مدينة وهران، تسعيرة. وفي نفس اليوم تم تحديد تكوين موظفي مكتب الجمارك في وهران. عين السيد باراكلان نائبا للمدير المدني، والسيد بوجال مفوضا بالقرب من البلدية التي كان الهدف إنشاءها لتكون مثيلة تلك الموجودة في الجزائر العاصمة. منقوم الآن بوصف موجز لمحافظة وهران، والتعريف بالقبائل التي تقطن فيها.

محافظة وهران لديها جزء من أراضيها على الضفة اليمنى لشلف. هذا الجزء الجبل جدا، يقطعه أساسا قبائل "القبائل" في تلك الفترة، عندما قام "شوس"

برحمة العلمية والمثيرة للاهتمام، وهي تمتد إلى الشرق حتى مزران، ولكنها ترضخ لمحافظة الجزائر العاصمة وتشمل جميع الأراضي ما بين هذا النهر وتيفيرت، الذي يصب في البحر بين شرشال وتنس. القبائل الرئيسية للـ "القبائل" في هذه المنطقة هي بني مدون، بني زروال، بني ميهنة، بني عشاينة، بني رشيد، وأولاد سيدي الحاج هني، وبني عائشة، وبني زوج زوج. أقوى قبيلة عربية في هذا البلد هي قبيلة جنبل. وفيما يلي المدن التي تنتمي إلى المحافظة وهي تنس ومازونة ومليانة. تنس كانت مدينة صغيرة وقذرة، والتي كانت قبل بربروس، عاصمة لمملكة صغيرة مستقلة. هناك رواية عربية ساخرة العربية تقول إنها بنيت على الروث، وأنها لا تحتوي حتى على مياه الشرب. هذه المدينة التي تقع على حافة البحر، لديها ميناء صغير كان في الماضي مقرا لتجارة القمح إلى حد كبير. وهي مغطاة إلى الشرق بخليج يحمل نفس الاسم وهو مرتفع ويتقدم إلى البحر. يسكن بني مدون في الساحل الغربي لتنس. نجد بين تنس وخليج ايفي، مينائين صغيرين آخرين الآخرين وغير مهمين، وهما كاشما وواد كسال، والنهر الصغيرة الحمير، عند المصب القريب من السوق التي كان فيه الأوروبيون يسمحون لأنراك "شاوور" بممارسة تجارة الحبوب، فضلا عن تلك الموجودة في "روميل اليا" و"معروفا" التي تقع على نفس الجانب.

تقع مليانة في المناطق الداخلية، على بعد 24 ميلا من الجنوب الشرقي لتنس، على ارتفاع عالي جدا، حيث يمكن الشعور بفسوة الشتاء جيدا. وقد بنيت على سفح جبل زكار أحد أهم القمم الجبلية في البلاد. ويحيط به جدار مسيج

سبي، ولديه ثلاث بوابات ب ثلاث فلاع صغيرة مسلحة ببعض المدافع قليلة. يقدر سكان هذه المدينة بثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة. وعلى بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقي من مليانة نجد المنابع المعدنية الحارة (الساخنة) لميريدجا (أكوا كاليدوي، مستعمرة من الرومان) هذه الأخيرة (مايشيه الحمامات) لديها سمعة كبيرة في البلاد وهي تستقبل الكثيرين. نرى بعض الآثار الرومانية في متيجة. كما يمكن إيجادها في مليانة لكن بشكل قليل.

مازونة هي قرية أكثر من كونها مدينة، وقد بنيت غير بعيدة عن ضفاف الشلف وعلى بعد ميلين من مصب النهر، على إقليم قبيلة بني عباس. عدد سكانها يتراوح ما بين 1200 و 1500 نسمة، وهو أكبر عدد منهم يتواجد في كوزوغريس.

الشلف أكبر نهر في مجلس وصاية (محافظة) الجزائر العاصمة. يعتقد شالر أنه يمكن الملاحة فيه على مسافة كبيرة من مصبه، ولكنه كان خطأ في هذا الصدد. وأنا مقتنع بأن على ارتفاع مازونة، توجد مياه قليلة جدا للتمكن من حمل قوارب: في موسم الأمطار، وخلال لبضعة أسابيع فقط، بلغ حجم المياه مستوى معتبر جدا، ولكنها لم تكن إلا سيلا، وليست ذات استخدام في الملاحة. في عام 1832، تجاوز قارب فرنسي، ومفاجأة السيد تاتارو قائد الأركان، مع بعض ضباط البحرية شريط (نهر) الشلف الذي لم يجدوا فيه إلا 5 أقدام من الماء، والمجس أعطى 9 إلى برقية واحدة (وحدة قياس طول الكابل في الملاحة) في الأعلى. لم تتمكن القوارب من التقدم

الأعلى مسافة ما تفصل ألف متر من المصب، والأعمال العدائية لسكان بن عائشة الذين يعيشون في هذه الشواطئ، أجبرتهم على التراجع. إذا لمكنت من المضي قدما، يفترض أنها عثرت على عمق كافى حتى رافد مينة، وهذا يعني، على طول 7 إلى 8 أميال على الأكثر. وبالتالي لا ينبغي لنا أن نعتمد على الشلف كوسيلة من وسائل الملاحة الداخلية. يصدر هذا النهر من جنوب سفح جبل أونونازريس في المكان المسمى مبيون عيون ويندفق نحو الشرق على طول 10 أميال تقريبا، يتلقى على يمينه نهر ميدروي، واعتقدنا أنه يمر بعد ذلك البحيرة الافتراضية للثيپتري⁽¹⁾، وهو يجري إلى الشمال، حتى على بعد مسافة قصيرة من المدينة و يأخذ منعطفًا حادًا نحو الغرب، يتدفق إلى البحر عن طريق الخط المباشر ويلقي إلى الغرب كيب أو خليج أوراس ايفي.

جزء من محافظة وهران الذي يقع على يسار الشلف هو خمس أو ست مرات أكبر مما ذكرناه أعلاه، ويحده من الجنوب الصحراء الكبرى، ومن الغرب امبراطورية المغرب ومن الشمال البحر، الصورة الموحدة إلى حد ما، هي سلاسل من الجبال تمتد من الشرق إلى الغرب، ويفصل بينها الوديان أو السهول المعتدة بشكل جميل تقريبا تحت خطوط طول وهران ومعسكر. تتجمع هذه السلاسل بجبال وسيطة والتي تنتهي في كيب أو رأس فيرات مابين وهران وأرزيو: والوديان التي تحدثنا نخرج إلى تلك الموجودة غرب التافنة، وتلك الموجودة في الشرق على الشلف. وتتلقى

(1) لم نستطع الحصول بعد على أي معلومات إيجابية حول هذه البحيرة

هذه الأودية مياها في الشرق بواسطة روافد يسار الشلف، وأهمها مينة وأريون وفداح.

مينا لديها مصدر قرب فرندا، على بعد يوم من السير على الأقدام نحو جنوب معسكر. الجزء السفلي من حوضه يشكل سهل مترال الذي يقطن فيه أولاد حامد، وأولاد سيدي، والعريبي والسويد، والحكمة وموكالية. الجزء العلوي يقطنه أساما الفليته التي تشكل قبيلة قوية.

أريون، الذي يتواجد في الشلف فوق مينا، يحاذي للنهر الأخير بالتوازي. وحوضه يقطنه سبيح إلى حد كبير، وهي قبيلة مضطربة ومدمنة جدا على اللصوصية.

الفضة أو نهر الفضة، يطلق عليه هذا الاسم لأنه يحمل رقاقات (قطعا) معدنية والتي على ما يبدو أنها من الفضة، ويأخذ مصدره في شمال جبل أونولازيريس بالقرب من خط طول الشلف، القبيلة الرئيسية الذي يعيش في حوض الفضة هي العطاف (لاتاف)، مفصولة عن الشلف بقبيلة جنغل التي تحدثنا عنها سابقا. هناك جسر حجري دقيق جدا هنا، على الشلف، الذي بني في عام 1816 تحت إدارة عمر باشا. الجسر على بعد 40 ميلا من مصدر النهر، و 7 أميال من مليانة. الأرض المدرجة في معظم كبير من الشلف فوق الجسر، تقطنها قبائل عربية عدة، ومن أهمها مالمطة، وبني سامون، لايت وأولاد حليف. أعلى

قمة في البلاد والتي وصفت من قبل، هي قمة أو جبل أونولازيريس.

تخضع السلاسل بشكل عام بالاقتراب من الشلف. والتي تقع على الضفة اليسرى لمينا ترتبط في الشرق، بالكتلة الجبلية التي تبنت عليها مستغانم وميسغران، وغربا بالجبال التي تفصل الرومان الموجودة في الشرق عن تلك الموجودة في الغرب، تحت خطوط طول وهران ومعسكر، كما تحدثنا أعلاه. على هذه السلسلة تجد مدينة كالح، في منتصف الطريق الرابط بين الشلف ومعسكر. شمال هذا السلسلة يمتد السهل الرائع ميرات، المفصول عن سطح البحر بتلال ذات سمك متغير، ويقطنها البورجيا في الشرق، وفي الغرب الغوايا، وهي قبائل قوية ومحاربة. وتستمد مياها من الالهيرة، وسبخ الذي يصب في الالهيرة، من اليسار، فوق مصبه تقريبا⁽¹⁾. يصب الالهيرة في الخليج أريون، بالقرب من ميناء صغير يدعى ميناء الدجاج، حيث نرى بعض أنقاض الميناء القديمة. مدينة أريون تقف على تلة على بعد ثلاثة أميال غرب مصب الالهيرة⁽²⁾، وعلى بعد ميل ونصف من ميناء أريون، أو المكتنا. هذا البلد تسكنه قبيلة حاميان. ال تلال الواقعة شرق الهيرة يقطنها الحيد من الشراقة وفي الأخير، التلال الهائلة لمستغانم وميسغران التي يسكنها المجار، فهي قبيلة كبيرة وقوية⁽³⁾.

(1) تتواجد الهيرة في جبل واد الصمام

(2) مصب الهيرة معروف في البلاد تحت اسم من مكتنا

(3) تقسم هذه القبيلة إلى عدة مناطق، مثل مكر، وبوكلمل، ولولام، سيدي عبد الله، وبوكريل، وما إلى ذلك.

الجزء الأول

جنوب الجزء الغربي من سهل سيرات، توجد جبال مرتفعة ومسبكة بها فيه الكفاية، ويقطنها بني شقران، التي تمتد بالقرب من معسكر. يعيش الجنوب من معسكر أفراد قبيلة هاشم⁽¹⁾.

نجد على مقربة من وهران، عاصمة المحافظة، قبائل زيميلة ودوار، وفي الجنوب نجد بني عامر. في غرب وهران، على الأرض الواقع بين خليج أو رأس الصقر ورأس فيغالو. غرب هذه الأخيرة يوجد سهل جميل وهو زيدور، وتسقيه مياه واد الملاح و تافنة، التي تصب في خليج حارث غون، وهو موجود في مصب التافنة ذو رسو الجيد جدا الذي تغطيه الجزيرة الصغيرة حارث غون، الذي أعطى اسمه إلى الخليج ما بين خليج الصقر وخليج هون، ويسكن هذا البلد أولاد- حساس وبني هلال.

قمنا حتى الآن بتسمية قبائل محافظة وهران الرئيسية، وهناك عدد آخر منها : أنا أنظر الآن قائمة مكتوبة باللغة العربية تحت املاء الباي الأخير لوهران، والتي تحمل أكثر من 130 اسم قبيلة، ولكن لن تكون للمقارئ مصلحة في ذكرها، ولذلك فضلت الامتناع عن إعادة ذكرها هنا. وهي أيضا كتبت بشكل غير صحيح، وأفضل المترجمين وجدوا صعوبة في فك رموزها. وتتخللها المزيد من الملاحظات التي لا نعرف من تخصص، لذلك لا يمكن أن نعتبر وثيقة جيدة جدا. ومع ذلك، فإنها أعطتني دليل على أن الأتراك كانوا يعيدون كل البعد عن

(1) لا يزال هناك أفراد هاشم على أجزاء أخرى من محافظة وهران، بما في ذلك في

معرفة الصحراء جيدا، كما تقوم بقراءة أسماء بعض القبائل التي تسكن هذه الأرض من جنوب محافظة وهران: أسماء القبائل الجنوبية معروفة لدى سكان وهران.

يتم ذكر 54 قبيلة في محافظة وهران، على هذه القائمة الحالية من أي مساهمة، والتي لا تخضع إلا للخدمة العسكرية. وتتمثل أساسا في دوار وحييد، كما هو الحال بالنسبة إلى التيطري⁽¹⁾. لم أحصل على التقسيم بالأوتان (المناطق)؛ كان للعديد من هذه الأوتان (المناطق) قادة عرب. أقام القادة التركيون بشكل رئيسي في المدن؛ وكانت بقية أعمال الحكومة هي نفسها في المحافظات الأخرى. مدن محافظة وهران محافظة، التي تقع غرب الشلف هي: وهران، تريمسان (تلمسان)، معسكر، ندرومة، غوزونة، كالح، مستغانم، ميسغران وأرزيو.

تقع وهران على حافة البحر، في موضع خلاب جدا. هذه المدينة موجودة على تلتين من التلال المفصولة بواد عميق إلى حد ما، والتي يصب فيها نهر صغير يروي (يسقي) الحدائق الجميلة المحيطة ببعض المطاحن. المنطقتين الرئيسيتين للمدينة تقعان على اليمين واليسار هذا الواد الذي يفتح على الشاطئ، حيث هناك منطقة أخرى تسمى البحرية أقل أهمية من الأولتين. تم تحصين المدينة بجدار مسيج من قبل الإسبان، مصمم مع الكثير من الفن والرعاية (الاهتمام)، لكنه حاليا في حالة سيئة جدا. يهيمن على وهران في الغرب جبل عال بما فيه

(1) في بلد حيث لا يمكن طباعة أي شيء، فمن الصعب جدا أن تكون الوثائق الجغرافية والإحصائية إيجابية للغاية وذلك التي تحصل عليها في الكثير من الأحيان تكون لغشية خاطئة ومناقضة.

الكفاية، حيث القمة يحميها حصن سائتا كروز، في منتصف الساحل نجد حصن سانت غريغوري، وفي القاع، بالقرب من البحر، نجد حصن موني، إلى الجزء الجنوبي من المنطقة الموجودة على يمين الوادي، توجد حصون سانت أندرو وسانت فليب، والتي تضيء الوادي نفسه، تعلوها بضع القلاع الحجرية، وفي الجزء الشمالي من هذه المنطقة نجد القسبة الجديدة أو "شاتو نوف"، المحصنة بواسطة حصن سانت تيريز، الذي يحدد المنطقة البحرية. ويهيمن على المنطقة على يسار الواد القسبة القديمة التي دمرت تماما تقريبا في الزلزال الذي هز المنطقة في عام 1790.

وهران لديها تصميم أوروبي أكثر من كونه مشرقيا؛ فالشوارع واسعة، ولكن متفاوتة: الرئيسية مليئة بالأشجار. كان لوهران صاحبتين كبيرتين تم التضحية بهما بسبب احتياجات الدفاع عنها وهما راسلاين وكرجتتا. على الرغم من أن هذه المدينة توفر تنمية واسعة النطاق، إلا أنها أكثر قليلا من 7 إلى 8 آلاف نسمة. نجد على بعد أميال قليلة من جنوب وهران بحيرة مالحة واسعة جدا. وعلى ميل غرب هذه المدينة يوجد ميناء وحصن مرسى الكبير، حيث يتم رسو كل السفن المتجهة إلى وهران، لأن الميناء الصغير في وهران لا يمكن أن يستوعب المراكب.

تقع ثرمسان أو تلمسان في المناطق الداخلية من المنطقة، على بعد اثني عشر أو خمسة عشر ميلا من خليج حارث غوم؛ كان سابقا عاصمة لمملكة قوية بما فيه الكفاية، ولكن في هذه اللحظة ليس لديها سوى ثلاثة أو أربعة آلاف

سنة من السكان. نرى على مسافة قصيرة من ثرمسان أنقاض المدينة القديمة مزودة.

وكانت معسكر عاصمة البيك عندما كانت وهران تحت الهيمنة الأسبانية، وهي مدينة تتوسطها وتحيط بها حدائق الجميلة؛ لديها خمسة ضواحي وجميعها كثيرة التحصينات فيها منعقدة تقريبا، ويمكن إزالتها بسهولة باليد. سكان معسكر يمثلون 8 إلى 10 آلاف شخص في هذه اللحظة.

لدرومة هي مدينة صغيرة جدا، بنيت على منحدر جبل على أربعة أميال إلى الجنوب من كيب أو خليج هون. تقع غازونة وهي بلدة صغيرة، على شاطئ البحر غرب كيب هون، ولها ميناء صغير؛ سيكون بقعة جيدة للهبوط البعثة في ثرمسان.

كالح، والتي أشرنا إلى موقعها من قبل، هي بالفعل أكبر من السابقتين، ويصنع فيها الكثير من الزراري.

تقع مستغانم على بعد ستة أميال من الضفة اليسرى للشلف، وعلى بعد أربع ميل من البحر، على تل عالية جدا، وهي تحتل الضفة اليسرى لواد ممائلة لواد وهران، الذي يفصلها عن أحد أحيائها، الذي يدعى مطمورة، الذي يمين عليها. كان هناك صاحبتين جبليتين في مستغانم، تيسديدس وديار الجديد، لكنهما اختفيتا مثل تلك الموجودة في وهران. لمدينة مستغانم جدار تحصين، ولكنه في حالة سيئة، وهي محمية بشكل متزايد بواسطة بعض الحصون الخارجية، أهمها الذي يدعى حصن الأتراك أو حصن الشرق، التي يمين على مطمورة. نرى في المناطق الداخلية من المدينة، قلعة قديمة بناها يوسف بن تاشفين في القرن من

الثاني عشر من عصرنا، وكان يدعى حصن سيفون. كان هناك في مستعظم ما يقارب 12 ألف نسمة كتعداد للسكان، وعدد كبير من الورش الخاضعة بالتحريم بالذهب، والآن لا يتجاوز عدد السكان 1500 نسمة.

يقع ميسيران على بعد ميل فقط غرب مستعظم. لقد عانت هذه المدينة إلى حد كبير في السنوات الأخيرة، وهجرها سكانها بالكامل. الريف ما بين مستعظم وميسيران تغطيه منازل ريفية، وهي الآن مهجورة ودمرة.

أما أرزو، فتقع على تلة على بعد مسافة قصيرة من البحر. بين وهران ومستعظم، وهي مدينة دمرت عن آخرها، ونحن نرى بعض بقايا المباني الرومانية، والبناء الذي يوجد على بعد ميل ونصف إلى الغرب، وهو أفضل مبناء لرسم (مبنى) السفن في المنطقة (مجلس الوصاية). ومن على مسافة قريبة من أرزو نجد ملاحية (ملاحية) ضخمة فيها الملح بكميات معتبرة في التربة غسوما، التربة في محافظة وهران مشبعة جدا بالملح.

وكان هذا الإقليم، في الوقت الذي عثر فيه الجنرال بوبي لقيادة وهران، قد وصل إلى أطبع حالة من الفوضى. كانت هناك رغبة غامضة من أجل الاستقلال ثم طغى البحر في جميع الرواوس، ولكن لا يزال هناك عدم وحرارة وحدة في الإرادة والقيادة. لم تدم مدينة معسكر ضد الأتراك، الذين ضلوا أديم بمكثهم أن الغاء هناك بعد سقوط الداي، ولكن تم طردهم أو ذبحهم. تتحرك السطون في القسم المتواجدين (أي الأتراك) في ترمسان الذين احتلوا المدينة. والأتراك والكرغانيين الذين كانوا سادة المنطقة.

عازمت مستعظم بسلطاننا من خلال ضابط تركي قوي وذكي جدا، وهو القابذ إبراهيم، الذي أصبح في خدمتنا، والذي أرسله العقيد لوفول على رأس سبع لجان من الجنود أمته. كانت أرزو أيضا بشكل جيد معنا، والقاضي الذي كان قد استولى على كل السلطة، كان في علاقات جيدة مع وهران. بقية المنطقة كانت أكثر أو أقل عدائية، ولكنها تفتقر إلى مركز للنشاط. كان القادة الأكثر تأثيرا هم: علي الغالاني من مليانة، البغدادي قائد العطف، مصطفى والزاري قادة وكل من دوار وزميليس، مولود بن الأطرش والحليقة من ليلة غاراباس، في الأخير المرباط صبي الدين وابنه الشاب عبد القادر، الذي استمر في وقت لاحق للعب دور كبير جدا.

السيد الجنرال بارتران لم يهتم على الإطلاق بمحافظة وهران إلا بشكل غير مباشر جدا، ومع ذلك، أراد إرسال مصطفى بن عمر، الذي كان يعرف ما يجب القيام به بعد سحقه من المدينة، ولكن الجنرال بوبي رفض استخدامه. بعد فترة وجيزة، تم استبدال السيد بارتران بالدوق روفيجو، الذي اعتقدت الحكومة أنها يمكنها أن تستخدمه، على الرغم من قلة التحيزات المتنوعة التي وقتت ضد.

الجزء الثاني

1.

من شمال أفريقيا قبل الفتوحات الإسلامية.

كان الأوروبيون، الذين انتشرت مستعمراتهم في جميع أنحاء الأرض، في شبكة واسعة، يعتقدون بأنهم يملكون البلدان بشكل غير كامل، حيث نقلوا صناعاتهم وأملهم، إذا كانوا يجهلون التاريخ وأصل أحاسن الرجال الذين عاشوا قبلهم، فقد كان ذلك مختلفا جدا، الشرقيون (مشاركة) لا يهتمون بالشعوب التي سبقتهم، كما يهتمون بالشعوب التي يجب أن تتبعهم.

ولإرضاء هذا الفضول، كنت مضطرا لجمع هذه المادة والتي تحل في ما يلي، ملخصا للمؤلف التاريخي الموجودة لدينا حول شمال أفريقيا (بعض الملاحظات على الأجناس المختلفة التي تعيش فيها). أعطى الإغريق للقارة الأفريقية التسمية العامة لليبيا. وقد تم تحديد ذلك في أفريقيا فقط على هذا الجزء من البلاد منذ وقت طويل، حيث

بنى الفيلينيون قرطاج، وفقا لبوشارت، الذي تحدث عنه شاو، فان كلمة أفريقا تأتي من من كلمة "فريك"، التي تعني باللغة الفينيقية "السبلة"، التي استخدمت للإشارة إلى الحصوية الكبيرة لضواحي قرطاج. وان كانت هذه التسمية في الاتيمولوجية، الا أننا أطلقنا عليها اسم أفريقا لييا الإغريق.

لا نعرف شيئا عن الشعوب الأصلية في شمال أفريقا. وقد جمعت أقدم سكانها من منطقة شرق آسيا، وقد حافظ التاريخ على البعض من تلك الآثار. لقد جاءوا إليها من فلسطين والسعودية. وفقا لليون الإفريقي، والكنعانيين، الذين طردوا من فلسطين من قبل اليسوع (عيسى عليه السلام) وبنو إسرائيل، فعروا بأفريقا، واستقروا هناك. بعد بضعة قرون لاحقة، قاد مالك أفريقي، وفقا لنفس المؤلف، عملية هجرة كبيرة لعرب الصابئين (من سبأ).

أبدت تأكيدات ليون بما يكفي من أدلة قوية، ليس فيما يتعلق بالتفاصيل والمصو، ولكن فيما يتعلق بوجود هجرتين، واحدة كنعانية، وأخرى عربية.

في الواقع، يشهد النكل بوجود أجناس مختلفة عن جنسنا في أفريقا لفترة طويلة، حيث تختلف معهم في اللغة والتقاليد. الأخرى اللغة. ثم تحديد هذا الجنس الذي كان نواة "القبائل" الحاليين، من قبل اليهود

(١) كل يوم الإفريقي علم من غرطاج، والذي أطلق التسمية والذي كان يكتسب
كل من أفريقا عشر في القرن ١٥

الأمازيغ تحت اسم الفلسطينيين". هذا هو التسمية التي أعطيت بعد ذلك للـ "القبالي" في فكرة أصلهم الكنعاني. ثانيا، هناك في مجلس الرصاية قبيلة معروفة، وحسب كل الاحتمالات فقد أتت من فلسطين. وهي قبيلة بني مزاب وبني موآب. جميع الخاضعات المتعلمون مفتحون لها تنحدر من موآب، ابن لوط عليه السلام، وانتقد بعد ذلك في البلاد من أصله الذي يقال عنه من "زنى المحارم". وأضاف جميع الخاضعات أن الأجيال لوط القادمة هاجرت إلى أفريقا بأكملها، وأن أمون، تطبيق موآب، الذي ولد نتيجة زنى المحارم، وهم ينحدرون من "عمونيين" والذين يطلق عليهم حاليا اسم "عموني". بجونا كتاب التحويل إلى لوط الثاني في الواقع ولدين وهما من زنى المحارم مع بنته وهم ينحدرون من لوط التوأمين وبني عمون. كان هذه الشعوب يعتقدون اليهود كما يتضح من عنا مقاطع من "سفر التثنية"، و"رقام وأبياء". رغم تواجد حضرة التوراة في فلسطين في ذلك الوقت، كما رأينا في الكتاب المقدس (التحويل)، لكن لا شيء يستلزم الاعتقاد بأن الكثير منهم هاجروا إلى أفريقا بعد طرد اليسوع (عيسى عليه السلام). وتعرض الأشخاص الذين بقوا في فلسطين لمضايقات عندما تم إبعاد (داوود عليه السلام) قوة إسرائيل، وطردوا في الأخير خارج البلد لعدم الانضمام إلى أشقتهم في أفريقا.

ومن ثم نناقش هنا مصدر التوراة (سفر التكوين) أو غيرهما من الكتب

(١) في سفر التوراة (سفر التكوين) الذي كتب في فلسطين، الذي كتب في
سفر التوراة (سفر التكوين) الذي كتب في فلسطين، الذي كتب في

العبرية التي تشكل معاً ما ندعوه الكتاب المقدس (الانجيل)، ولكن من المؤكد لها أكثر من العصور القديمة، وأنها مفيدة لتسليط بعض الضوء على نقاط القوة من تاريخ الشعوب القديمة الغامض. شهاداتهم تؤدي إلى نوع من اليقين، عندما نكتبها غالباً كل ما يتعلق بالآبتيولوجيا (علم أصول الكلام). ولكن ماذا نرى هنا؟ قبيلتين من أفريقيا لديهما تسمية متشابهة تماماً مع قبيلتين من فلسطين القديمة، وقد اضطهدتا في هذا البلد. هذا البلد الأخير كان مهداً لنا، على الأقل في جميع الاحتمالات، ثم رحلوا منها هرباً من الاضطهاد.

الاسم المعطى من قبل الخاخامات للـ "القبائل"، ليست الأثر الوحيد فقط للأصل الكنعاني الأساسي لهذا الشعب؛ قبيلة فليسا، التي نكتبها عادة "فليسة"، التي كانت أقوى هذه القبائل من الجليليين الذين لا يقهرون، ستأتي مرة أخرى لإثبات العلاقة بين اسمها والفلسطينيين. وفي الأخير، فإن الاسم الصحيح لبن كنعان، الشائع جداً بينهم هو اسم والد الكنعانيين، الذين، وفقاً لـ "سفر التكوين" (في الانجيل)، كان شنعان (كنعان)، تشان (كان) حفيد نوح عليه السلام. هذا لا يثبت أن سفر التكوين على حق في كل شيء. قاله أجدادنا قدماء الكنعانيين، لكنه يظهر بين هذه الشعوب و "القبائل" مجتمع من الأسماء التي تشبه عندما نشير إلى مصدرها.

بني مزاب أو المزاريون كما تسميهم الجزائر، يتكلمون لغة أخرى مغايرة لـ "القبائل". ولكن يجب أن يكون مثلهم كذلك، مثلما يثبت أحفاد موآب. في الواقع، خرج لوط (عليه السلام)، والد موآب، من بلاد ما بين النهرين (بلاد الرافدين) وينتمي إلى سل سام كما هو الحال بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام.

كلا القبيلتين اللتان تدعيان له بالأصل (المنشأ)، على الرغم من أنها نشأت في بلاد كنعان، فهم يتحدثون لغة أخرى غير تلك التي يتكلم بها الفلسطينيون، و الكنعانيون آخرون ينتمون إلى نسل تشان (كان). نرى في الكتاب المقدس أن هذه القبيلتين عاشتا في شرق نهر الأردن، وبالتالي بعيداً عن القبائل الأخرى. وأكرر، أنا لا أؤمن ولا أثق بالكتاب المقدس ثقة عمياء، ولكن ما يقوله هنا يظهر على الأقل أن الموآبيين لا يحملون نفس أصل الكثير من الأمة الكنعانية الذين يختلفون عنهم في اللغة، وذلك ما يختلفون فيه حتى الآن، بين أحفاد بعضهم البعض.

لا ينبغي أن يكون عدد القرون التي تفصلنا عن الوقت الذي وضعنا فيها حجره المزاريين (بني مزاب)، سبباً لصدا الأدلة التي اكتسبناها حول الأصول الأسبوعية لهذه القبيلة. لأنه في الأخير، لم يعد من غير العادي (الغريب) العثور على هذه الأمة الصغيرة في أفريقيا، كما نرى اليهود، مضطهدين سابقون. ولذلك نعتبر أن مرور الكنعانيين في أفريقيا هي الحقيقة. وحول الهجرة العربية فإن ليون ترى أن هذه النقطة لا تحتوي على سبيل للمجدد (لا جدال فيها)، وقال إن مالك الذي قادها، كان رفقة خمس قبائل وهي زنغرة، موسامودة، زينيتا، حوارة وغوميرا، ومنها ينحدر أن المغاربة (المور). كل هذه القبائل معروفة جداً، خصوصاً قبيلة زينات الزاهية التي تظهر لوحة خاصة في تاريخ الحروب الإسبانية. لا تزال هناك من غوميرا في مليلية المحتلة من قبل الإسبان، على سواحل المغرب. هناك، كما قلنا في الجزء الأول حوارة في محافظة

من الشيطري. هناك زنغرة في منبجة في منطقة الحجوط. وكان ليون الإفريقي بالتالي على دراية كاملة حول القبائل التي تحدث عنها.

وعلاوة على ذلك، لدينا العديد من الأدلة الأخرى حول أصل العربي للمور. أولاً، كما قلنا في الجزء الأول، يحفظ التاريخ مجموعة من المعالم والآثار القديمة التي تدل على غزو أفريقيا من قبل العرب، الذين سيطروا على مصر لفترة طويلة، والذين شكلوا ما يسميه الكرونولوجيستيون (علماء التاريخ) سلالة الملوك أو القساوسة. بعد ذلك كان هناك، توجد شهادة كل الكتاب العرب كافة، قياس كبير على الأدب واللغة عند العرب الذين احتلوا شمال أفريقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم (الفتوحات الإسلامية) وشعب هذا البلد، واقع الختان مثلهم: ما يجلب كل هؤلاء الكتاب إلى الاستنتاج أن المور هم اخوتهم الذي وصلوا إلى أفريقيا قبلهم. المؤرخون الذين عرفون بدايات المرابطين، مؤسسو الإمبراطورية المغربية، يسلطون الضوء أكثر على ما يتعلق بهذا الصدد. تشابه عادات وتقاليده العرب وسكان أفريقيا القديمة لم يفلت من الكتاب (المؤلفين) الإغريق والرومان، ومن بين الآخرين سترابو الذي يقول بشكل إيجاز "الجيتاليين" (العجم) عاشوا تماماً مثل بدو العرب. يمكننا جمع أدلة أكثر، مشكوك فيها قليلاً، كوجود اللغة العربية في أفريقيا في العصور القديمة. وبالتالي فإن اسم "نزاموس" الذي أعطاه هيرودوت والكتاب الذين اتبعوه للشعب الذي يعيش على مقربة من برقة، ليس شيء آخر غير ناس العمون، والتي تعني باللغة العربية ناس العمون،

لها يمكن أن نقول ناس المدينة، أهل المدينة، آل ناس الناس الأوتان من الأوتان، الخ. كما أعطى هيرودوت لقبائل الجبال في البرقة تسمية "قبائل" وهي التسمية التي لا يزال العرب يستخدمها لتعيين القبائل التي كان لها منشأ غير بلدهم.

دون الابتعاد عن هذه الأطروحة، سنضع في المقام الأول بأن السكان الأوائل الذين عرفوا بأنهم سكنوا في شمال أفريقيا، كانوا الكنعانيين والعرب. لم يأتي الغزو الفينيقي، الذي كان أول نشاط له تأسيس أوتيكا، التي يعيها علماء التاريخ القديم إلى عام 1520 قبل الميلاد. أما قرطاج فتأتي بعد عدة قرون لاحقة. وكان هذا الغزو لا يحمل نفس صفات الغزوين السابقين: هو يقتصر على الساحل، لأن الفينيقيين، كانوا تجاراً أساساً، وحاولوا استغلال البلاد أكثر من التغلغل فيها. كما لم يتوغل القرطاجيون في الجذور العميقة لأفريقيا وكانت قوتهم غير مستقرة كما كانت وهمية مثل وجود بيت التجارة. ومع ذلك، وحسب سيلاكس، فقد احتلوا كل المناصب البحرية من أعمدة هرقل إلى مدينة سرت، ما يعني، من مضيق جبل طارق إلى خليج سيلوا. ويقتصر على هذه النقطة القيروانيون، من مستعمرة إسبارطية ممن استقروا في البلاد، والذي يدعى لدى العرب اليوم الجبل الأخضر، ولكنه معروف أكثر أوروبا كما باسم بيتابوليس برقة (سبرينايلك). وهكذا كانت جميع سواحل شمال أفريقيا قد احتلت من قبل الأجانب، إغريق القيروان، اللطفاة وأصدقاء الفنون، قاموا بتقديم حصتهم في مجموعة معارف (معلومات) هؤلاء الناس.

هناك من بينهم الفلاسفة، والشعراء والفنانون، لم يترك تجار قرطاج للأجيال القادمة الا ذكرى جشعهم وسوء النية التي أصبح المثل يضرب بها.

وجود الإغريق والقيثقيين في ساحل أفريقيا، نتج عليه خرافات أطلس وحديقة "إسبيريد"، والتي ربما كانت تحتوي دون شك معنى خفي، مثل جميع القصص الخيالية من هذا القبيل، وخاصة القصص القديمة من فتوحات هرقل في شمال أفريقيا. الرمزية البارعة، التي ترسمها لنا قوانين الصراع والمجبة.

نحن لا نعرف الاسم الذي كان يستخدم من قبل القرطاجيين للدلالة على سكان أفريقيا. ولكنها تختلف قليلا عن المور، إذا يتعلق الأمر، كما يعتقد شني، بالكلمة العبرية "مهورين" أو الغربية، وقال سيلاكس بأن هؤلاء الناس كانوا يسمون "ماروزيان" من طرف الإغريق، والمور من قبل الرومان. هذا الاسم الأخير كان سائدا. كانوا يسمون أيضا النوميديين، وهو اسم مشتق بالطبع من عاداتهم البدوية. وهذا ما قاله سولين، على حد قوله. وبالتالي لن يكون هناك تمييز حقيقي بين المور والنوميديين. عندما استقر الرومان في أفريقيا، أطلقوا اسم نوميديا على واحدة من المحافظات الموجودة فيها، ولكن لا نستنتج من هذا أن الناس الذين يعيشون هناك كانوا مختلفين عن المور الآخرين، ليس ما نحتاجه لايجاد الفرق بين بواتيين (سكان بواتو) والفانديين. هذا التسمية الأخيرة، الشهيرة الآن، لم تكن الا نتيجة تقسيم إداري جديد لفرنسا.

تم تقسيم المور أو النوميديين الى أراضي صغيرة مستقلة والمعادية في كثير

من الأحيان، قادتهم، الذين دعاهم الرومان الملوك، كلت لديهم سلطة وحيدة ومحدودة للغاية، وهم يكيدون باستمرار للقرطاجيين ثم الرومان، للحصول على وسيلة لتدمير بعضهما البعض. هذا ما تقوم به القبائل العربية مع الفرنسيين، لكنهم لا يعرفون استغلال ذلك. الرومان، الأكثر مهارة، استخدموا النوميديين ضد القرطاجيين أولا، ثم جعلهم يتحاربون ضد بعضها البعض. في وقت الحرب البونيقية الثانية، كان أكثر القادة النوميديين قوة هما سيفاكس (صيفاقس) وماسينيسا. بعد تغيير عدة أطراف، تم تحديد أن الأول من قرطاج، والثاني من روما. كان عاصمة سيفاكس هي سيقا (سيف)، التي يمكن فيها رؤية أطلال في خليج حارث غون في محافظة وهران. كان ماسينيسا يحكم سيرتا، وهي قسنطينة الآن. استسلمت قرطاج وسيفاكس. ترك السل المهيمن في قرطاج ظلا للوجود السياسي، ولكن سيفاكس توفي، وأضيفت دوله لتلك الخاصة بماسينيسا، والتي زادت على حساب القرطاجيين. روما، التي تركتهم أحياء، ومع ذلك، تريد الاحتفاظ بها في الاختيار، وخلقت في أبوابهم قوة هائلة كانت السبب في وجوده.

بعد الحرب البونيقية الثالثة، التي أدت إلى التدمير الكامل لقرطاج، استقر الرومان أنفسهم في أفريقيا، وتم تأسيس المحافظة الأفريقية المعمول بها. ولذلك كان من السهل التنبؤ بالقتال الذي سيجمع ما بينهم وبين مملكة نوميديا، التي لم يعودوا بحاجة اليها. هذا ما حدث في عهد يوغرطة، الخليفة الثاني لماسينيسا. هذا الأمير بعدما دافع بشجاعة، وبالمهارة والمثابرة جدير

بالحصول على مصر الفيل، سحق من طرف العملاق الروماني، ومملكته
في المقاطعة الرومانية حيث أعطى الجزء الغربي، ليوكوس وهو ملك آخر
للشور. الذي كان قد خدم الرومان في حريم ضد يوغرطة.

لم يكن تاريخ عظماء يوكوس واضحا. نحن لم نسلط الضوء كثيرا على حدود
وامتداد مملكته، ولكننا نعرف أن جوبا (جوبا)، الذي كان يملكها، كان إلى جانب
رومي في الحرب الأهلية التي مزقت روما، ومات في هذه الحرب، وأخذ ابنه إلى
روما من قبل فيصر، متصرفه المحفوظ. هذا الأمير الشاب، الذي كان يسمى
أيضا جوبا، ميز نفسه في وقت لاحق بعلمه ونضج عقله. راق لاوغسطس
وأعاد له مملكة والده. أسس إقامته في الجول والتي كانت تسمى الإقامة
الفيصرية، وذلك تقديرا لولي نعمته. شغل نفسه طوال فترة حكمه بالاهتمام
ورعاية التجميل، ولتأش مدينة رائعة. وهي تعرف الآن بشرشال، على الرغم من
تراجع مكانته السابق.

وكان لاوغسطس حرص على راحته، وترك القليل من الاهتمامات لجوبا
غير البناء، والمشاركة التسلية غير المؤدية في الأدب، لأنه كان قد تكدر مملكته
من المستعمرات الرومانية المستقلة. والرئيسية كانت روستونيوم، التي نرى
أطلالها (أثارها) في الجزائر الآن. سالوي والعروقة حاليا بيوجي (بجاية)،
والتيجيري المعروفة الآن باسم جييجري (جييجل)، بورتوس ماغنوس المعروفة
الآن اسم المرسى الكبير (الذي يجعل نفس الاسم في اللغة العربية) كارتينا التي
تسمى الآن تنس، ولرستاريا التي تعرف الآن بأرزيو وبانيزا أو فالنسيا، جوليا

لرستاريا (بلي) بابا أو جوليا كومباستريس. هذه الثلاثة الأخيرة، كانت إلى حد
بعض في نهاية الجانب الموريتاني من المحيط، بالقرب من البليطيق.
بعد وفاة جوبا، اعتل بطليموس العرش، حيث ظهر للمحطة واحدة. فقد
عثر ال روما لتكريم الامبراطور الذي كان كاليجولا، هذا المجنون الهائج،
العبور من الترف المتشرف هناك، تعرض للقتل. كان هذه نهاية المملكة
الموريتانية التي جعلها كلود خليفة، كاليجولا، بعد فترة وجيزة. على شكل
محافظين رومانيين، وطانجيتان، التي كانت طنجة عاصمتها، والقيصرية التي
كانت عاصمتها قيسارية.

مدد كلود وخلفائه نظام المستعمرات، وأثبت لقرون عدة حيازة حرة للبلاد.
ونحن نعلم أن هذه المستعمرات كانت تتكون من الدول الصغيرة مثل روما،
التي كانت بعد ذلك، بدلا للقناصل، واثنين من القضاة الذين حملوا تسمية
أكثر تواضعا "ديسومفير" ولمجلس الشيوخ مجلس البلدية. منذ اللحظة التي
تأسست فيها المدينة في المستعمرة الرومانية أو البلدية، تمتع سكانها بحقوق
المواطنين الرومان، بغض النظر عن المنشأ. وغالبا ما كانت هذه المستعمرات
العسكرية جميعها تتكون من قدامى المحاربين، الذين وضعوا في هذه المناطق أين
كان استخدام القوة من المرجح أن يكون ضروريا. لقد كررنا كثيرا، في الأونة
الآخيرة، بأن الرومان لم يكونوا قادرين أبدا على قهر سكان الجبال، و"القبائل"
الرهية، التي تبدو في الوقت الحاضر أنها لا تقهر في الواقع، وإنما هي واحد من
تلك التأكيدات التي اصطدمت بالحقيقة أو الجهل، ولا يمكن دعم هذا الاختيار.
هناك أنقاض للمعالم الأثرية الرومانية في الوديان النائية في الأطلس، يرى المرء في

قبيلة بني عباس من "القبائل" مثالا عن القبائل المستقلة اليوم، وأخيرا، الوجود لا متنازع ولا جدال لمدن سافا وسيثيفي (سطيف) جنوب بوجي (بجاية)، لا يظهر أنه لا يوجد مكان لا يمكن الوصول إليه، عند اتباع السياسة الحكيمة والتأثير الأمر الذي يمكن أن يضل بعض الناس غير المدركين جيدا للدراسة التاريخ هو عمر بروكوب، حيث يقال أن الرومان يمكنهم أن يذهبوا عن طريق البحر إلى قيسرية، وذلك لأن الطرق الأرضية تم اعتراضها باستمرار من قبل قبائل الجبال القريبة من المدينة. لكن بروكوبيوس (بروكوب) الذي يعني لدى الرومان يونان الإمبراطورية السفلى، قد استعادت أفريقيا من الوندال. في ذلك الوقت، كان ما يقرب جميع المستعمرات السابقة قد توقفت عن الوجود، والجيليون زادوا من حطام المخربين.

لجانب ذلك، كان الرومان الحقيقيون من وقت إلى آخر جاهزون لقمع بعض الثورات، وكانت واحدة من أفظع أثار ذلك في السنة الأولى من انضمام مورتانيا إلى الإمبراطورية، ادمون، المحررة من طرف المسكين بطليموس الذي مات على يد كاليغولا.

رأي آخر، لا يقل سخريه وتناقضا من ذلك الذي تناقشه حوله، هو أن الرومان لو يأخذوا من نوميديا إلا البهائم. كانت مدعومة من على هذا المقطع بليني: بعد وصف قصير لنوميديا، يقول الكاتب:

"Tusca fluvius Numidioe finis; nec proeter marmoris numidici et ferarum proventum nihil aliud insigne"

وهذا هو القول يعني أن نهر "توسكا" هي من حدود نوميديا، وليس هناك

شيء آخر ملحوظ (يمكن قوله) إذا لم يكن هو وفرة الرخام والحيوانات البرية. هذا لا يثبت أبدا أن اقليم ليس من المرجح أن ينتج أي شيء. إلى جانب ذلك، سيكون قصد المؤلف، بأنه لا يسمح لنا بإبرام شيء سيء ضد وصاية الجزائر (منطقة الجزائر)، أولا، لأن البعض من أراضيها مدرجة في النوميديا، وثانيا، لأن السلطة من بليني، وهي محترمة كما هي، لا يمكن أن تقوي الحقائق التي ثبت أننا نسعى للفوز بخصوصية بلد الجزائر.

تحت القسطنطينية، الفترة الأخيرة من عظمة الرومان، تم تقسيم أفريقيا إلى تسع محافظات، وهي: مورتانيا، طانجيتان، التي تمتد من المحيط إلى نهر مالقا، "مالاوة" حاليا، والذي يصب في منطقة البحر الأبيض المتوسط، على بعد أميال قليلة غرب توت؛ القيسرية مورتانيا على الشرق مالقا، ومورتانيا شقية شرق المنطقة السابقة، وتتفصل عن نوميديا بنهر أمساغا، الذي يعرف حاليا بالواد الكبير، الذي يصب في البحر بين كولو وجيجري (جيجل)؛ نوميديا التي تمتد من نهر أمساغا حتى توسكا، والمعروف الآن بالزوين، الذي يفصل بين (ريجنس) مجلس وصاية أو منطقة الجزائر وتونس. زوجيتانيا أو أفريقيا باسمها الصحيح تمتد من نهر توسكا وتمتد إلى ضواحي أدرومات. مقاطعة بيزاسيوم، المتواجدة على شرق زوجيتانيا بين هذه الأخيرة سوفانتانا ومقاطعة طرابلس، التي تحدّها من الشرق سيرتا الكبيرة، لتأتي برقة، ثم في الأخير مصر. وكانت عواصم تلك المحافظات الثلاث هي مورتانيا، طنجة، وقيسارية وسيثيفي، بالنسبة لنوميديا، سيرتا بالنسبة إلى قوجيتانيا، قرطاج التي استعادها

القيصر بأفراجها ضمن المستعمرة بالنسبة إلى بيزانسيوم أندرومتر، بالنسبة إلى سايفانتا ليد (البس) بالنسبة إلى برقة، القيروان، وفي الأخير بالنسبة لمصر الإسكندرية.

ونحن نعلم أنه بعد قسطنطينية، كانت الإمبراطورية تقريباً مقسمة دائماً إلى الإمبراطورية الشرقية، التي كانت في مقرها القسطنطينية، والإمبراطورية الغربية، بما في ذلك روما التي واصلت كونها العاصمة. جاء هذا التمزق (الانقسام) ليستم بعد وفاة ثيودوسيوس. كان ابنه (ولديه) هونوريوس وأركنديوس يحكمان أحدهما في الغرب والآخر في الشرق، وهذين الانقسامين العظيمين للإمبراطورية لم يعد يجمع بينهما أبداً. مصر وبرقة أصبحتا جزءاً من الإمبراطورية الشرقية. جميع المحافظات الأخرى في أفريقيا استمرت بالانتماء إلى روما. ولكن قبل هذه الثورة، التي كانت سياسية أكثر من كونها إدارية قد أدت إلى ثورة أخلاقية، مثير للإعجاب من حيث المبدأ، وكانت نتائجها رائعة. أعني انتشار المسيحية، على ضوء نقي ومتوهج، والتي وضع الرجال على طريق التحرر الكامل. وقد شاركت أفريقيا مثل بقية الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية، لتغير الاعتقاد التي ساد في ذلك الوقت، وأصبحت كتبها شهيرة بسبب الرجال العظماء الذين تمخضت عنهم. سأذكر من بينهم ترتليان فرطاج، لاكتونس الذي يدعى شيشرون المسيحي، وسانت قبرصي أسقف فرطاج، وفي الأخير القديس اللامع أوغسطينوس، الرجل الأكثر علماً من وقته. كان هناك أكثر من 160 من الأساقفة (أسقف) في الموريتانيات الثلاثة فقط.

ومع ذلك، انحلت الإمبراطورية الرومانية لتسقط بعد ذلك. تحلت الشعوب

التيالية من جودها، وهرعوا مثل السيل على جنوب أوروبا. تم غزو كل من بلاد الغال (فرنسا) إسبانيا وإيطاليا، ولم تمر فترة طويلة بعد ذلك على غزو بريطانيا كذلك. وصل الوندال من الدول الاسكندنافية إلى البلطيق في وثنين أو ثلاث وثبات، أين تخلدوا إلى الراحة من تعبهم، طامعين في هذا البلد الغني. لمسة الدخول تبدو قريبة. بوفاة هونوريوس، جرد الإكليل الإمبراطوري من لعنة القديم، ليكسو جين فالونتينيان الثالث (III)، الطفل الضعيف، الذي وضع تحت وصاية والدته بلاسيديا. هذه المرأة افتقرت بعض المظالم ضد جونيئاس، محافظ أفريقيا، والتي لم تجد وسيلة أخرى للانتقام منها إلا أن يدعو الوندال إلى محافظته. وكان هذا الأخير، بقيادة ملكهم جونسيريك، وفي غضون عشر سنوات كانت من المقهورين تماماً. هلك معظم المستعمرات الرومانية في هذا الصراع. جونسيريك الذي استقر في قرطاج كمقر لقوته، بحيث كانت المدينة لا تزال عاصمة لدولة مستقلة.

استمرت هيمنة الوندال في أفريقيا 96 عاماً، منذ 438 سنة في العصر المسيحي (ميلادي) حتى عام 534. هذه الفترة القصيرة كانت كافية لإزالة ما يقارب كل الحضارة الرومانية من هذا البلد الجميل. ولكن كان في ضغط برابرة (البربر) الشمال على العالم الروماني خطأ في المتابعة والحساب، والذي يعيد من إلى آخر التمييز لهذا الأخير، هذا وكان رد فعل ملحوظ بشكل خاص له عهد جومستيان. انتزع هذا الإمبراطور إيطاليا من القوط الشرقيين، وأفريقيا من الوندال. وقد قام بهذه الفتوحات بيدي الشهير ويلييساريوس، والذي قام في عام 434 بتخليع جيميلبي، آخر ملوك الوندال، ووضع أفريقيا وفقاً لقوانين

أباطرة القسطنطينية، ثم بدأت أفريقيا تعيش العصر اليوناني الروماني، والذي يمتد حتى غزو العرب.

لم ترسخ قوة الأباطرة في الشرق جيدا في أفريقيا. لم يكن هناك وجود للمستعمرات الرومانية تقريبا لتقديم الدعم لها. استأنفت القبائل المغاربية (قبائل المور) عاداتها في الاستقلال، والسحب الوندال إلى الجبال، حيث، اتخذوا مع الأهلي، وتحذوا جهود الحكام اليونانيين في قرطاج، وأنتج ذلك "القبائل" الحديثة بسبب التحالف مع القدماء. كان سليمان خليفة بيليساريوس، وقد فاز بعدد من المزايا أكثر عليهم، ولكن لم يستطع إخضاعهم. هؤلاء الجبليون الشجعان احتفظوا حتى اليوم بحريتهم واستقلالهم. ربما هذا هو ما قيل لبعض الناس، وقد سبق لنا أن قدمنا ملاحظة حول الموضوع، أن الرومان لم يكن لهم أي نشاط على "القبائل"، لم يكن هذا صحيحا إلا في الفترة اليونانية الرومانية أي بالكاد منذ أكثر من قرن.

كانت مثل هذه الحالة أفريقيا عندما تعرضت للغزو في القرن السابع الميلادي من قبل العرب المسلمين (الفتوحات الإسلامية) كما سنرى في المقالة التالية.

استقرار العرب في أفريقيا.

بين البحر الأحمر والخليج الفارسي تمتد قارة واسعة، والصحاري الرملية هي الوحدة التي تفصل أجزاء أخرى عن آسيا. إنها السعودية (العربية)، الهند المشترك لكل هذه القبائل الحربية التي مددت فتوحاتها من الهند إلى المحيط الأطلسي؛ كانت مترفقة عن حضارة الشعوب القديمة، لم تتخذ هذه المنطقة أي جزء في مسيرة العقل البشري. الترف والثراء لدى الآشوريين والفرس لم يبهز سكانها، الذين يرفض العقل لديهم القوة، ولكن كانت كالدمر الاجتماعي المنخفض للمصريين، أقرب جيرانهم. عندما قربت فتوحات الإسكندر الحضارة اليونانية إلى السعودية، بدا وكأن السعودية كانت تتجنب الاتصال معها. وفي الأخير، كانت أضواء وأسلحة روما عاجزة أيضا على مواجهتها.

كان العرب راضون بهذا الوجود البطريركي الحر والمتنوع، وهذا ما كان المرحلة الأولى للمجتمع البشري، ولكن يبدو أن العرب كانوا خاضعين من التمن الذي يجب دفعه لشراء حضارة أكثر تقدما. كان علينا القول أنهم لا كانوا في ميزان ذكائهم الرائع مزايا وعيوب تغيير الدولة وقد قرروا البقاء.

في حياة البساطة البدائية، واكتفى ذلك بالحساب والاحتساب لما ينتظرهم أكثر من القطرة. على الرغم من التردد في أول وهلة، في قبول العديد من ملايين الرجال الذين تحلو عقولهم من المعارف المكتسبة، إلا أنهم تمكنوا عن طريق المطق، من الاتفاق على نقطة حساسة، وهي فرضية مقبولة جداً نقر كيف أن هذه المجموعة من الأفكار هيمنت بين العرب، وهو ما جعلنا نعتبرهم واحد من نسل جميع الأسر التي أرادت أن تهرب من نير الحكم الملكي، عندما بدأت أجزاء مختلفة من آسيا تخرج من الفترة البطورية للدخول في عصر الحضارة. نفهم الآن كيف أن العرب تعلموا من تقاليد اليوت، واضطروا إلى التخلص من الحضارة التي تقدمها الطريق الحسية المستخلصة من دروس آبائهم على شكل حالة يسيطر عليها الطغيان. هذا الاقتراض لم يكن بدون سبب، فتاريخ العرب يجعل والدهم المشترك إبراهيم، والذي غادر بلاد ما بين النهرين في الوقت تشكيل الإمبراطورية الآشورية الأولى، وبعد أن عاش لبعض الوقت في مصر، جاء في الأخير ليستقر في بلد حيث يمكن أن تبقى عادات الاستقلال الخاصة بالمجتمع البشري الأول. ولذلك يمكن أن نعتبر العرب القدماء كحافظين للحضارة الآشورية، التي استوعبت حصة مفرطة من الحرية بدائية لكي لا تواجه المتوردين.

مهما كانت الكراهية التي يجعلها العرب لأي تنظيم اجتماعي، غير التي ورثوها عن أسلافهم، لم يكونوا يبالون تماماً في فوائد العلم ولا سحر الفنون

المسيلة. الإمبراطورية سريعة الزوال من تدمر، والتي اقترنت من أبوابهم (أي العرب) للتوصل إلى تنمية فكرية عالية نسبياً في القرن الثالث من مصر، دون أن تكون مهددة كثيراً لاستقلالها، جعلهم يبادرون في بعض فروع العلوم، بتقديم دفع أكثر انتظاماً في أدواقهم الفطرية للبلاغة والشعر. حياتهم المتحمس للحياة كان يشغلهم بعض الشيء عن التأمل، في هذه الأحلام الباطنية، حيث يتفصل الرجل عن الوجود المادي، ويتحول بفرحة ومضحك في مسارات عالم الأفكار. ولكن في هذه الرحلات التجوالية فيها شيء لم تكن بقيادة أضواء من الفلسفة العالية، ولا من قبل الوحي القيد، وظنوا آثار وحدة الله، وانخفض تدريجياً في الأخطاء الوثنية وفي عبادة النجوم.

كما كان وضعهم عندما ظهر محمد بن عبد الله (صل الله عليه وسلم) بينهم. اعتقدوا أنهم وهبوا بعقيدة واسعة وعميقة هائلة القوة إن صح التعبير، ويطظاهروا بالايان بالعناية الإلهية لجلب مواطنهم إلى وحدة الإيمان وقانون البطيريك الأوائل. بعد ترك هذه المشاريع لتصبح طويلة في مسست التراجع، التقى في يوم من الأيام مع أصدقائه، وقال لهم عن مهمته الإلهية، وقدم الآيات الأولى⁽¹⁾ من القرآن الكريم. بالتأكيد، إذا كان أحد يتذكر كيف أن عدد قليل فقط من الرجال الذين كانوا يستطيعون تغيير وجه العالم من خلال نشر مبدأ الأخلاقية، عن طريق نشر بعض الحقيقة العظيمة

(1) الأولى في ترتيب نزولها، لأن التوفيق الملقى للقرآن الكريم يظهر في الفصل 96.

والسامية. وإذا كنت تنظر كم نحتاج من عبقرى لفتح مسار جديد للإنسانية، لأنه المثارة هي التي تحرك، والتغالي من أجل فتح السبل، فمن الصعب ألا تنظر إلى هذه النخبة من الرجال، من النبلاء ذوي الإبداعات التي تعمل تحت تأثير الإلهام الإلهي الذي يرفعهم فوق الجميع، مثلما هو الحال أمام إنكار أن محمد (صل الله عليه وسلم) النبي الذي تكفل بالإعلان عن مهمته (رسالته)، هذا الرجل العظيم، على الرغم من اتهامه بالطموح الشخصي، لو يكن أبدا يرغب في السلطة المؤقتة. لم يكن يحاول التأثير على أصحابه ورفقائه للتنويرهم عن طريق الإقناع والمثال بفضائله. ولكن سرعان ما واجه الاضطهاد من أولئك الذين لم مصلحة في الحفاظ على المعتقدات القديمة، فوجد نفسه في حاجة لأن يهلك العقيدة الوليدة أو يدافع عن عقيدته باستعمال الأسلحة. في بلد أكثر تقدما من السعودية، يمكن لمذهب فلسفي أو ديني التغلب على القوة المادية بتأثيره الأخلاقي فقط، ولكن لم يكن الشيء نفسه في أرض محمد (صل الله عليه وسلم). وسرعان ما توقف الأيمان بنبي أنه لا يمكن أن يدافع بالأسلحة عن أتباعه الذين هوجوا بالأسلحة. صد محمد (صل الله عليه وسلم) القوة بالقوة، وأسس إمبراطورية ودينا (عقيدة) في نفس الوقت، وأصبح أميرا ورجل دولة، ورأينا أنه قام باستخدام الدين لأكثر من مرة لإنقاذ سياسته. القرآن الكريم، الذي كان في الأول يعلن فقط عن الحقائق الأخلاقية، انحنى لمطالب الوقت (اللحظة)، والاحتياجات اليومية للإمبراطورية الصاعدة، وأثار المشاعر في كثير من الأحيان بأن الأمير يريد أن يستعمله (بدرجه في لعبته أو حكمه)، ولكن

النبي قد سعى إلى التخفيف من ذلك. ومن هنا جاءت العديد من التناقضات التي وجدت في هذا الكتاب، ومع ذلك، يمكننا استخلاص درس كامل من نفس الأخلاق، التشريع المدني الذي سيكون من المرغوب فيه لجعل جميع الناس الحكماء يصل إلى التسوية والرضى بما يكفي، وحتى بعض الأفكار الاقتصادية السياسية على أعلى مستوى.

كان محمد صلى الله عليه وسلم يحكم العرب بصفته الوحيدة كنبى والنبي معه فوق رتبة الملك. لم يحمل خلقاته لقب الا لقب الخليفة أو المساعدين، للإشارة إلى أنهم كانوا أتباعا فقط في هذه السلطة العليا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم، من السماوات العليا، استمر في كونه الحاكم الحقيقي للمؤمنين. وخلال سنوات قليلة كان العرب متحدين أخيرا كأمة، وقد فتحوا مصر وجزءا كبيرا من آسيا الغربية. كانوا يظهرون انسانيتهم وكرمهم في كل مكان أمام الهزومين، وخصوصا الديانات المراقبة لكلامهم. لقد بشروا بإيمانهم بحاس، وفتحوا ميزات تعود على أولئك الذين اعتنقوا هذا الدين، ولكنهم لم يضطهدوا أحدا. جميع الذين يعتنق هذا الدين تحت أعلام من الإسلامية أصبح مثل تلك اللحظة، عضوا من أعضاء هذه الأمة العظيمة، ولم يكن هناك أي تمييز بينهم وبين العرب القدماء. أولئك الذين فصلوا البقاء في أطرافهم الأول، كان عليهم الدفع لاحتياجات الدولة. الجزية تساوي خمس الدخل، للحفاظ على قوانينها وممارسة دينهم بحرية، لا يدفع المسلمون إلا عشر المنصوص عليه في القرآن الكريم.

تحت حكم عمر (كرم الله وجهه) خليفة محمد (صلى الله عليه وسلم) الثاني من العامري، والذي ندعوه "عمرو"، كان واحدا من جنرالاته، وقام بفتح مصر، لينتقل في الأخير شمال أفريقيا من قبل الأباطرة في الشرق. كان هذا الفتح قد انتهى، وأرسل العامري إلى برقة فيلقا من الجيش، بقيادة عقبة التي قدم إلى الخليفة ذلك البلد الغني. حدث هذا سنة 640 من العصر المسيحي (ميلادي).

وخلفه في قيادته عقبة، وكانت القيادة لعبد الله، الذي وسع غزواته إلى محيط قرطاج، وانقض على آثارو بقايا المدينة الرومانية لغرض تأسيس القيروان، ولاحتواء "القبائل". الاضطرابات التي أعقبت وفاة الخليفة عثمان (بن عفان)، أخرجت قبيلا من تقدم الغزو (الفتح) أفريقيا من طرف العرب. تمت استعادة السلام عن طريق نقل الخلافة إلى معاوية Moavia من طرف حسن ابن علي، وتم إرسال بعض التعزيزات إلى عبد الله، واكتملت بذلك مدينة القيروان. الحروب الأهلية قد بدأت من جديد، وقد أهملت أفريقيا. في الأخير، تحت حكم الخليفة عبد الملك شهدت الفتوحات انتعاشا، وأخذت قرطاج من يائس جان، الذي وضعه الامبراطور ليونيس حاكما لها، ومع وفاة عبد الملك، اتخذ المور بعض الميزات على العرب. ولكن الخليفة الجديد، وليد ابن عبد الملك، أرسل موسى بن نزيير إلى أفريقيا، الذي قام بالفتح النهائي. هذا الرجل، كما سياسيا ذكرنا أكثر من كونه محاربا لا يعرف الخوف، خصص كل اهتمامه لجعل المهزوم بعد النصر، ينسى قتل الغزيلة، ويذكرون المور بأصل المشترك مع العرب، ونجحت في سنوات قليلة في وضعهم تحت راية الإسلام.

كان معظم هؤلاء المور من المسيحيين، كما هو الحال بالنسبة إلى أحفاد الشعيرات الرومانية والاطالية، التي أنشأها الأباطرة في موريتانيا، ولكن منذ هرو الوندال، وكانت "الآرية" (أو الأريون) قد أحرزت تقدما كبيرا فيما بينها. هذه الطائفة التي نعرفها. لاهوتية يسوع المسيح (عيسى عليه السلام)، والذي لم يكن يرى فيه إلا نبيا، اقتربت كثيرا من الدين الاسلامي (دين محمد) الذي لمحدث بشكل صحيح، كنتيجة طبيعية للمسيحية، وذلك لأن محمد لم يخل أنه سيأتي للتدمير، ولكن لتكملة عمل المسيح. جعل هذا الاندماج سهلا من مهمة موسى، بحيث أن هذا الرجل العظيم، بعد انتصاره ماديا على المور، أحرز انتصارا عليهم بالأخلاق المجيدة وهي الأهم بالنسبة له، والأكثر تقعا للعرب، وذلك بالعمل على الوضع في اعتقاد المهزوم تغييرا يضعف كراهيتهم للمسيحيين.

كان "القبائل" الأكثر صعوبة للإقناع. كثير منهم لا يزال في الظلام من الوثنية، ولكن موسى، مع مهارته المعتادة، عرف كيف يسير خرافاتهم وأحكامهم بسطة، وشريطة أن يوافقوا على الاعتراف بمحمد كشي هم، ينبغي الحفاظ على بعض آثار معتقداتهم القديمة، الأمر الذي أتاح فرصة لتنقية إيمانهم مع مرور الوقت، أيضا بوجود هدف سياسي أكثر من كونه دينيا. قام "القبائل" من جانبهم بأحسن الصفقات من دينهم أكثر من استقلالهم، مع الاعتراف بسيادة الخلفاء الذي استقر لدى العرب في هذا الموقف الحر الذي يعترف بحفاظ من الكثيرين بثبات مشير للاعجاب. لم يرد موسى فرض أشياء أخرى لعدم

الانحراط في أي من هذه الحروب الخاصة بالأنصار والذي يكون اثنا لصالح والى جانب المواطنين (الأهالي)، وهنا أيضا ترك الأمر للوقت، الذي قد يكون سببا في جلب الاندماج الكامل، لو كان كل خلفاء هذا الرجل الذكي يحتدون باعتداله وحكمته. لم يكن يخشى شيئا من "القبائل"، الذين كانوا على استعداد لتترك جيرانهم في سلام، شريطة أن لا يأتوا لازعاجهم، ورأى فيهم مستيرين (محكومين) أكثر من كونهم حلفاء يمكن الاستفادة منهم، وهذا في الواقع ما كان في غزو إسبانيا.

ونحن لن ندخل في تفاصيل هذا الغزو، التي خلال حكم موسى، تشكل الحلقة الأكثر تألفا في تاريخ العرب. هؤلاء الناس كانوا يتميزون حقا بالسباحة، إلى جانب الكرم والشجاعة، ودراباتهم بالعلوم العسكرية والمهارة السياسية. في أقل من ثلاث سنوات فقط تم الاستيلاء على شبه الجزيرة، ما عدا الجبال أستوري، حيث يجمع بيلاج حطام إمبراطورية القوط (القوتية)، وأين يجب اللعاب بعيدا إلى حيث رد فعل إسبانيا المسيحية ضد إسبانيا المسلمة. في كل مكان الحصول حصل السحيون على تنازلات (امتيازات) أكثر فائدة، وخلال 800 سنة من احتلال العرب لإسبانيا، ليس هناك مثال واحد على أنهم قام بانتهاك (اختصاص) هذا البلد.

بدأ تاريخ مساعد موسى، الفتح الذي استمر فيه هذا الأخير. وكان هذا أول أول من فاز معركة خيريز الشهيرة، حيث قتل رودريغ، القوطي الذي كان آخر ملك لإسبانيا. سليمان الخليفة، الذي حكم بعد ذلك، دفع هذين الفائزين الماعزين بجحود قائم (نكران للجميل).

بعدهم إلى دمشق، بحجة محاكمة أحد الفقراء الذي نشأت خلافات بينها، وأرسلهم إلى المنفى بعد منعهم من العلاج المستحق، وقام حتى بقتل عبد العزيز، ابن موسى من قبل مبعوثين له، الذي تركه والده في إسبانيا ودُفِنَ بالقبيلة في حالة غيابه.

سيكون من غير الضروري وضع قائمة غير دقيقة تحت أعين القارئ لتحمل خلفاء موسى بن نزير الأمر في أفريقيا، والتي كانت فيها إسبانيا لفترة طويلة مجرد فرع. هؤلاء الحكام استقروا بالقيروان. الأرض واسعة وجيلة مقسمة إلى محافظات، وكل منها يرأسها والي، الذي كان القائد المدني والعسكري. تم تقسيم كل محافظة إلى "قيادات"، يحمل قاداتها اسم فايد كما هو الحال اليوم. كانت العدالة المدنية والجنائية من صلاحيات القضاة، والتي تضمن فيها الموقف المستقل لحقوق الفردية. كان لقبائل العرب، المور، أو "القبائل" شيوخا من اختيارهم، ومنابر حقيقية مستعدة دائما لمعارضة تعديلات السلطة المركزية. كل هذا كان يشكل المجموعة الإدارية والتي كان شكلها أكثر استبدادا من خلفياتها (عمقها)، وعلى عكس ما كان في الحكومة الإقطاعية التي تأسست في أوروبا خلال هذه الفترة، فقد كانت معاناة هذا الشعب قليلة بالمقارنة.

استمرت الإمبراطورية العظمى للخلفاء في استقامتها، حتى سقوط العائلة الأموية. أظهر العباسيون، الذين خلفوهم، عدم الرحمة اتجاه الأسرة المالكة التي سقطت. وقد ذبح تقريبا جميع أفراد هذه العائلة اللامعة والمسكنة.

وكان واحد منهم، يدعى عبد الرحمن، وهو طفل صغير مثير للاهتمام بجماله وبنعمة شبابه، وقد كان ضحية لغضب أعدائه، وقد أخذ إلى أفريقيا، عن طريق خادم وفي، وسلم لقبيلة قوية تدعى قبيلة زينات. تبناه هؤلاء الرجال الشجعان وأحاطوه بأكبر قدر من الحيلة والرعاية، مع إخفاء أصله اللامع. كان هذا الشاب الأموي يتميز بأكثر الصفات روعة، بنجاحه في مجال العلم والأدب، وقوته الجسدية. وما يلاحظ فيه خاصة هو نضجه في الحكم وقوة العقل المتفوقة على عمره.

وفي نفس الفترة تقريبا كان العرب في إسبانيا فريسة للفوضى التي لا يرضى لها. بعد الوفاة المأساوية لعبد العزيز بن موسى، الذي تحدثنا عنه سابقا، تعاقب (تتالي) حكام المقاطعة الواحد تلو الآخر بسرعة لا تصدق. فقد كان الخلفاء، الذين كانوا يخشون طموحهم، يغيرونهم في كل لحظة، ولا يعطيهم الوقت الكافي للتعرف على حكومتهم. فمن السهل أن نتصور مساوئ هذا الحذر المبالغ فيه. وقد كانت حملة (رحلة) العرب الشهيرة إلى فرنسا خلال فترة حكم أحد هؤلاء الحكام الزائلين. الجميع يعرف هذه الواقعة (الحدث)، وانتصار شارل مارتل. بعد سقوط الأمويين، وعدم ثبات الإدارة التي تغير معظم الخلفاء، فأصبحت سلطتهم غير معروفة عموما في إسبانيا، ولكن طموح القادة العسكريين الذين قاتلوا باليد المسلحة وظائف الحاكم، لم يكونوا أقوىاء بما فيه الكفاية للحفاظ على هذا المنصب الخطير.

جاءت كل المساوئ لتطغى على اسبانيا المسلمة: جعلت الحرب الأهلية العرب والمسلمين قفقارا، والزراعة كانت تعاني والتجارة دمرت، والناس الذين ماتوا من الجوع، انتقلوا إلى ممارسة عادات اللصوصية. أصبح سيحور استورياس أقوى كل يوم، ومن بالداخل تلك بدأوا بالانفعال. وفي الأخير، يبدو أن القوة العربية أصبحت على وشك الانهيار. لكن على الرغم من هذا العدد الكبير من الأسباب للانحلال، كان هناك في الأمة قوا حيوية. كان عليها تحقيق انتصار هؤلاء المسافرين المخرجين. جميع القبائل الرئيسية، وجميع العلماء ورجال القانون التقوا في قرطبة، ويجب التفرير في هذه الجمعية الأغسطسية، التخلص في المشهد السياسي من كل من كان يظهر فيها، واستثمار السلطة العليا لرجل غريب تماما عن النزاعات المؤسفة التي كانت على وشك خسارة الدولة. تمت الموافقة على ذلك، وبدأ الشيخ بالحديث، وعرض الشاب الذي ربه قبيلة زينات الذي يعرف أصله وصفاته الجليلة. ناشد قضيته ببلاغة مما أدى إلى الحصول على جميع الأصوات. ووفقا لذلك تم إرسال وفد سرا إلى أفريقيا لتقديم التاج الإسباني الرائع لهذا الشاب الأموي. هذا الأخير، وبعد استشارته لبعض الوقت، اتخذت المشورة من أولئك الذين ربوه في طفولته، وقال للنواب، أنه كان فخورا بهذا الاختيار الذي وقع عليه، وأنه لديه القوة لتحمل عبء الملكية، وأنه سيحكم بموجب القانون. ولكنه وافق على التاج، بهدف أن يطاع حتى من قبل أولئك الذين وضعوه على جبينه، والذي قد يبدو صعبا

قليل بالنسبة إلى جبل تريم في ترخيص الحروب الأهلية. رد النواب أنه هذا جيد كما تهتم الأمة أيضا، بما أن ذلك يهدف لوضع حد لهذا الترخيص الذي وضع العملي عليه. الأمير الذي لم يوجد لديه أي اعتراض على ذلك، وأشاد وحيا اسم الخليفة وذهب مع النواب. قام الزينيات بتوديعه توديعا حارا، ولم يكن هذا الفراق دون خال من الدموع لفراقه أعز الأصدقاء. ليس هناك ما هو أكثر تأثيرا من الخطاب الذي وضعه المؤرخون العرب، في هذه المناسبة، في قم الموقف رئيس هذه القبيلة. وكان الخليفة الجديد، قد وصل إلى إسبانيا وأحيط به حشد من الناس، الخريصين على البقاء تحت قوانينه السارية. الطموحات التي وصل بها أخلطت بعض الحسابات، فيما يخص محاولات معارضة ترقية دون جدوى. لكنه انتصر عليهم، ونجح في وقت قصير في استعادة النظام في مملكته. وبهذا حصل على اللقب المجيد المنزور (المنصور). كان عبد الرحمن المنصور واحدا من الرجال العظماء الذين شرفوا الإنسانية. وقد حكم لتوفير الرخاء والعدالة في دوله، وعامل جميع رعاياه مع باللطف نفسه، بغض النظر عن الدين أو العرق. شهدت الزراعة والتجارة في حكمه توسعا مذهلا. كما تم نشر الفنون والعلوم بنجاح. وكان هو نفسه عالما من الدرجة الأولى، في تلك الفترة، وكاتباً مميّزا جدا، وأسس مقر إمبراطوريته بقرطبة، حيث بنى هناك للمسجد الجميل الذي لا يزال موجودا، وهذا ما ينال إعجاب المسافرين. بينما حكم عبد الرحمن بكل مجد في إسبانيا، اهتزت أفريقيا من عبودية الخلفاء في الشرق.

بمسلطو الأمويين، حمل "القبائل" السلاح، هزموا، بما لا يحلو من صعوبة، وبذلك على يد حنظلة، محافظ البلاد. اضطر هذا الأخير قريبا لكي لا يقوم بتسليم القوات العربية، لترك حكومته لعبد الرحمان ابن أبيب، واحدة من جنرالاته، الذين ثاروا ضده. كان هذا الكرم في غير محله، لأن عبد الرحمان أعلن نفسه مستقلا عن الخلفاء الراشدين في سنة 750، تم اغتياله، وبوفاة أبنائه قل الرؤساء أن تكون لهم دولة مستقلة. استغل الخليفة، المنصور جعفر من هذه القوضى. بعث إلى أفريقيا أحد جنرالاته، واسمه يوريد. حكم يوريد أفريقيا حتى وفاته. وقد خلفه ابنه داوود، الذي عين حاكما لمصر. ولكن في 809، أعلم محافظ أفريقيا، إبراهيم بن أجلب عن استقلاله مرة أخرى. كان إبراهيم رئيس السلالة التي سادت في القيروان حتى 972، واستولت على مالقة، صقلية وجنوب إيطاليا، حيث دمرت سلطته من طرف النورمان. وتراجعت سلطته في أفريقيا تحت ضربات رئيس الثمرديين، الملقب أبو محمد عبيدة، الذي قال إنه ينحدر من سلالة فاطمة، ابنة النبي صلى الله عليه وسلم، على الرغم من أن العديد من المؤرخين يجادلون ذلك ويقولون عنه أنه لم يكن سوى مغامر يهودي. أيا كان أصله، فقد كانت ثروته معجزة أخذ كل الحكومة السابقة في أفريقيا، وجعل مملكة فاس خاضعة لها. وقد تم التخلي عن أسس هذه المملكة في 787، من طرف إدريس بن عبد الله، أحد أحفاد علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم. وقد هرب إلى أميا للشهرب من اضطهاد العباسيين، واستقبل من طرف قبيلة مغربية

(أمور) المروية الذي بنى ابنها أمروس بن أمروس، مدينة فاس، بدأ خليفة
السابع، يحيى، يدفع جزيرة لعبد، ولكن سرعان ما غلغ من طرف أحد
القبائل الذي قال أنه لا يريد أن يعترف بأمر متدهور. ودعا أنصاره لمساعدته
عرب إسبانيا الذين كان يحكمهم عبد الرحمان III، وهو أحد أحفاد
وخلفاء منصور الكبير. أعاد خليفة قرطبة الأندلسيين، ولكن كخدم فقط.
ثم أخرج الأندلسيين عبد إسبانيا في 989، وأخذ ونفذ فيه حكم الإعدام من
قبل قوات المنصور، رئيس وزراء الخليفة هشام، الأمير الضعيف والعاجز،
الذي حكم المنصور باسمه. اجتمعت مملكة في إمبراطورية قرطبة.

ومع ذلك، أصبحت أسرة عبيدة أكثر قوة. في 972، انتقل المعز،
خليفة هذا السعيد الغاصب إلى مصر، حيث أسس مقر إمبراطوريته. كان
هو رئيس سلالة الخلفاء الفاطميين، والذي توفي في 1200 تحت ضربات
صلاح الدين الشهير. عندما غادر المعز إلى مصر التي كانت تعيش البربرية
(الفوضى)، ليحكم باسمه، لم يتوان يوسف بن زيري مناد، رئيس أسرة
زيريت، لإعلان نفسه مستقلة، وحكم في أفريقيا حتى 1148.

في إسبانيا في عهد هشام، أو بالأحرى في عهد وزيره المنصور، كان آخر
موسم للقوة وسلطة الخلافة في قرطبة. وبعد وفاته، التي كانت في السنوات
الأخيرة من القرن العاشر، تمزقت الدولة بفعل الحروب الأهلية، وأعلن جميع
الأولياء (جمع ولي) أنفسهم مستقلين. وبالتالي، ومن هنا أصل كل هذه الممالك
الصغيرة السبعة التي استقرت على أنقاض الخلافة. استغل ملك قشتالة

البحر السادس القسامات و التي سادت بين العرب لتحميد قوته، هؤلاء
التي بنوا من مقاومتها، توسلوا الإغاة من جوزول (يوسف) بن نشين
التي كان قد أسس الإمبراطورية المغربية، وهذا هو أصلها.
غودالة ولانتونة وهما قبيلتين من الصحراء، والثاني تنحدران من
قبيلة زانكرا. كانت هذه القبائل تعيش في الفقر والجهل، عندما قام رجل
من غودالة واسمه يحيى بن إبراهيم بالحج إلى مكة، وعاد مع الرغبة في
رؤية أقرانه يشاركون في حركة الحضارة العربية. وفي طريق العودة، خرج
بضعة أيام إلى القيروان، حيث تعرف على عالم يدعى أبو عمرام، وأراد
أرياني معه إلى الصحراء، لتعدين أبناء البرية. لم يوافق عمرام، ولا أي
من تلاميذه على القيام بهذه الرحلة، لكن عمرام أعطى ليحيى رسالة
توصية لعالم آخر من مدينة سوز (سوسة) وهو أبو إسحاق، الذي كان
المرتب إلى الصحراء، وربما قرر الذهاب. لم يرد إسحاق التعهد على نص
هذه المهمة الصعبة، ولكنه ذهب مع يحيى أحد أكثر تلاميذه شهرة،
واسمه عبد الله بن ياسيم. كان هذا الأخير ذكيا وطموحا والذي استغل
الحراس الذي تولد في قبيلة غودالة، لوضع أسس إمبراطورية جديدة.
بدأ بإحضار شعب لانتونة، وبعد هزيمتهم، وبذلك ظهر مرتدون
محمسون أكثر من هؤلاء الموجودين في غودالة. وبعد ذلك تقدم إلى
"القبائل" الموجودين في البلاد بصعوبة كبيرة. وهنا أعطى صفة المربط
للمعززة هؤلاء الناس، وبهذا نشأ مجتمع المراهطين. لم يكن عبد الله يرغب

في أن يضع نفسه لقب الأمير، وأعطاه لذكرياء شيخ قبيلة لانتونة.
لما بالنسبة له، فقد اكتفى بالمحبة التي تضمن الدين والمعرفة. قبل
زكريا في المعركة، وخلفه شقيقه بكير بن عمر. بعد بعض الوقت، توفي
عبد الله بسبب سكتة دماغية وأخذ بكير لقب زعيم المرابطين، الذي
انتقلت سلطته إلى الأطلس. وضع أسس المغرب. ثم نشبت الحرب
بين تلك لانتونة وغودالة العالية اللتان بقيتا في الصحراء، وذهب
لأستراتيجتهما، وترك الحكم لابن عمه يوسف بن تاشفين، على البلد
المحتل. كان طموحا للغاية، وكان يعمل لنفسه، وعندما عاد بكير
رأى بأن حكمه قد انتهى. استقال لمصيره، وأعلن عن ابن عمه سعيد
كأمير، وانتحب إلى الصحراء، بالهدايا الرائعة التي قدمها له يوسف
للتخفيف من ندمه.

أخضع يوسف بن تاشفين، جميع أنحاء أفريقيا من المحيط إلى تونس،
جعل سلطته ليرتت تراجع إلى الحضيض. ودعي إسبانيا، كما قلنا ليهزم
المسيحيين، وأخضع جميع أمراء العرب الصغار، وبالتالي استعاد وحدة
القيادة للمسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية. توفي عن عمر يناهز مائة
سنة، بعد عهد طويل ومجيد والذي لم ينطق فيها بأي حكم بالاعدام.
لم تحظ عائلته بمثل هذه السلسلة من الازدهار لفترة طويلة. يعهد تحت
حكم ابنه علي، ظهر الشهير محمد بن عبد الله، مؤسس قوة الموحدين.

منه مصلحا يجب الاعتداءات السياسية والدينية. تعرض للاحتقار
في البداية، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يخاف منه الجميع. أجبر
على الاعتناء عن المغرب، واللجوء إلى تنبال، في جبال الأطلس وأثار
"القبائل". ثم أخذ لقب يحيى الدين أو مدير الدين، الذي أسس به
الموحدين، وفقا لعاداتنا التي تفسد كل الأسماء العربية.
مدد يحيى الدين غزواته في جميع أنحاء البلاد، وخلفه عبد المؤمن،
الذي كان التلميذ الحبيب. وهذا ما جلب الضربات الأخيرة لسلطة
المرابطين. هزم تماما بالغرب من ترمسان (تلحسان)، وتشفين ابن
وخليفة علي، كان يبحث عن ملجأ في وهران. أراد الأمير أن يذهب إلى
إسبانيا حيث مازالت سلطته، ولكن عند عودته من السفر في الليل،
أن وهران في المرسى الكبير، عبر مسار خطير، كان حصانه خائفا من
صوت الأمواج، وهرع من أعلى صخرة، قوقع وهلك".

بعد هزيمة وموت تاشفين، انتشر عبد مؤمن مثل السيل على البربر ووضع
النهاية سنة 1148 للإمبراطورية زيريت التي فقدت جزء كبيرا من ممتلكاتها،
والتي كانت سائدة في القيروان. كما ضبط كل من إسبانيا المسلحة، بحيث امتدت
إمبراطوريتهم من برقة حتى الناجية (طنجة). إن إنتصار الموحدين هو في الحقيقة
إنتصار "القبائل" على العرب. أظهر هذان الفائزان الجدد وزنا أقل سخاء من
الذين سبقوهم، وعبوديتهم طغت بوقاحة على إسبانيا. ومن ذلك الوقت انتشر

(1) هذا المسار هو مسمى دانعما، لكن بني في هذه الفترة طريق جميل جدا في وهران في
المرسى الكبير.

هذا الظل من الشراسة التي نلاحظها في سياسة الحكومة البربرية. بينما قدم عبد المؤمن بعضاً من الأشكال التي نسميها الأشكال الدستورية، ولا يمكن العثور على عبارة غيرها. كان مجلس الشيوخ مستقلاً تقريباً، وتعامل مع جميع المسائل التي لها علاقة مباشرة للأمة. كان لعبد المؤمن خلفه، في إمبراطوريته التاسعة، وهو ابنه يوسف، ثم حفيده يعقوب. هذا الأخير فاز على المسيحيين في إسبانيا في المعركة الشهيرة المسماة معركة الأرك، ولكن ابنه محمود، الذي خلفه، خسر معركة لاس نافاس في تولوسا. ذهب يخبأ هذا العار في حرمه في المغرب، حيث لم يكن يخرج أبداً. كان ابنه يوسف طفلاً صغيراً لكنه ظهر على العرش، وخلال فترة حكمه، انحطت الإمبراطورية مرة أخرى. هز العرب نير (عبودية) الموحدون في كل مكان تقريباً، والذين لم يبقوا بعد ذلك إلا في المغرب، التي أخذت منهم عام 1370 من قبل عائلة من بني مرين.

في إسبانيا، استولى المسيحيون على قرطبة وإشبيلية، وأضعفوا من قوة العرب في هذه المنطقة حيث مملكة غرناطة الوحيدة، والتي، مع ذلك، انتشر بريقها لقرنين من الزمان مع تآلق لطيف وجيل، حتى مات، كما يعلم الجميع، تحت الجهود المشتركة بين فرديناند وإيزابيلا.

في أفريقيا، أدى سقوط الموحدون إلى تشكيل العديد من الدول، التي تمثلت أساساً في تلمسان أو ترمسان، تونس، وطرابلس.

كانت مملكة تلمسان تتألف تقريباً من كل ما يشكل مجلس وصاية (منطقة) الجزائر. أسرة بن زيان، التي لا يزال بعض أفرادها في البلاد،

حكمت من 1248 حتى 1560. ويقال عن هذه الأسرة الفاطميون. كان أولئك الأمراء على مملكة تونس بنو حفص. ونحت حكم هذه السلالة ونعت الرحلة المؤسفة لسانت لويس. نحن نرى أن هذه الفترة هي فترة سقوط الموحدون ما يشير إلى تاريخ الدول البربرية الحديثة. بالإضافة إلى البلدان الثلاثة التي ذكرناها للتو، بسطت التاريخ عن العديد من الأمراء الصغار الذين حكموا بشكل مستقل في الجزائر العاصمة وتونس وبجاية وتوفرت. هذه الأخيرة احتفظت باستقلالها حتى اليوم.

حكم بنو مرين في المغرب حتى 1471. قام أمراء هذا العرق (السلالة) بالعديد من الحملات إلى إسبانيا، ولكن في الكثير من الأحيان كانوا غير راضين عن ذلك، فالنجاحات القليلة التي وصلوا إليها عملت فقط على إخماد سقوط السلطة في هذا البلد المسلم لبضع سنوات. قتل عبد الله، آخر ملوك أسرة بني مرين. اندلعت الحروب الأهلية في جميع أنحاء سلالة، والتي تم تقسيمها وفقاً لتقدير الطموحات الفردية. الشيخ مولاي، الذين ينتمي إلى أصغر فرع بني مرين حكم في فاس، لكن العرب وسوسة وشغولاً من، شكلت الدول المستقلة. ومع ذلك، تم طرد المسلمين من إسبانيا، وبدأت المسيحية تضع ثقلها على أفريقيا. استولى الأسبان على سبتة ومليلية، وهران، جزيرة الجزائر العاصمة وبجاية. استولى البرتغاليون من جهتهم على ساحل إمبراطورية المغرب بأكملها.

قامت بتحالفات مع أقوى قبائل المناطق الداخلية، وكاد يتهيأ بهم الأمر بالهزيمة على كل البلد، لو أن رجالا مكرمين أدرجوا تعصب الشعب في لعبتهم لاستغلاله لصالحهم الخاص. هؤلاء الرجال الثلاثة كانوا أبناء محمد بن أحمد، عبد الكبير، أحمد ومحمد من أسرة شريف، والدهم، هو رجل ذو نظرة واسعة وروح مثابرة، وقد قرر، منذ الطفولة وضع مؤسسين لسلالة جديدة، وجميع أعماله كانت تميل نحو تحقيق هذا الهدف. وثروة هذه الأسرة يضرب بها المثل في امكانية إعطاء ما نستطيع من أجل إرادة حازمة وقوية.

بدأ محمد بتربية أبنائه، وبعثهم بعد ذلك إلى الحج في مكة، ثم عادوا مع سمعة كبيرة من القداسة، والذي استقطب التبجيل من المؤمنين، ولكن ليس لكي تثار الشكوك حول السلطة، أرادوا البقاء بعيدين عن السياسة الخارجية وعدم الاهتمام إلا بالعلم والأعمال المتعلقة بذلك. تم تعيين الابن الأكبر، بفضل تصرفاته الحذرة، مديرا لمدارس فاس، ليهتم بعد فترة وجيزة، بتعليم أطفال الملك. عائلة شريف، التي يمكنها الوصول إلى الحكم، اقترحت على هذا الأمير الذهاب للصيد. حرب الجهاد ضد البرتغاليين في أجزاء من الإمبراطورية التي لا تخضع لسلطانه، جعله يراجع تنفيذ هذا المشروع، كوسيلة لإزالة المسيحيين في دولته، وجمع تحت صولجانه جميع المحافظات التي تم فصلها، في الوقت ذاته أعطى العاهل الذي يتسم له هذه الخطوة، الإذن الذي طلبوه. بدأوا من الريف، وسرعان ما أثارت

بلاطهم ضد البرتغاليين كامل الشعوب، الذين ساروا بصوتهم المحترم ضد أعداء الإسلام. فتم ضد البرتغاليين في مواقعهم البحرية وانترعت بهم بعض هذه المواقع. كانت أسرة شريف غير راضية على النجاح ضد المسيحيين، وجذبوا اليهم كل سلطة مقسمة بين العديد من الأمراء الصغار، منهم أمير والدهم محمد، دون النظر في مصالح ملك فاس، الذي كانوا يترقبون على العمل معه. توفي الأمير الجديد، الذي كان طاعنا في السن إلى جانب ابنه الأكبر الذي قتل في معركة. أما الاثنين الآخرين، وبعد التخلص من ملك المغرب، اقتسما السلطة، وكان أحد قد عين كملك للمغرب، أما محمد فكان ملك سوسة، ولكن هذا الأخير، وبعد عدة سنوات من الحرب الأهلية، جرد شقيقه وصادر كل سلطته، على الرغم من روابط العرفان التي من شأنها أن توحد العائلة المالكة بفاس. لم يمض وقت طويل على إعلانه للحرب عليه. بعد القليل من تقلبات الحظ والثروة، مرت بملكة فاس، مع بقية البلاد تحت حكم محمد الذي ترك بعد موته الحكم لابنه عبدالله على الإمبراطورية مع الكثير من المهارة والمكر والجرائم.

كان خليفة هذا الأخير محمد آخر، وقد تعرض لمطاردة وحشية من عاياه. قرب من البرتغال، تاركا شقيقه مولاي عبد المالك خلفا له. أظهر ملك البرتغال مياستيان الرغبة في استغلال هذه الفرصة لاستعادة ما فقدته البرتغاليون في المغرب، حيث نزل إلى إفريقيا مع محمد، لكنه هلك مع من كان بجانبه في معركة الكسار. عبد الملك الذي كان مريضا أيضا توفي خلال

العمل، أما شقيقه أحمد فقد نجح سلميا عليه وحكم حتى 1603، وبعد وفاته استأثرت الحرب الأهلية. ضبط قبائل يدعى كروم الحاج السلطة السبادية في المغرب، ولكن جميع الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية أعلنت استقلالها. حتى كان هناك يهوديا يحكم في بعض قبائل التلال. جاء شريف من السعودية للبقاء في تافيليت، كان ابنه مولاي الرشيد رجلا ثريًا، ولكنه ذكي، وسيطر على البلاد بعد سنوات من الحرب، وأصبح رب الأسرة الحاكمة الحالية، وتوفي في 1672.

عصر البرتغاليون كل ما لديهم على التوالي من مستوطنات على ساحل المغرب. أما الانجليز الذين احتلوا طنجة لبعض الوقت، تركوا هذا المكان في عام 1634، بعد الاشتراك من تكاليف الاحتلال. كان البرلمان من تسبب في هذا الاجراء. احتفظت إسبانيا بسبتة، ميلية وغيرها من النقاط الأقل أهمية. لقد تحدثنا في الجزء الأول من هذا المجلد، عن كيفية استقرار الأتراك في الجزائر العاصمة، تحت حكم بربروس الأول. واستولى هؤلاء القراصنة بجرأتهم على تونس بعد ذلك، تحت حكم حميدة بن عبوس، الذي حكم شرعيًا، ثم سار ضد تلمسان تحت ستار إنقاذ الملك الشاب أبو حمو، الذي تم خلعه من طرف أحد أعمامه. ولكن بعد ان اجتياح البلاد، كان مستعدا لإبقائها له، بدلا من جعل أبو حمو حاكما عليها، كما وعد. انسحب هذا الأخير إلى وهران، مع الماركيز دي غوماريز، الذي كان حاكم هذه المدينة، الذي اهتم بقضيته، واعتبارها وسيلة لتوسيع تأثير الاسبان في البلاد.

الاسبان الذين كانوا متحدين مع العرب من جنب أبو حمو، حوصروا ومكثوا في تالاج (تالاء)، حيث وضع الأتراك حامية، ومن ثم جازوا للاستمرار في تلمسان حيث كان بارباروسا. دافع هذا الأخير خلال فترة طويلة في سنوا، ولكن الطعام كان ناقصا، وفي الليل خرج من باب خلقي مع مولاء الأتراك في محاولة لاستعادة العاصمة. أدرك الاسبان هروبه، وبدلوا في تلمسان، وألقوا القبض عليه في معبر نهر، وقتلوه. وضع الماركيز دي غوماريز على عرش تلمسان الشاب أبو حمو، الذي أصبح تابعا لإسبانيا. بعد وفاة عروج بربروسا، أصبح أخاه خير الدين زعيمًا على الأتراك وقد منحه الباب العالي العثماني لقب باشا، وقد أرسلت إليه تعزيزات. بعد شارل كينت تونس منه، وحل محله الأمير المشروع. عين خير الدين باشا بعد ذلك قائدا لبحرية الامبراطورية التركية وغادر الجزائر العاصمة، حيث عرض بحسن آغا. ونحت حكم هذا الأخير كانت، في عام 1541، الحلة القاتلة لشارل كينت، الذي دفع غالبا، في هذا الطرف ثمن نجاحاته إلى تونس. وبعد وقوع هذه الكارثة مباشرة، انتقل حسن آغا إلى تلمسان لتدمير التأثير الإسباني في هذه المملكة وأجبر الملك الحاكم على أن يدفع له جرامة.

كان حسن آغا خلفا لحسن بربروسا، ابن خير الدين. مملكة تلمسان، التي اقترنت من سقوطها، تمزقت بفعل صراعات أمراء العائلة المالكة، الذين كانوا يتنافسون من أجل التاج، بالضغط على الجزائر العاصمة، أو

على الإسبان أوهران، أو على ملك فاس، الذي دخلت قواته إلى البلد، واجههم حسن في معركة، وتغلب عليهم بالقرب من مستغانم. ضمن هذا الفوز تاج تلمسان للأمير الذي تحميه الجزائر.

كان حسن أعداء في القسطنطينية، وتم استبداله في 1552 بصلاح ريس، رجل ماهر ومغامر، وقد أخذ بجاية من الإسبان، وكان يستعد لهجوم وهران، عندما توفي من الطاعون.

بعد وفاته، أصبح زعيم الميليشيا التركية مرتدا كورسيكيا اسمه حسن. ولكن البوابة العثمانية أطلقت عليه لقب باشا، وكان تيكلي مرتدا آخر من سردينيا، والذي دخل الجزائر، وجعل منافسه يواجه الموت. مات هو الآخر بعد أن قتل بعد وقت قصير، وقامت البوابة العثمانية باستبداله بحسن بربروسا في الجزائر العاصمة. في الفترة الثانية من إدارته، ضم حسن إلى مجلس وصاية الجزائر العاصمة مدينة تلمسان وما بقي من المملكة بهذا الاسم. كما هزم أيضا الكونت الكوديت محافظ وهران، الذي سعى إلى السيطرة على مستغانم. تحت حكم الباشاوات خلفاء حسن، واصل الجزائريون كونهم قوة هائلة ضد القوى المسيحية، وما يلفت الأنظار هو أن معظم هؤلاء الباشاوات كانوا أنفسهم مسيحيين مرتدين. حسن البندقي، واحد منهم، وقد توغل إلى ساحل إسبانيا وإيطاليا، وعاد مع أكثر من 4000 أسير وكم هائل من الغنائم. وزادت قوة الجزائر في عام 1600، مع وصول البربر⁽¹⁾، الذين طردوا من إسبانيا بواسطة فيليب الثالث، حيث

(1) كان يطلق عليهم أيضا اسم لسل الموريسكيين من إسبانيا (مور).

على بربرية صناعتهم وكراهيتهم للمسيحيين. للأسف لم تستفد الحكومة التركية، التي كانت عسكرية أكثر من كونها إدارية، من هذه العناصر للعمل على ازدهار القطاعات الصناعية والزراعية. فلم ترغب أن تكون مدينة إلا للحرب.

في 1601، حاول أسطول إسباني الهجوم على الجزائر، ولكن سوء الأحوال الجوية اضطره للإبتعاد. لم يكن الإنجليز أكثر سعادة في الأحوال. في 1627، أرسلت القوات التركية مجموعة انتداب للسيد الكبير للشكوى عن التجاوزات التي قام بها الباشاوات الذين فرضتهم البوابة العثمانية على الجزائر، وطلبوا الإذن للتعيين بأنفسهم رئيس مجلس الوصاية، والالتزام بدفع الجزية للإمبراطورية، و مواصلة الاعتراف بالسيادة. بما أن الجزائر تكلف البوابة العثمانية كثيرا، وافق الرئيس الكبير على هذا الترتيب، شريطة بقاء وجود باشا في الجزائر العاصمة، يقوم هو بتعيينه شخصيا، والذي تقتصر وظائفه على معارضة الأفعال التي يبدو أنها تتعارض مع مصالح الباب العالي.

أخذ الرئيس الجديد لمجلس الوصاية (ريجنوس) لقب داي، ربما كان كانت هناك خلفية لهذا اللقب.

تواجد هذا النوع من الحكومة حتى 1710 تحت حكم الداوي بايا علي، الذي طارد بطريقة مخزية ممثل البوابة العثمانية، ووضع لنفسه لقب الباشا. كان بابا علي قويا بما فيه الكفاية لا يخاف مما يترتب على

هذا النهج كان يعرف كيف يجد أصدقاء في القسطنطينية (استامبول) لتجديد الإمبراطور عن معالجة هذا التغيير في حكومة الجزائر، والتي وجدت منظمة كتابا ورد في الجزء الأول من هذا الكتاب.

أخلاق العرب.

الأفكار السائدة في شعب ما والتي تتجسد في أفعاله الخارجية أو السياسة أو الأخلاقية، هي ما يشكل عاداته. من أجل دراسة جيدة لعادات الشعب يجب تحليل أفعاله التي تقدم الملاحظات الأولى، والذهاب مرة أخرى إلى الأفكار التي تصاغ وتتعدد عن طريق هذه الأفكار، واستعراض أفعال التحليل الأقل صعوبة. بعد ذلك يجب أن تصنف ملاحظاتها بترتيب الأفكار، بطريقة تجعلنا قادرين على الاستنباط مما يقوم به الناس في مثل هذه الظروف، في بلد آخر. ينبغي تجنب المزالق في العديد من دراسات الأخلاق والعادات. وأولها هو ما يأتي لأفكار المراقبين الأجانب للدراسات الفلسفية. ويتمثل في التصرف الخاطئ للعقل، وهو ما يقودنا إلى المبالغة في الاختلافات الأخلاقية بين اجناس مختلفة من البشر. الفلق أو الانشغال بفكرة ينبغي أن تبدو ملاحظتها وكأنه يرى شيئا ما رآه في مكان آخر، والملاحظ الذي يشارك في هذه المشهد الخطأ، يتوجه في الكثير من الأحيان إلى الجزء السفلي من العواطف الغامرة على بعض الاختلاف في الشكل وعلى استعداد لكل الأفكار العربية لشعب وحول المواضيع التي يكون فيها على اتفاق دائم مع بقية البشر.

ملاحظون أعزوني الذي يمكن أن يطلق عليهم اسم المجهرين، يظهرون فقط في الاختلافات الخارجية ومعظمهم غير مبال بالحياة. بعد قضاء عدة سنوات وسط الناس، يتعاملون كامل المسار العام لأفكارهم، وعلى أي شيء حقيقي تقوم التحيزات، وبأي الوسائل العقلانية يمكننا محاربتها. ولكن من ناحية أخرى، هم يعرفون بالضبط ما الوضع الذي يبدأون به هذه الواجبات، وما الترتيب الذي يخلقه في المرحاض، ما هي الركة التي يضعها على الأرض في صلاتها، والوقائع الأخرى النافذة. هؤلاء المراقبون المجريون عمومًا لديهم رأي عالي عن أنفسهم، وعلاقاتهم، والتي هي في تناول الذكائات تكون في معظمها مبتذلة، لتعرض من وقت لآخر بعضًا من التبول، وليس من النادر بالنسبة لهم القيام بمشاركة العقول الكسولة والسطحية.

وفي الأخير هناك المراقبون الذين، بخفة الروح، يستنبطون دائمًا من الحما من إلى العام، ما يشبه هذا الانجليزي الذي يمر إلى فوتينيلو، ليكتب على الألواح أن جميع النساء في هذه البلدة حمر الشعر ومشاكسات، لأنه شهد اجتماعًا تتشاجر مع زوجها.

وفي ما استقوله عن العرب من مجلس وصاية (منطقة) الجزائر، سنحاول قدر الإمكان، تجنب هذه المواقف.

لرى عادة أن سمة المنظمة الأخلاقية للعرب ذات ارتباط لا عقلاني، ولكن مطلقًا للعادات القديمة. وكما قلنا، فهم على ما كانوا عليه في زمن

إبراهيم، وليس هناك ما يشير إلى أن المستقبل يمكن أن يجلب أي تغيير في طريقة عيشهم. هذا التأكيد هو افتراض خاطئ، لأن العرب إذا لم يتمكنوا من تحسين وضعهم، فلن يترددوا للقيام بذلك. في إسبانيا، حيث وجدوا طرقًا لغرس الأراضي الخصبة، تحت حماية قوانين عادلة وحكومة منظمة، تركوا عاداتهم كبدوا، يثبتون على الأرض ويستقرون بواسطة السككات ومصالح دائمة. كان نفس الشيء في أفريقيا عندما تسمح لهم الظروف. رغم أنهم كانوا يفضلون دائمًا البقاء في رحلات إلى المدن، والعديد من المدن الكبيرة نشأت تحت سيطرتهم، أو أعيد ترميمها بواسطةهم. اختلطت العديد من العائلات العربية هناك، كما قلنا، بالمغاربة (المور) الذين كانوا من أبرز السكان، ولكن عندما أصبحت الحكومة مستبدية، خصوصًا عندما توقفت عن كونها وطنية، فعادوا إلى خيامهم، لأنهم يتميزون بالكثير من الكرامة ويفضلون الاستقلال عن الرقاء المادي.

حب العرب حياة الحقول وهو الشيء المشترك مع جميع الشعوب الغبورة على حريتها. في جميع البلدان التي يهيمن عليها هذا الشعور تطفئ السككات فيها في الأرياف. أعطي سويسرا على سبيل المثال، وبالتأكيد لا أحد يلصق للأطفال النبلاء في هذا البلد الشهات بالوقوف وراء الحضارة. كل إنسان في الريف يتمتع بكل ما يملأ حياته، وخاصة امتلاك المنزل المستقل والذي هو الأثمن. الواجبات الدينية، التي تعتبر واحدة من الأسباب التي تجلب الرجال المراكز

السكانية، ليست مزرعة في هذا الصدد بالنسبة للمسلمين فالقرآن يلزمهم بالخضوع إلى المساجد بقدر ما ما يتواجدون في أحياء مزارعهم.

وعادة ما تكون هذه المنازل عبارة عن خيام العرب، ولكن مع ذلك تحوي عدة نقاط، وذلك أساسا في ولاية الجزائر العاصمة، من المنازل الحجرية أو الأكواخ الطينية، العديد من البيوت تريد أكواخ مزارعيتا. وبالنسبة في البلاد، غالبا ما نجد مجموعة واسعة الانخفاض للمباني جميلة، والتي كانت مراكز الاستغلال القلاسي الثري الذي دمرته الحروب، أو أخطاء الإدارة التي يرى لها كما ترى الحث الحزينة لتلك المدن التي انطقت على التوالي عندما كان صولجان الحكم لإسماعيل.

وقد ساهم وصولنا إلى إفريقيا، إلى حد كبير في إخلاء المدن التي لا زالت موجودة في ذلك الوقت. في محافظة وهران، التي كانت تلك عدد كبير منها، وقد تمرد العرب ضد الأتراك الذين كانوا هناك، ودخلت الحرب والفوضى مع الفسوة والدمار. في معسكر، حيث تم طرد الأتراك وذبحهم ودمرت الكثير من المنازل، بما في ذلك قصر البايات السابق، الذي كان جيلا جدا. منذ إدارة عبد القادر، الذي يحكم في هذه الفترة، بدأ بإصلاح الخسائر. ولكن في تلمسان حيث الأتراك والكرغل

مارثوا يمتلئون (المشور)، لا تزال الحرب مستمرة وجعلت الكثير من الناس يهربون. أرزيو، التي أبلغنا عن سكانها وتخليها منهم لغضب أعدائنا المشتركين، دمرت بالكامل. أما مستقائم وضواحيها الجميلة، التي احتلها القايد إبراهيم والأتراك باستثناء فقد شحي بها بسبب احتياجات الدفاع، كما تم هدم العديد من المنازل الريفية التي تغطي البلاد على بعد أكثر من 2 كيلومتر بشكل كلي تقريبا.

في مقاطعة الجزائر العاصمة، الدمار المرتكب من طرف قواتنا، وأتباعنا المستوطنين، حتى على أبواب العاصمة، وهو معروف لدى الجميع، ونحن لن نعود إلى هذا الموضوع المؤلم. بالكاد تعافت البلدة من الزلزال الرهيب الذي أسقط جزء منها في عام 1826، وما تبقى منها، كما قلنا، تكفل به الجيش الفرنسي في عام 1830.

في بيلك قسطنطين، أجبرت وحشية أحد باي الكثير من الناس على مغادرة مقر المنطقة. ولكن ذهبوا إلى تصفيهم عدد سكان زامورا أو توفرت. وفي الأخير، وجودنا في بجاية بعيدا قد أبعد الكثير من السكان الأصليين.

الرجال الذين يتمسكون بالأرض بأقل الروابط الممكنة هم

(1) عدد الأسرى المهاجرة من المدن في المناطق الداخلية بقرن جبال (1999) لمراد

بالتأكيد أولئك الذين يقدمون أقل ما يمكن للطغيان. أيضا، هل جبههم المهيمن من أجل الاستقلال الذي يدفع العرب لهذا الوجود الذي كان لدى آبائهم. ولكن يتخلون عنه متى أمكنهم أن يتوقعوا العثور على نوع آخر من الحياة بنفس الجرعة من الحرية. لم يوضع هذا النوع من الانعكاس على الحرية السياسية، كما نفهمه في أوروبا، ولكن هذه الحرية الاجتماعية في جميع الأوقات، والتي تجعل الإنسان بعيدا عن الاتصال في كثير من الأحيان بالقوانين والقواعد المزعجة في السياسة المتفعلة. هذه هي الحرية التي ذهب العربي للبحث عنها تحت خيمته، ولكن يبدو أنها أخف بكثير، إذا تمكن من إيجادها في منازل جيدة حيث لا يعيش مع الخوف من انتهاكات الحكومة الجشعة أو هجمات العدو القوي.

لا يمكن أن ننكر، لا بواسطة التاريخ ولا بفعل الأحداث التي ميزت ذلك الوقت، بحجة أن الذوق الحصري لحياة البدو الرحل أقل من السليبات التي يواجهها، أن العرب يتمسكون بقوة بهذا النوع من الحياة. أحيانا أيضا هو نتيجة لطبيعة وظائفهم. وبالتالي القبائل المكروسة خصيصا لرعاية القطعان هم بدو حسب التخصص الذي تفرضه صناعتهم. ولكن هذا ليس غريبا على العرب، لأننا نجد هؤلاء البدو في العديد من البلدان في أوروبا، وخاصة في إسبانيا، وحتى فرنسا.

وعلاوة على ذلك، في منطقة الجزائر العاصمة، فيجب أن نصل إلى مناطق أبعد من سلاسل الأطلس للبحث عن البدو الحقيقيين الذين يتجولون من اختيارهم في المساحات الواسعة للبلد. في وديان جبال

الأطلس، وخاصة في السهول على حافة البحر، للقبائل أراضي متميزة وتغير مساكنهم لا يمكن تحديده إلا ضمن حدود مشددة، بوجود بعض الخطر الوثيك، وفي هذه الحالة تهاجر بعيدا إلى مامن في جميع أنحاء الأرض التي توجد فيها المياه.

في سهل متيجة، الذي يهيمن أكثر على وجه التحديد، هناك قرى جبلية ثابتة تدعى "جمعة"، وهي تحوي بعض المنازل المبنية من الحجر، القرى تسمى "قروي"، وهي أكواخ الطين التي تحدثنا في وقت سابق. تسمى "الحوش" التجمعات السكانية الموجودة أسفل "جمعة"، وعادة ما تكون موقعا جيدا، تحيط به الحدائق والأشجار الجميلة مما يجعل الإقامة فيها طيبة للغاية. بين القرى والحوش أو المزارع، والتي تذكرنا بطريقة وضعها أو بنائها في كثير من الأحيان بالتجوع التي لدينا في أوروبا، ونجد هنا وهناك مجموعة من الخيام القليلة تنه الأفكار إلى تحيزنا الأوروبي الذي شكلناه عن أفريقيا بشكل عام. مجموعة الخيام تشكل "دوار"، ولكن لا يمكن للمسافر في مقاطعة الجزائر العاصمة أن يأخذ فكرة عنها، وينبغي أن ينظر بالضبط هذا النوع من المخيمات في السهول العظمى من محافظة وهران، في قسنطينة الجنوبية، وخاصة في الصحراء التي لم يحترقها أي من الفرنسيين حتى الآن. بتشكيل "الدوار" من الخيام المصنوعة من جلد الجمال البني أو الأسود، ومرتببة بشكل دائري وذلك لتترك فراغ

كبير في الوسط، حيث تحبس القطعان في الليل، وذلك خوفا من اللصوص أو الحيوانات المفترسة. الخيول مقيدة إلى سلاسل وحبال ممتدة من كل خيمة. أما الأسلحة وصهوات الحصان دائما جاهزة بحيث يمكن في وقت يقل عن خمس دقائق أن يكون كل الدوار على ظهور الخيل. في حالة الإنذار، وفي حين يحمل المحاربون السلاح، يتم طي الخيام والحفائب وتحميلها على ظهور الجمال والبغال بواسطة النساء والأطفال والشيوخ، لا شيء يتفوق على سرعة القبيلة التي تعمل بأكملها بنظام هربا من الخطر.

في زمن السلم، كانت الحياة الداخلية للعرب أكثر ثباتا في قراهم بالمقارنة بالدواوير، التي تختلف قليلا عن تلك الموجودة في أريافنا، ما لم يكن ذلك أقل انشغالا، لأنهم لا يطلبون الكثير من الأرض. هناك دراسة خاصة بموضوع الاختلاف بيننا وبين العرب، نذكر من خلالها أن هذه الاختلافات تتعلق بالأشياء ذات الأهمية الضئيلة وعلى التفاصيل المنزلية وعلى بعض العادات من الجسم، وخاصة الزي الذي يعرفه الجميع الآن، ولهذا السبب فمن غير الضروري الوصف.

العرب عموما لطفاء مع زوجاتهم، وأطفالهم، وكرماء مع موظفيهم وخدمهم، ومهذبون جدا مع بعضهم البعض. يجتمعون بدقة في جميع واجبات الحياة الاجتماعية، والتي تجعل تجارتهم ممتعة.

وصفاتهم المشتركة لافتة للنظر من حيث اختيار وحساسية التعبير في علاقات المداراة، بغض النظر عن الغرابة التي من شأنها أن تظهر لديهم الكثير الفضول⁽¹⁾.

وضع المرأة هو أبعد من أن يكون تعيسا جدا بين العرب، وحتى بين المغاربة، كما يسود الاعتقاد في أوروبا. قوانين وأعراف البلد منحتهن حقوقا مستقلة عن نزوات أزواجهن، والتي يستخدمنها على نطاق واسع. وعندما يأخذ النزاع بين الزوجين الطابع الخطير إلى حد ما تقوم المرأة بالتهديد بالتدخل القضائي، الذي يكون دائما لصالحها. أيضا. لدى البربر، كما هو الحال في فرنسا، الجنس اللطيف هو الذي يحكم عموما في الأسرة. نادرا ما يتم تقاسم هذا الصولجان أو الحكم بين الزوجات، لأن بعض الأزواج فقط مثل قادة حجوط من يستغلون حق تعدد الزوجات. فمعظمهم يكتفون بامرأة واحدة، وفي كثير من الأحيان يخدمونها كثيرا كما هو الحال في بلدان أوروبا.

القوانين تجعل العلاقات الزوجية سهلة للكشف. ولكن بما أنه

(1) مع انتشار السلم في منطقة حجوط في ماي 1834، جاء قائد من هذه القبيلة إلى الجزائر، حيث لم يظهر منذ مدة طويلة، وكان في استقباله بامتياز الجنرال فوارول الذي استدعاه إلى العشاء. لا يبدو أنه مستغرب لهذا العالم الجديد الذي نقل إليه لأول مرة، وشهد على الدور الذي ينبغي أن يتقصبه عندما تتم خدمته، بمد ذراعه لسيدة المنزل. خلال العشاء، يسأل الجنرال عن عدد نسائه، ويقول بأن لديه ثلاثة نساء، ولكنه سيكون محظوظا كثيرا بالظهور على واحدة مثل زوجة الجنرال فوارول. تدل هذه المعاملة بالتأكيد على حساسية عالية من المشاعر.

لا يمكنك إرسال امرأة دون أن تفعل لها بعض المزايا المالية فالرفض يكون نادرا. الطلاق عن طريق التراضي المتبادل، موجود بكثرة: ليس نادرا أن تلقي امرأة مرت على حوض زوجين اثنين أو ثلاثة أزواج. يمكن أيضا أن تسب المرأة في الطلاق، وذلك من أجل حقائق يبدو أنها غير عادلة⁽¹⁾. ليست المدن فقط التي نجد فيها أن المرأة تخضع وتلتزم رغما عنها بالظهور بالحجاب، في الريف هذه الصرامة غير موجودة، أو على الأقل نادرا ما توجد، وخاصة إذا تحرك أحدهم بعيدا عن العاصمة مهما كان ما ينص عليه القرآن، إلا أن العرب في إسبانيا كانوا منحررين، لأننا رأينا في إشبيلية نساء يدرسن محاضرات عامة في الآداب الجميلة والعلوم. يبدو أن هذا التسامح من الأندلسيين تجاه عرب أفريقيا، الذين يخشون نساءهم في الريف قليلا، على الرغم من أنهم غيورون جدا. كما يبالغون عموما في آثار هذه الغيرة، أدى إلى نتائج مأساوية في بعض الأحيان، ولكن ليس كما يحدث عندنا. وعلاوة على ذلك، فإن الأزواج الأفارقة معرضون كغيرهم إلى كوارث الزواج. تحتوي الدواوير العديد من المؤامرات الغرامية كما في البلدات والقرى في أوروبا. دون الذهاب إلى المزيد من التفاصيل حول هذا

(1) في عام 1834، تلقى القاضي طلب الانفصال من امرأة اشتكت من أن تنظيم زوجها يجعل تقديم الواجبات الزوجية مؤلما جدا، وبعد تأكيد القاضي الرحيم من الشكل العملاق و الضخم الذي كان يميز الزوج لا يتلاءم مع الطبيعة الضعيفة والحساسة لمرأة في الرابعة عشرة فقط من العمر، فأعلن الطلاق.

الوضع الذي ربما توقفت عنده بالفعل لوقت طويل. يمكن القول بانحصار، في هذا الحال أو في كل شيء آخر، أن جميع الرجال لديهم نفس الرغبات، ويعدون دائما نفس الوسائل تقريبا لإشباعها. لا يفتقر العرب من الحساسية أو الحشمة في حبهم. غالبا ما يستحون مثل الشابات اللواتي يجتمعن في محادثات شائعة جدا بينما، على الرغم من هذا الحجاب من التواضع والإحسان، فهم غير غريبين عن الخلقات الدميعة التي تستحق الشجب، ولكن الأمثلة نادرة.

إمرأة، ظل، ماء جاري، وشيء من الشاي والقهوة كلوازم، يلخصون جميع أفكار الملذات الحسية للعرب. هم غير مباينين جدا لشيء آخر، لذلك هم عموما يتميزون بالرزاة وقلة قلقهم أو اهتمامهم بوسائل الراحة والليونة. على الرغم من أن العرب لديهم احتياجات قليلة، إلا أنهم جشعون فيما يتعلق بالمال ويحبون الكثير من الكنوز. هذا مرتبط بحياتهم النائية وتنظيمهم السياسي، والثروة النقدية هي أسهل ما ينقل ويخفى حسب الحاجة. ليس هناك دائما حسن النية في المعاملات التجارية، خصوصا مع الأوروبيين؛ هم يخافون دائما من عدم وضع شروط جيدة في صفقاتهم معهم، بحيث عندما يرون أننا وافقنا دون اعتراض على الثمن الذي يطلبونه، فإنهم يتراجعون ويقولون أنهم كانوا على خطأ، ويطلبون أكثر من ذلك. ومع ذلك، فإن أرباحهم أقل بكثير من تلك التي يجنيها التجار الأوروبيون الذين استقروا

بالجزائر العاصمة. الحقيقة فنجري على القول أن في هذه المدينة، الجمع التجاري يرتبط ارتباطا مباشرا بالحضارة.

على الرغم من توجيه اللوم عن طمعهم، يقوم العرب مجانا وبكرم بواجبات الضيافة، وقد ورثوا هذه الفضيلة عن الأجداد. أي أجنبي يأتي المنزل كضيف يلتقى الاستقبال الحسن دون النظر إلى العرق أو الدين. وقد شهد العديد من الضباط في الكثير من الأحيان آثار كرم الضيافة التي وجدوا فيها والكثير من الحرص والاهتمام والحنان، سواء كانوا بين العرب بصفة رسمية وذكريات بعض الخدمات المقدمة، أو عندما يأتون كمسافرين من بلاد بعيدة حيث كانوا غير معروفين تماما. كرم الضيافة وحده، ونحن نعتزف بأن هذا يكفي، أن يقدمها العرب مجانا. إذا احتاج المرء إلى دليل، أو تحميل أو أي شيء آخر، عليه الدفع كما في كل مكان، وبمبالغ كبيرة أيضا. ويمكن أن تقع في الكثير من الأحيان في أيدي ناس جشعين الذين يتلاعبون بالسعر المتفق عليه، ويحددون ألف طريقة ليأخذوا منك الهدايا الصغيرة. عند التعامل مع الأوروبيون، لا يسيطرون النفس كثيرا، ويفترضون أنهم مخيطين بالذهب.

الاختلافات في الرتب شائعة جدا لدى العرب. أصل المولود يعطي الحق لاحترام أكثر، فالرجل من مشا أو مولد نبيل هو من يضم بين

ثلاثة سلسلة طويلة من المحاربين أو المرابطين. أنه النبيل المزدوج نسب والملافة الذي تتصوره العديد من الشعوب التي تحمل الأسلحة دائما متناول اليد، والتي تبقى مبادئها الدينية دائمة الإخضرار. هناك عدة قبائل جدا من تجار المهنة، والشيء المثير للاهتمام، هو استخدامهم مثلا لمصطلح البقال أو تاجر الفلفل، لوصف الرجل الذي لا تتجاوز عاداته وأذواقه وأفكاره الأعداد غير المبالغ فيها. يشكل المحاربون والمرابطون في كل قبيلة القوى العظمى هذا هو التعبير المكرس لهم. مؤلاء العظماء مثل عظماء كل البلدان مستعدون تماما للاستفادة من موقعهم، والشعب، مثل جميع الشعوب، يقدم تدمرا أكثر أو أقل لاحتياجاتهم ومتطلباتهم. علاوة على ذلك، فالتبيل متاح لجميع أولئك الذين قد يكون لهم خيل وسلاح مع الشجاعة لاستخدامها بامتياز⁽¹⁾. المرابطين هم من الرجال الذين يكرسون حياتهم تماما لله، ويتميزون بالفضائل والأعمال الصالحة. هم خارج التسلسل الهرمي الكهنوتي: هم قد يسون يعيشون بعد أن وضعوا بالرأي بين الرجال والملائكة، وعلاوة على ذلك، على الرغم من أنه من الصعب القول من يكونون بالضبط، فإنه سيكون من الأصعب القول ما ليسوا عليه؛ لأنه عندما يتم تأسيس

(1) هناك من بين سكان حجوط فردين أو ثلاثة أفراد ممن كانوا مجرد فلاحين قبل وصولنا إلى أفريقيا، وقد أصبحوا الآن من أكثر الشخصيات نفوذا على القبيلة.

مستحسبهم جدها يمارسون على المؤمنين إمبراطورية مطلقة. أي سلطة
تصان لهم، والشيء الملحوظ استخدامهم الجيد لهذه القوة أو
السلطة العظمى. صحيح أنه إذا أرادوا أن استخدامها في الأغراض
السوية، فإن هيئة القداسة الموجودة فيهم تختفي على الفور، أو على
الأقل تضعف، ولا ترى فيهم إلا رجالا سياسيين يمكن مهاجمتهم
بواسطة العلانية.

ميزة قلب المرباط لا تمحي، وتنقل أبا عن جد، ولكن التأثير الديني
المرق بعد يجب أن يكون شراؤه لكل جيل من نفس الفضائل ونفس التقوى،
والتي بدونها يخفي، ولا يبقى من ذلك أكثر من لقب. المرباطون الحقيقيون
هم رجال يتميزون بدرجة عالية من التعليم في اللاهوت والقانون، وحتى
التاريخ. أصدقاء للسلام، ومتعصبون قليلا ومستعدون دائما لعقد الوثام بين
القبائل، فهم بالتأكيد يستحقون البحث في هذا العالم الآخر، وهو الهدف
من كل رغبتهم، ومكافأة على ما يقومون به⁽¹⁾.

يسوت المرباطون برائحة من القدسية، ويدفنون في موكب عظيم. تنف
على قبورهم المصليات الصغيرة، وأحيانا مساجد، حيث يذهب المؤمنون
إلى الحج.

انحلت القنن والعلوم من العرب. لا يمكننا العثور على أثر للتعليم

(1) لقر المرباطين شهرة في ولاية الجزائر العاصمة، هو سيدي محمد مبارك،
رجل مسن و جليل، معروف بخلصة لدى بعض ضباط من الجيش، تعاملاته مع
الأحرار والتقى المستوحى من فضيلته.

عربي - إلا لدى المرباطين من الصف الأول ورجال القوانين. قاضي
البلدية القديم، الذي هو الآن قاضي الجزائر، لديه بعض المعارف في
العلوم الأساسية. أنا سمعته وهو يشرح العديد من الظواهر السماوية،
ورأيت أنه يفهم جيدا طرق الرصد الفلكية، على الرغم من أنه كان غير
قادر على تطبيقها. كما أن لديه بعض المعارف الفسيولوجية، وعناصر من
فلسفة أرسطو. يتكون القاضي في مدرسة فاس أين كان طالبا، وأخذ هذه
العصبة من العلوم. يتأسف كثيرا على مكتبة التي فقدتها في حقبة البلدة
عام 1830: كان هذه في الواقع خسارة لا يمكن تداركها، لأن الكتب كانت
مادة جدا لدى العرب في مجلس الوصاية.

كان التعليم الأساسي على الأقل مشتركا بينهم من بيتا، كما كانت هناك
ممارس القراءة والكتابة في معظم القرى والدواوير. العرب بشكل عام
مرححون جدا للعمل بالعقل يعملون بنجاح إذا أتاحت لهم حياة مهنية. هم
يلقدون العلم وينصفون الأوروبيين في هذا الصدد. يقولون أن المسيحيين
يعرفون عادة كل شيء، ما عدا طريق الخلاص. هم يشكلون فئة كبيرة من
الأطباء، جميع الأفراد في هذه المهنة على يقين من الترحيب بها في أفريقيا.
ولن أكرر هنا أن ما نجده في جميع أنحاء العالم من نجاحات العرب
في مجال العلوم والأدب كان في فترة التألق. لأن الجميع يعرف أنهم
جلبوا أكثر من حجرة لهذا المبنى المهيب من المعارف الإنسانية، التي تنمو

كل يوم. لكن سلسلة من الثورات القاتلة والمتواصلة، هذا ما جرهم إلى القلاهم، ولكن حتى لو شهد ذكائهم السبات إلا أنني لا أعتقد أن الشعلة قد انطفأت، وسيتبين ذلك في علاقاتهم السياسية، حيث يعرفون بقوة كبيرة من التفكير والمراسلات العربية المحفوظة في أرشيف الحكومة، تقدم أدلة واضحة.

أينما لا تتم السيطرة على القبائل مباشرة بواسطة حكومة مركزية قوية، فغالبا ما تكون في حرب مع بعضها البعض من أجل مواضع خفيفة جدا، لكن داخل القبائل، وأعمال العنف القروية نادرة. نادرا ما يتدفق الدم تحت حديد القبائل في هذا البلد الذي يعتقد الكثير من الناس أنه مسكون بالكائنات الشرمة. خلال 1834 لم يتم احتساب الا جريمتي قتل أو نكبتها العرب في حق عرب آخرين، في "لوطن" (مقاطعات) كراشة ومني موسى ومني خليل والسبت. كانت هناك جريمة قتل أيضا في حق أورويين خارج خطوطنا، ولكن تم القبض على الجناة من قبل العرب أنفسهم وتسليمهم إلى المحكمة الفرنسية. وكانت السرقات أكثر عددا، ولكن في الحقيقة من المستغرب ألا ترتكب جرائم أكثر في بلاد ساحرة القاتلون فيه تعادل الصفر تقريبا منذ أن حكمنا، أو بالأحرى الذي كان من المفترض أن نحكمه.

الطريقة التي يحاربنا بها العرب، اكتسبتهم سمعة كبيرة عن القسوة. ونحن نعلم أنهم لم يكونوا سجناء، فقط بعض الاستثناءات، هم يذبحون من يقع

بين أيديهم، حتى الجرحى. كانوا يبدون بنفس المظهر مثل ما كانوا في الأيام الأولى من وصولنا إلى أفريقيا. لكنهم كانوا يطيعون أوامر الداي بدقة، الذي منحهم مكافآت نقدية تتعلق بتنفيذ هذه الأحكام الدموية، ومع ذلك أشك أن هناك جيشا أوروبيا أو نظاما من هذا القبيل لا يطيع مثل هذه الأوامر، إذا دخلوا في سياسة الجنرال لمنحهم مثل مكافآت مثل تلك التي كان الداي يقدمها للأفارقة. عندما اتخذت الحرب طابع القسوة، احتفظت بها حتى بعد سقوط حسين لأن الدم ينادي الدم. يجب أن أقول أيضا، أننا يعيدون كل البعد عن إعطاء العرب دروسا في الإنسانية. مجازر البليدة معروفة لدى القاريين وسيرى في المجلد الثاني من هذا العمل أن مجزرة القبيلة البائسة "أوفيا"، والأعمال الذميمة الأخرى. وفي الأخير، هناك شيء قبيح يجب أن نقوله، هناك مثالان على أكل لحوم البشر كانا خلال حروبنا مع العرب، ولكن العرب هم الذين أصبحوا ملذنين، وهي إداة محزنة ومؤسفة. لنكن مقتنعين تماما بأن القطائع الناجمة عن الحرب ذات أعقاب ليست غريبة عن أي جنس، وفي كثير من الأحيان في هذه الساحة الدموية، ومعظم الناس المتحضرة تصبح أعنف عندما تثار المشاعر بالكرامية من مهين خارجي أو اجني بسبب الأفكار الدينية أو الآراء السياسية يصبح قتل العدو حاجة ويبدو واجبا حتى بالنسبة للرجال المعتدلين واللطفاء حتى في الأوقات العادية. في فرنسا، حتى بعض العمال المستقرمين، الذين يكون سلوكهم دائما خال من العيوب، لم يوحزهم

ضميرهم، في عام 1814 و 1815، لانتظار الاطلاع على بروسى أو روسى، على ذبح أرتب وما زال الافتخار بهذا العمل وكأنه يستحق الجدارة للعبادة. في جميع البلدان في أوروبا، حيث حملنا أسلحتنا في فترة الجمهورية والامبراطورية، حدثت اغتياالات في حق جنودنا الذين كانوا أكثر عددا من هؤلاء في أفريقيا، أين كانت هذه الأحداث المأساوية نادرة جدا. القسوة تولد الكراهية، ولم يثبت ضد ذلك في الأخلاق الخاصة للشعوب، لأنها للأسف يقع مشتركة بين البشرية جمعاء. الوقت قد حان، ربما، لتختفي هذه الكراهية والقسوة من الوجود.

لا يستطيع المرء أن ينكر أن المسلمين يحبون الابتعاد عن المسيحيين. بل هي الوقاية التي لا يشاركها هؤلاء الذين يجبرون في الكثير من الأحيان على التظاهر. لكن لدى العرب، الشعب الذكي و المثير للاهتمام، يتلاشون بشكل فردي أمام المودة الشخصية أو التقدير، وبشكل جماعي أمام الاعتبار والعواطف السياسات. لقد رأينا أن في المغرب هناك عدد كبير من القبائل ذات قضية مشتركة مع البرتغال لمدة طويلة، ولو لم تكن للبرتغال الثروة لما كانت قادرة على تسوية وضعيتها السليمة في البلاد. في محافظة وهران، وفي الكثير من الأحيان كان للإسبان مساعدون من العرب، وفي الوقت نفسه ما هي الأمة التي تستحق كره المسلمين أكثر منهم؟ لم تكن قبيلة غماراس مرتبطة بهم الا بعد أن اخلاء مدينة وهران.

في عام 1798، تبعهم جزء من هذه القبيلة واستقرت في سوتة، لمواصلة المعيشة تحت حمايتهم. وفي الأخير، وفي أيامنا هذه، هل هناك الكثير من الأدلة عن تحالفات الشارع الحميمة التي قد توجد بيننا وبين العرب؟ لنذكر التصرفات العادلة والمخلصة لسكان المدينة، الذكاء الذي يسود حكم بحاية بين الجنرال أوزبي والعديد من القبائل التي على استعداد دائما لحمل الأسلحة للدفاع عن قضيتنا، التي أصبحت خاصة بهم. في الجزائر العاصمة، وتحت إدارة الجنرال فوارول، سار 600 فارس من مختلف القبائل معنا ضد سكان حجوط، وقبيلة عريب التي استقرت في أراضينا لدعم الخدمة العسكرية. كل هذه الوقائع تثبت أن الممانعات ليس ما يقهر جانب العرب. فهذا موجود كثيرا لدى بعض الأفراد أكثرهم ذوي الأصل الأوروبي، الذين لا يملكون جميعا الحق أن يكونوا أقوياء في واقع الحضارة والأخلاق.

الأحكام الدينية المسبقة أقل تجذرا لدى العرب الذين لا نصدقهم عموما. على الرغم من تعلقهم بمعتقداتهم، الا أنهم مستعدون تماما للتغلب على بعض الممارسات المزعجة، ولكن ما يحمل أساسيات إيمانهم قوي وفتي. هل ينبغي تقديم شكوى؟ بالتأكيد لا. لأن الشيء السيء الذي نجده لدى هؤلاء الناس هو أن كل عمل ديني يستحق احترامهم، مهما كانت ملة (دين) الشخص الذي المتعبدا⁽¹⁾.

(1) لقد وجدت نفسي في خيامهم مع المسافرين اليهود مثل: الذين كانوا يأتون صلواتهم، المليئة ببعض الطقوس الصغيرة المسيحية والسيفية.

ما يزعجنا أحيانا ضد العرب، هو أنهم يتركوننا نرى بسهولة بأنهم يؤمنون بقيمة جوهرية أكبر بكثير مما هي عليه في بلدنا. لا يمكنهم إخفاء فوائدهم، بالعلوم التي لديهم، والفنون وعجائب صناعتنا، ولكن في عيونهم، كل هذا هو لا يشكل الرجل، وكرجال كانوا يعتقدون أنفسهم أحسن منا. هذا الرأي الجيد عن أنفسهم يحتفظ به وفقا لطبيعة العلاقات التي تربطنا معهم منذ خمس سنوات، والتي نعمل دائما على إظهارها غير مجدية بالنسبة إلينا. كانوا دائما يبدون مفكرين، دون القدرة على اتخاذ مزيد من الإجراءات، التي تظهر في زاوية الجهل وعد الاكتراث. لم يهتم جنرالنا بالعرب إلا بطريقة غير منتظمة دون نظام محدد، وقد حكموا على إن كل شيء ممكن مع أناس لا نرى فيهم إلا مجرد آلات عصبية قليلة، وليس كرجال بقلب وإحساس. لقد قلنا وكتبنا لهم الأشياء الأكثر حماقة، والتي تخرج عن المنطق، وأكثر الأشياء تناقضا أيضا، وغالبا ما كنا نتجذب إلى سخريتهم الدعوية⁽¹⁾.

دون إثارة أي علامة صغيرة من عدم الإقرار أو الزمراء. إذا كانوا يبدون متعاطفين من شيء، فإن ذلك كان من عدم أداتي لتسلوآت كثيرة مثلهم ومثل اليهود، و أقرب، بإهانة على الفكرة المسببة التي قد تكون بذمتهم على، و تنجم على سبيل المثال هذا الرجال ذوي القناعات القوية، و قد حدث لي، أكثر من مرة إعطائهم، عن طريق بعض الإشارات الخارجية، الدليل أن لي أيضا معتقدات و عبادة. (1) هنا يظهر أسلوب القاضي وكبار الأوطان (المقاطعات) وهو يجهل على برقية متميزة بأسرافها.

العرب لديهم الكثير من الاستقامة في الحكم كي نعاملهم مثل الأطفال. لا ينبغي أن يلهو كثيرا معهم، ولكن يجب الذهاب مباشرة إلى الهدف، وأعتقد أن ذلك كان مناسبا. يعتقد بعض الناس أنهم تمكنوا من التأثير عليهم، بالتظاهر بالألم بتغاليدهم وأساليبهم، لكنهم لم ينخدعوا بهذه المخادعات الطفولية أو الصبائية، التي لا تؤدي إلا لمنح فكرة بسيطة عن حسن السليم. أدرك العرب بسرعة كبيرة المؤامرات الصغيرة التي خطط لها جنرالنا لدعم على مدار خمس سنوات. كانوا يرون أن الجميع يتعارك حول السلطة التي لم يتمكن أحد من الاحتفاظ بها؛ لا شيء يمكن أن يفلت منهم. انهم يعرفون كل شيء، فضلا عن الشجارات الصغيرة التي تنشب باستمرار حول السلطة بين موظفينا، ونظرا لكل هذا، يتساءلون ما إذا كان هؤلاء هم الفرنسيون الذين كانوا يبدون كبارا جدا عند سقوط الجزائر العاصمة المحاربة. لحسن الحظ، في العلاقات الخاصة، الطبع الفرنسي يتلاءم تماما مع طبع العرب، الذي أسس بيننا وبينهم بعض الروابط المحددة، التي قد تكون لها نتائج لصالح قضيتنا في وقت لاحق، على الرغم من الأخطاء التي كانت موجودة في سياستنا.

العرب لديهم ميزة ثمينة لم أتحدث عنها بعد، وأنه من العدل أن تسلط

"لقد تلقينا رسالتكم وقرأناها في جمعية عامة. بعدما تم الانتهاء من القراءة، بدأت كل المقاطعة تضجك. تقولون بأنه يجب الإضراف به ف *** كفاند لنا، ونحن قد نريد ذلك، لكن ربما كنت قد نسيت أنك قد عزلته شخصيا قبل بضعة أيام، و عيبت فـ *** في مكانه. تفضل بقول ما تريد نهائيا حتى يمكننا الامتثال لأوامرك."

الجزء الثاني، 3.

عليه الضوء، الذي نرفضه عموماً، هو التمسك بخطابهم السياسي، بعد ما كانوا في حالة سلم، أو بالأحرى حالة غير عدائية مع بعض القبائل في ظروف معينة، وجدوا في حالات معادية في ظروف أخرى، واستخلصنا بأنه لا يمكن الاعتماد على أي شيء معهم. ولكن ما هي المعاهدات انتهكوها؟ أعترف بأنني لا أعرف أيها منها. هذا ربما يكون قد حدث أكثر من مرة، أن بعض القبائل لم تكن مرتبطة بالالتزامات التي قطعت من قبل الآخرين، وحتى الوعود التي قطعت من قبل أفراد قبيلة، والتي لا تشترك فيها غالبية نفس القبيلة. ولكن ما المستغرب في بلد سمحنا فيه بالفوضى التامة، أين لم تمثل السلطة ولا الإرادة العامة بأي شخص؟ ولكن على الرغم من غياب الضمان إلا أن جميع الفرنسيين وضع رؤوسهم بين أيدي العرب، ولم يكن هناك من تاب أو تراجع، في حين أنه تحت إدارة الدوق روفيغو قطع رأسي شيخين في الجزائر العاصمة بالرغم من سلوكهم الآمن.

عندما وصلنا إلى أفريقيا، أعلن للعرب عن ذلك من خلال التصريحات التي جئنا بها من نير الأتراك. وكان الأمر يتعلق بالتعهد بإعادة حرياتهم البدائية لهم، وتأسيس علاقتنا معهم على أساس طوعي. كان ذلك جيداً حسب ما تفهمه العقول المثيرة. وقد شهدنا في الكتاب الرابع من هذا المجلد بأن بن زمون قدمت للسيد بورمونت فتحات في هذا الاتجاه. كتب مدى السرعة التي استولى بها الفرنسيون على الجزائر وكان قد فهم

الجزء الثاني، 3.

هو ومواطنيه أن الله كان قدرنا للحكم بدلا من الأتراك. سيكون من الجنون أن أرادوا معارضة قرارات العناية الإلهية؛ وبالتالي اقترح استخدام نفوذه، لجمع المزيد من الرجال الأكثر تأثيرا في محافظة الجزائر العاصمة، ليقترح عليهم أسسا لمعاهدة تكون لصالح علاقاتنا مع العرب، أكثر في المصلحة الحالية، من مصلحة الأجيال المقبلة، وأن يتوسل القائد العام ألا ينسى بأن المعاهدة القوية أو الصلبة لا ينبغي أن تفرض بالقوة إلى الضعف، ولكن ينبغي أن تنشأ على المصالح المتبادلة بين الأطراف المتعاقدة، وذلك لأن الجميع يعمل بحسن نية للمحافظة عليه.

كانت على هذه اللغة أن تعطينا معيار الرجال الذين نتعامل معهم. لو دخلنا بصراحة في المهمة التي سطرناها، أعتقد أننا كنا الآن أكثر تقدما مما نحن عليه. المارشال بورمونت، كما رأينا، لم يعتقد أن هذا كان ضروريا للنظر فيه، وتعلمون ما أدى إليه ذلك.

مع وصول السيد كلوزيل كانت هجومات العرب في الجزائر وعناية (بون) أظهرت بأنه تم استبعادنا عن الوعود التي وردت في تصريحاتنا. ما زلنا أسياد الأرض، ولكن بدون منطق بن زمون لم يفقدوا شيئا من قوتهم. كان الجنرال كان يجمع بالكثير من الدقة المصالح الأوروبية لفرنسا الجديد جنبا إلى جنب مع هؤلاء الذين تم غزوهم، وقد وجدت وسيلة لفسان تفوقنا على مختلف البيالك (جمع بيالك) بالتدخل مباشرة الا على محافظة الجزائر، ما يمكن أن يخفف بشكل ملحوظ من نفقاتنا فيما يخص

الرجال والقال. لقد عرفنا بالشرايع والعقبات التي تعارض تنفيذها. يفترض أن السيد كلوزيل دون الصعوبات التي أثارناها، لنجيب في الحطة بمهارة التصميم، ولكن بالشكيد قائما جدا لإكمال هذا المشروع. لم يعد لديه الوقت الا بالاهتمام بمحافظة الجزائر العاصمة، ورغم ذلك، في إدارته قصيرة، لم يلجأ لاستخدام وسائل حكيمة لتجعل لنا تماما، لا نستطيع أن نقول أنه مع مرور الوقت لم يتم العثور عليها.

أما الجزائر بارتزان لشرف قواتنا ضد العرب، و فقد التأثير الكلي عليها. كانت إدارته تشكل فترة وخيمة على مستعمرة، وذكرت تقارير تشير الى ان دوق روفينو قد قام بأعمال قاسية وغلة بالشرف الاسم الفرنسي، باحتلال عناية، وذلك بسبب جرأه مغامر شجاع، ومجموعة من المؤامرات الصغيرة دون نتيجة. تحت حكم الجنرال فولرول العام، كنا نعيش في عهد الولاء وتم تأسيس علاقاتنا مع العرب البنية على الاخلاص. نشأت الثقة وحكم السلم دون انقطاع تقريبا في المحافظة والتخلت الجزائر تدابير لضمان عقلانية أكثر أساسها سيادة القانون، ولكن كلما كانت هذه التدابير على وشك القيام أن تأتي بشمارها، جاءت أعمال تابعة من الضعف لاجهاضها، لتضع كل شيء موضع التناؤل. اتخذ هذا الجنرال موقفا مؤثرا لإرادته بالكثافة المطلوبة للأعمال. في نفس الوقت، تم التفاوض على معاهدة وحشية من قبل القائد العام في وهران، مرفوعة على عرش المحفوظ والممثل والماهر عبد القادر، وأعطى للعرب مركز العمل الذي كانوا يفترضون اليه.

تحت التأثيرات النظرية، المتضاربة والقائلة أين تشكل المجموعة ما يمكن أن يسمى إدارة الكونت إيرلون، القليل من الأشياء الجيدة التي كانت بفضل الجنرال فولرول في محافظة الجزائر العاصمة، اختفى، و عندما كنت أكتب، علمت بالكوارث الخاصة بقواتنا التي سحقت من قبل القوة التي تملكها ب وهران.

لقد قلت بالفعل في سياق هذا العمل، أن بعد التخلي عنهم كحمقى بعد التخلص من كل القيود بغياب حكومة منظمة، وقد مشم العرب من القوضى سريعا، لم تكن ترغب في الازعاج الذي تصدره الإدارة المتأنية، ولكنها تحتاج، مثل جميع الشعوب، الى العدالة والأمن. أيضا، بعد المعاناة من جميع أنواع العقاب، بعد أخذ مكاني السارق والمسروق في آن واحد (الذنب والبريء)، أحسوا بالحاجة إلى أن يحكموا بحبوية انطباعاتهم. هذا المقطع من القوضى متعطش للنظام والقوانين المنطقية في حركة العقل البشري، ما يمكن العثور عليه بين جميع الشعوب، وهذا لا يخص العرب. يمكن الاعتماد على ذلك بالأدلة الواسعة التي أتيت لنا في الأحكام الخاصة بهذا الصدد، ولكن في حالة عدم وجود حسابات مسبقة، هذا ينبغي أن يشير إلى أن الأدلة تفتح أعيننا على الأقل، وأخذنا السياسية التي كانت مناسبة للمتابعة. على العكس من ذلك، لم تعرف يوما كيف تستغل الظروف المواتية الموجودة. وعيشا، كانت هناك قبائل ومدن توسلتنا دون جدوى لانقاذها من القوضى، وأن تتكفل شخصيا بمهمة حكمهم أو إدارتهم وعيشا، كانت

هناك طموحات قوية ونشطة قدمت لنا الدعم والضمانات؛ لم نقم شيء تقريباً، ولوقتنا عند كل لحظة بسبب أي صعوبة في التنفيذ. ولكن ما لم نرد القيام به قام به شخص آخر. بسبب الحاجة إلى النظام، أنشأ عبد القادر سلطته. هذا كان يتفوقه على القوضى، وحصل على الحب والاعتراف من الشعوب. كانت هذه السلطة الجديدة تركز على أساس أن العمل الحيري يمكن أن يلاحظ على الرغم من السياسة التي تجبرنا على قتلهم، ولم تعد عيون القبائل لا تزال تعيش عذاب القوضى تلتفت اليها. لقد فقدنا جميع مزايا الموقف. لكن لا يزال هناك وسيلة لإنشاء سلطتنا في محافظة الجزائر العاصمة، وهي إجبار وقف عبد القادر لتوسعه أبعد من محافظة وهران، ووضع باي على رأس التطري من اختيار من العرب، وهذا يعطينا في نفس الوقت ضمانات. يجب أن يتم تعيين قادة في جميع "الأوتان" (مقاطعات) في محافظة الجزائر العاصمة، التي أصبحت محددة في الأطلس، من أشخاص يستحقون الثقة، وفي الوقت نفسه يتمتعون بالتقدير من طرف المواطنين. كان تحت أوامر هؤلاء القادة شبوخ في كل إقليم. يتم تعيين البعض من القادة والشيوخ من قبل الحاكم الفرنسي، ولكن يتم تعيينه باختيارهم حسب نصيحة العرب، الذين ليس لديهم عذر بعد ذلك إذا لم ينصح لهم. كل قائد يجب أن يكون معه 25 أو 30 فارساً مجتداً، ولكل شيخ 4 أو 5 منهم. وفي هذه القوة العامة، ينبغي للمسؤولين أن يسهروا على النظام في أراضيهم، و اعتقال المجرمين وتسليمهم إلى العدالة. يجب أن يكون لديهم الحق في فرض

ملوكات معينة. يوضع مفوض فرنسي مع كل قائد، لضمان مراقبة تحركاته وتبلي سلطته لرئيسا لدى العرب.

وينبغي أن تدفع الحقوق للقادة والشيوخ، ولكن هذه النفقات في هذا الشأن، إلى جانب الفرسان المتبقين من الشرطة، يتم أخذها مما جمع في العاشور (العشر) التي يجب استعادتها وطلبها. وقد فرض القرآن ذلك وجعله واجبا بالنسبة للمسلمين. وعدنا العرب، عندما جئنا إلى أفريقيا، بالتغلب على المساهمات التي يدفعونها للأتراك، ولكن أيضا منذ أن برزت أعمالهم العدائية تخلينا عن وعودنا وكان من الممكن أن نسمع بالمساهمات التي تخرج من بين أيديهم من دون فائدة لهم، وليس من الضرائب الضرورية للصالح العام. هم يفهمون جيدا هذا التمييز لأنهم يعرفون بأننا لا نستطيع الحكم دون مال، وإذا حكمناهم بالعدل، ووفقا لأفكارهم، فلاهم لا يتأسفوا على ما قدموا لذلك. يجب أن يكون لكل "أوتان" أو مقاطعة صندوق منفصل، تديرها في الجزائر لجنة مكونة من اثنان من العرب وفرنسي واحد. تأخذ المحافظة من منتجات العاشور، ومن الغرامات التي فرضتها العدالة. الأموال اللازمة للمسؤولين للتعامل مع الموظفين والفرسان يتم جمعها، وما تبقى يستخدم في الأشغال العامة، وإغاثة الفقراء والمساكين من المزارعين. وبهذه الطريقة، السكان الأصليون يرون أننا لا نطلب منهم جزيات لمحتلين أراضيهم، كما كان ذلك في وقت الأتراك، ولكنها مجرد ضرائب شرعية مكرمة للمقاتلة

العامة. كما سيتم تحقيق أهدافهم على حد سواء. بعد عدة سنوات من هذه النظام من الحكم، عندما كان السلام والحكم الرشيد في الادارة، ثم جلب الازدهار في البلاد بوفرة، وازدادت الضريبة دون جهد، ويمكننا أن نطلب منهم مساهمة في نسبة متصفة لصيانة الحامية الفرنسية.

يخضع الأوروبيون الذين يقيمون في عزلة في "أوتان" (مقاطعات)، مثل السكان الآخرين، للشرطة الإدارية للشيوخ والقادة، ويحتفظون فقط بطبيعة الحال، بقضائهم. عندما يكون هناك ما يكفي من الأوروبيين في نفس المنطقة لتشكيل القرية، يكون لهم عمدة أو شيخ، بغض النظر عن الاسم، ولكن سيخضع هذا الأخير بدوره للشرطة الإدارية للقائد في المقاطعة، كسائر الشيوخ الآخرين، وفي الأخير كان السكان الأوروبيين في ريف، والقائد يؤخذ بشكل عشوائي من عشائر كل الأعراق (الأجناس)، ويعطى له اللقب الذي نريده، على الرغم من أنه يبدو لي من المعقول تماما الحفاظ على هذا الاسم المألوف لدى الجميع.

ينبغي لنا أن نتجنب في كل شيء يدخل إلى "الأوتان" (المقاطعات) بما في ذلك الفرنسية، كل الاضطرابات والتفصيلات لدى إدارتنا المدنية. دون هذه الاحتياطات، لما تمكنا من فعل أي شيء، وقد فتحنا بالفعل الباب لأسامة المعاملة أكثر من اللازم.

بشبهات فحوص أو ضواحي الجزائر العاصمة، لا تزال تقدم تقاريرها مباشرة إلى الحكومة المركزية، دون أي قائد وسيط، ولكن كان على السكان

الأمميين (الأممالي) أن يكونوا ممثلين بشكل فعال من التنظيم الحالي. قد نجدون أنني أعطيت جزء كبيرا لهذا الأخير، ولكن هذا هو السبل الوحيد لتحقيق الاندماج. ليكون العرب معنا، يجب أن نتعامل معهم بالمساواة. النظام المعاكس كان يبعد جميع الرجال من الطاقة. ولكن نقاء بوابتنا القوي، وموافقة جميع الناس العقلانيين، ولا يجب علينا أن نتعد عن أية وسيلة للحد من الاختلال. ينبغي لجميع النقاط الاستراتيجية للبلد أن تحتل بالمعسكرات، ومهدف لتصبح في يوم من الأيام، وعلى المستوطنين في الكثير من الأحيان الانتقال من قرية إلى أخرى لدعم السلطة. لا ينبغي أبدا التراجع أمام متطلبات المتمردين، الذين يصيبون بشكل صحيح وقوي، والعمل ضد المتمردين، مع العرب المشاركين والموضوعين تحت أوامر قواتنا، على أن تكون القيادة تحت مبادئ الإنسانية والعقل، وسببا للإقناع بأن ذلك لا يفصح عن التقدير المبالغ فيه للحياة الفردية، التي لديها تأثير على الجماهير.

يمكن العثور في الطبقة الأرستقراطية العسكرية للقبائل على المعارضة المرتبطة بالمشروع الذي نعرضه، لأنه المطالبات المحددة لم تجد حساباتها هناك، ولكن الديمقراطية ستكون لنا. السياسة التي يتم اتباعها بالنسبة للعائلات النبيلة المنشقة، التي لا تتسع وسائل الإقناع، سيكون عددها قليلا ويهدف إلى تحطيمها تماما، والرفع على أنقاضها عائلات الشعب الذين يعملون بالضرورة أمام النظام الجديد للأشياء على المحافظة عليها.

رأى حول الأرستقراطية العربية مبني على التطورات الإيجابية،
بعض النظر عن القياس بينها وبين كل الأرستقراطيات في العالم.
مقياس الأبعاد لا يغير من جوهر المسألة. نحن أرستقراطيون في عرش
النمل كما هو الحال في دولة كبيرة⁽¹⁾.

المرابطون باللقب أو العمل هم عادة الرجال السلميون الذين
يحتشدون دائما إلى جانب الحكومة المنتظمة والعادلة. يجب علينا أن
نعاملهم بالاحترام الذي يستحقونه. في الأخير، قد يكون من المناسب
التعامل مع ذكاء العرب عن طريق نشر بعض الكتب التي تعيد لهم
مختلف أذواق الأعمال الروحية، وإعطاء التعليم الليبرالي للشباب
ذوي الإرادة الكبيرة، والذين يمكن أن ندعوهم بعد ذلك للمناصب
العامة. وفي الأخير يجب العمل على أن يكون الشعبين شعبا واحدا.

(1) الجنرال فوارول الذي في الحقيقة كان يريد أن يصنع معروفا (أو
يقوم بكل أمر جيد)، ولكن لم تكن لديه المثابرة بما فيه الكفاية، حاول
تلقيد جزء من الخطة (المشروع) التي وصفتها للتو، ولم يجد معارضة
إلا من جهة الأرستقراطيين. وهم الذين اغتالوا قائد بني خليل شجاع الذي
لم ينتقم لموته. وبعد عام واحد استقال قائد كراشنة، الذي نأسف لضعفه،
والذي تعب من المزاعم التي قيلت ضده. تم إرساله لحضور اللقاء الذي
سيتم تعيين خليفته خلاله، ولكن ما كان ضد توقعاتني، أن القائد وافق في
تجمع المقاطعة على استئناف واجباته. حل الاجتماع، وخلال عودتي إلى
الجزائر، انضم إلى عدد كبير من رجال الشعب، ليصرحوا لي أن كل ما
حدث كان من عمل الأرستقراطيين، الذين استغلوا ضعف القائد والذي
أجروه بالتهديدات على الحفاظ على مناصبهم. وبعد شهر من وضع هذا
القائد الذي أصيب بالنفوس، اتخذت إجراءات ليمثل خليفته بشكل أفضل
المصالح العامة للـ "أوتان" (المقاطعة).

هذا أقل صعوبة مما نعتقد، وفي الحالة الفلسفة الدينية الحالية، يمكن أن
يكون لذلك تداعيات ضخمة بالنسبة لمستقبل الإنسانية.
مهما كانت طبيعة الحكومات التي نتركها تستمر في الوقت الحاضر
في الداخل، يجب أن يكون حول جميع الأماكن المحتلة بواسطة قواتنا
مطقة أكثر أو أقل امتدادا، يتم وضعها مثل مقاطعة الجزائر العاصمة،
تحت سلطتنا وتدار مباشرة بنفس الطريقة.

طريقة مقاومة العرب.

لقد نقاتل العديد من الرجال دائما، على الرغم من أن العديد منهم يحلم
بالسلام الدائم، ويفترض بأنهم سيقاتلون لفترة طويلة. ومع ذلك، فلم يتم
إعطاء أي شخص أي إشارة إلى نقطة توقف كمال الإنسان، فمن الممكن أن
نصل في يوم ما إلى هذا الوفاق العام الخالي من المتاعب. وفي الوقت نفسه،
الرجال يكافحون في هذا القرن كما هو الحال في تلك القرون التي سبقتها،
ولكن لا يجارب جميعهم بنفس الطريقة، وذلك لأنهم ليسوا كلهم في نفس
الظروف من الحياة السياسية والاجتماعية.

هناك من الشعوب الهمج الذين يقاتلون فقط من أجل الصالح الخاص
وبشكل فردي. الهجوم القوي يضعفه، ويقتله، ويذهب بعد ذلك. انها
حرب الوحوش المقترمة.

كما يوجد البرابرة الذين يناضلون من أجل مجموعة من المصالح الخاصة
قصد جمع المصالح العامة، أو تلك المصالح الخاصة بالقائد الذي فرضته
عليهم الظروف.

هناك، أو بالأحرى كان هناك أشخاص متحضرون قاتلوا وحاربوا فقط
للمصلحة العامة، حيث كانت المصالح الخاصة متعلقة بقضية عامة، والتي
كانت قضية شخصية لكل مواطن.

وفي الأخير، هناك شعب متحضر، أكثر أو أقل حرية، أكثر أو أقل عبودية، والذي يجد أنه مهما كانت طبيعة وكثافة المصالح، فإن ذلك لا يستحق كل هذا العناء حتى يتم قتلهم، ويتولى هذه المهمة الفقراء الذين يتم شراؤهم بالمال، أو غير الساكنين الذين يدينهم يدين، إذا لم يكن لديهم في محافظتهم الخاصة (المال) الوسيلة للتغلب عليها.

العرب في الفئة الثانية من بين هذه الفئات الأربع. أما بالنسبة لنا، يمكننا أن نقول بأننا نتمي لجميع هذه الفئات دفعة واحدة، أو أننا كنا نتمي إلى هذه الفئات على التوالي في فترة قصيرة من الزمن. وفي ظل الجمهورية وجزء من الإمبراطورية، كان علينا أن نتمي إلى ثالث فئة. نحن الآن في الرابعة، والعادات الخاصة بالنزاعات أو الحروب الفردية تضعنا في بعض النواحي في الفئة الأولى.

الحروب التي كان العرب يقومون بها من قبيلة إلى قبيلة ليست دموية كثيرا وقصيرة الأجل، والمصالح التي وضعت الأسلحة في أيديهم لم تكن حية وليست دائمة؛ لكنها كثيرا ما تتكرر في بعض الأحيان لمختلف الأسباب. هؤلاء الناس ليسوا حاقدين، لكنها عصيون جدا ويتسرعون لاستعمال الأسلحة. يتم تخفيض هذه الخلافات إلى سباقات، وإلى مفاجآت تسمى "روزيا" حيث يتم تهب القرى أو الدواوير، وفي بعض الالتزامات يكتفي فرسان كلا الطرفين ببساطة بتبادل بضع طلقات النار، من دون التوصل إلى القتال الجسدي، إنها فعلت ويحدث هذا بوجود القليل من النظام. القيلتين العدوتين، توضعان في

جموعات مختلطة، لتتقدم على مسافة معينة من بعضها البعض. ثم يخرج عدد من الجنود من كل موقف على التوالي، على طول منحني التي حيث يواجه العدو بالوصول في هذه المرحلة، يقومون باطلاق عبارات نارية من البنادق الخاصة بهم، ويعودون إلى منتصف المجموعة ليتقدم صف آخر من المنحني. في حالات نادرة حيث يتعلق الأمر بالسكاكين أو الأسلحة البيضاء، يحول الفرسان بعد تجريدتهم من الطلقات النارية، السلاح إلى اليد اليسرى، لوضع السيف في اليد، ويصدرون تعليقات بالهجوم مع ما يكفي من القرار. يتمتع العرب بانتظام على هذه المناورة، التي تعد واحدة من حلقات جميع المهرجانات والاحتفالات. تسهر نساء القبائل على حضور هذه الأنواع من البطولات، بالهتاف للفرسان الذين يظهرون مهارة وقوة أكثر، لابعاد السخرية والتهكم لدى أولئك الذين مروا بتجربة الهزيمة أو بعض الإحراج. عادة ما يكون المرابطون المستعدون لاعادة الانسجام بين القبائل. هذه مهمة إنسانية بالنسبة لهم وأسهل بكثير من الكراهية التي لا توجد بكثافة بين العرب. ومع ذلك، فقد رأينا حروب القبائل التي انتهت بالتشتت التام للمهزومين. وبهذا طرد أولاد ماضي من سهول حمزة، قبيلة أرييل، التي جاء جزء منها ليستقر في رسوتا تحت إدارة الجنرال فوارول. في بعض الأحيان تنتهي الحروب بخطأ المقاتلين، وينسحب الفائزون على التوالي من جزء للذهاب لتغطية غنائمهم، ويحكوا عن مآثرهم لأسرهم. وفي أوقات أخرى تقوم القبائل بالكثير من الاساءة بحيث لا تترك لهم فرصة القيام بذلك.

وقد قال لي العرب أن قبيلتين أسستا مشروعا مبهلا لا يحتاجه المعارين
الذين ذهبوا في نفس الوقت، وكل واحد منهم في جانب، ولكن بعد عبور
سرايت مختلفة، وصلوا إلى أرض أعدائهم، الذين تركوا من دون الدفاع،
ودمروا بسهولة، بحرق المنازل وأخذ الماشية وحتى النساء والأطفال، دون
أن يتركوا ما كان يحدث لهم. عندما عرفت الحقيقة من كلا الجانبين، لم يكن
عليهم إلا إعادة ما أخذوه، وتم استعادة السلم تلقائيا.

الفرسان العرب مسلحون ببنادق طويلة، يحملونها على الكتف، إلى جانب
مسدس أو مسدسين، بوضعان في حامله المسدسات في حزام الكتف،
موضوعة من اليمين إلى اليسار، بالإضافة إلى سيف أو سكين، يدعى
بالتاغان، بينما يوجد لدى البعض منهم بعض الرماح، ولكن كان يوجد لدى
القادة والفرسان الأغنياء بنادق و مسدسات ثانوية تتناسب مع صهوات
أو سراج الحبول، تحمل الحرايطيش في حقائب صغيرة، أنيقة جدا ومرمجة
للغاية، توضع، مثل ما في بلدنا، من اليسار إلى اليمين، والتي يمكن أن
يحملوها بسهولة أمامهم. بوضع حامل المسدسات والحقيبة فوق "الحايك"،
وهو نوع من الملابس المصنوعة من المواد الخفيفة، التي تحيط الجسم وتغطي
الرأس، حيث تدعم بنوع من العمامة، تدعى "ريت"، وتتألف من عدة
أدوار (دورات) من جيل أو قماش مصنوع من وبر الإبل. والحايك ضيق
على الجسم بمختلف القطع من المعدات، وبوجود حزام، تسهل الحركات
كثيرا. ولكن العرب يضعون فوقه "برغوسا" وفي بعض الأحيان برنوسين،

وما يجعل الزي غير مريح تماما: يجب أن تكون معتادا على ارتفاعه جيدا حتى
لا تشعر بالخرج والانهيار من هذه التلخمة من الأقمشة، التي تتركز على
التواء وتجعل الحركات أقل حرية. وفي القرى الأفريقية التي تشهد نوعا
من التقدم، مثل مصر وتونس، يشبه زيا الموحد زيا قواتنا المسلحة، الخالية
من كل ما لديها من رداة. وعلى العكس من ذلك وبسبب هذا الخوس
الطغولي الذي يعجزنا، قمنا بتدريب الأفراد الأصليين، أو بالأحرى الأفراد
المختلطين، لأنها تتألف من العديد من الفرنسيين والأفارقة، وقد احتفظنا
بكل الزي الشرقي، بينما أفراد يرتدي الزواوة، بصرف النظر عن عدم لزوم
العمامة والحجم الهائل للسرارويل، زيا مبهرا تماما على نحو مناسب، ولكن
زي "سياهيس" العاديين، في هذا الصدد، هو مجرد محاكاة ما حرة للعرب
ومعقولة قليلا وبدون سعي للغاية.

العرب الذين يرغبهم فقرهم على القتال بالمشي على الأقدام، و"القبائل"،
الذين يعتبرون كلهم تقريبا مشاة، يحملون جميع أنواع الأسلحة من المدافع
والبنادق والمسدسات والسيوف، والياناغان وغيرها، ما لا يمكن أن نجده
عندهم هي الأقواس، أو السهام، كما رأينا في يد الجحافل والطرطيري،
عندما أخرجتهم روسيا إلى جنوب أوروبا في عام 1814 و 1815.
لدى "القبائل" تصنع الأسلحة التي لا يتم استيرادها من أوروبا أو بلاد
الشام. وتقدر ياناغان فليسة بأسعار مرتفعة، وهي في الواقع أسلحة جيدة
تماما. يصنع مسحوق البارود في عدة أماكن، لكنه ذو نوعية رديئة، وقليلا ما

يتم تصنيعه لأن صناعته بطيئة وصعبة، فجميع عمليات الحرس تتم باليد. كما هو الحال بالنسبة إلى عبد القادر، وعلى الرغم من أن سلطته لم تصل حتى الآن لإقامة مصانع، يبدو أن مثل هذه المصانع غير موجود في أية منطقة من مجلس الوصاية. لا يزال "القبائل" من يقوم بتصنيع كميات أكبر من المسحوق. وتكون أكثر في جبال جنوب بجاية من أي مكان آخر.

يتوقف العرب في الريف ومعهم القليل جدا من المؤونة. يحمل كل فارس في الخفاف التي يرتديها، والتي تدعى "جبرن" قليلا من الشعير لحصانه وبعض الفطائر له. "جبرن" العادية عبارة عن قطعة كبيرة وضيقة، مصنوعة من الجلود، وعملت بشكل جيد وزيوت للغاية. تشبه في الشكل تلك التي تحملها فرقة الفرسان لدينا. وتوضع معلقة على السرج. هذا السرج يشبه شكلا من أشكال السرج المخطط لدينا، وهذا يعني، أن المقبض والتصل لديه مرتفعين بشكل مفرط، حيث تم تصميمه تماما للفارس، ويربط الحزام وحالة الصدر إلى الحصان. ركاب السرج واسعة جدا وقصيرة جدا. يتكون اللجام من دعامتين أمامية ولحاح الخلق. الكنايب الصلب جدا، لديه عصابة لمرآحة لحية (القرن) الحصان، وكل شيء تم تسخير به بشكل ذكي ومريح، ويمكن تكيفه مع الخيل في لحظة. لا يوجد في بلدنا مثل هذه الأحزمة الكثيرة الأمر الذي يجعل ربطها صعبا، ويبدو أنه أصعب مما تقوم به نحن كفن له قواعد وجدل، وهو الفن الذي كسبته عن الناس الذين لديهم شيء أفضل من هذا للقيام به. ولم يكن ملوك فرنسا مزعزين لتثبيت مبادئ بأوامر المختصة.

حاول الساميس المنظمين الإبقاء على الزخارف العربية، وكانوا على حق، لأنه أفضل بكثير من الزي الموجود لديهم. القروسية أقل علمية لدى العرب بالمقارنة معنا، ولكنها أكثر انتشارا. لديهم القليل فقط من حملة الدروع، لكنهم فرسان جيعة. وباختصار، هم محزون عنا في هذا الصدد. لا أحد يعرف أفضل منهم كيفية استخدام الخيول، ويحصلون على الجهود التي لا تجزو على طلبها. صحيح أنهم يقومون باستخدامها بسرعة إلى حد ما.

العرب هم أيضا مشاة جيدون، ولكننا نستحق هذا اللقب في ذلك أيضا. ويمكن أن نتجاوزهم عند المشي ونحن عمليون. لأننا أقوى عموما. هو يعيشون الحرمان كعادة وليس كشيء مؤقت، وأشك أن في وسعهم المحاربة لاحتياجات شديدة ورهية كما يرجح أن يفعل الفرنسيون ذلك. هذه ما ينتج عنه تشكيل مجموعة من مختلف الأجناس المقسمة أو التي تعبر الأرضية الغنية لبلاد الغال (فرنسا)، وهم في هذا الصدد كالبغال يعيش بكل شيء وبلا شيء. يذهبون بسهولة إلى السرقات للرفاه، ولكن مزاجهم الحديدي لم يخلف إلا قليلا فقط.

في الحروب التي شنوها ضدنا، لم يغير العرب شيء تقريبا من طريقتهم في القتال. ومع ذلك، في الأوتة الأخيرة، شهدنا في بعض الأحيان تقديم خطوط منتظمة إلى حد ما من المحاربين، بدعم من الفصائل الاحتياطية. في الجزائر لم يتوقفوا أبدا صدمتنا، وكانوا دائما متشربين بين أصدفنا التي

يعودون لمضايقتها في تحركات انسحابنا، هذا التكتيك، هو أفضل ما في وسعهم وأحياناً يوظفونه بطريقة ناجحة تماماً، هجماتهم المقسمة لم تكن قوية و مدفوعة بشكل كامل في بوجي (بجاية)، خلال رحلة الجنرال دهريمونت.

ولكن بصفة عامة أي عمل على الأرض، وأدنى التحصينات هو بالنسبة للعرب قلعة منيعة، على غرار الإغريق هو مبروس، الذي حاول أن يؤذي العدو من خلال مواجهة أقل، دون أن يرتبط بأدنى فكرة عن عار الفرار، عندما لا تبدو الأمور لصالحه. قال لي أو أحد منهم بهذا الصدد: "لا أحد يحب أن يقتل، أكثر مما هو موجود عندكم. ولكن هنا، عندما يتفوق الخوف من الموت على المشاعر التي تدفعنا للقتال، تقوم بالانسحاب، بينما يظل جنودكم في مواقعهم، بالرغم من الخوف، وعادة ما يكون ذلك طاعة للزعراء الذين تمثل مهمتهم في الموت (أن يقتلوا) دون أن يعرفوا لماذا، وهم من تتجلى فيهم هذه الفكرة". الجيوش مؤلفة لتكون خامدة ومقاتلة بالصدفة، لصالح ليست خاصة بها وستكون لا شيء، بدون فئة ضباط المهنة الدائمة الذين يعملون للمصالح الجماعية، ويشرفهم دعمهم للدولة، ونتيجة لذلك يكون موقفهم الشخصي بالجبن كحل وسط. تتقاتل الشعوب من أجل مصالح الجميع، لكنها لا تمثّل دائماً منظمة عسكرية مدججة، ولكن على الرغم من أنها لا تنحصر على الخطر مع مثل هذا الزهد، إلا أنها نشن حرباً بمثابة أكبر، في كثير من الأحيان ويقدر أكبر من النجاح.

تنا داتها نابالغ في عدد العرب الذين تقاومهم، وفي الحقيقة، لم تواجه في الجزائر الحقيقة قوات أكبر من قوات بلدنا، إلى جانب إطلاقهم النار كثيراً كانت هذه بدعة، أو بالأحرى ضعف كان من الصعب جداً إبعاد الجنود عن توعدهم على ذلك. وخلال الرحلة الاستكشافية التي اكتشف فيها الجنود البرنوس، أطلقوا ثلاثة إلى أربع مائة طلقة نارية من بنادقهم إلى الأعلى. والجندي الذي يصبح في حالة سكر بعد حصول الضرباء، التي أنحها بنفسه، يعتقد أنه شهد التراما حقيقياً، بينما في معظم الأحيان لم يكن ذلك حتى مجرد ظل. تساهم مغالاة رسائلنا الإخبارية بقوة لإعطاء شياطين الجنود المفاهيم الخاطئة حول الحرب. السماح لهم بالاعتقاد أن القضايا النافذة هي صفقات الكبيرة، يعرضهم إلى فقدان السيطرة على أنفسهم ومواجهة خطر حقيقي. وهو شيء لم يفكر فيه جنرالنا كثيراً. هذه الكذبات الرسمية لا تضيف شيئاً إلى مجدها السابق، قد يعرض نجاحها في المستقبل للخطر.

كما كان العرب بعيدين عن مركز العمل، كانت تجمعاتهم صعبة وقصيرة المدة؛ ولكن منذ هذه السياسة الخاطئة للجنرال ديميشال الذي ترك قوة عظمى ومستقلة تستقر في محافظة وهران، فيما كان الجنرال إبرلون يعاني من التوسع إلى أبواب ميناء الجزائر، وهذا ما سيصبح أسهل وأكثر خطورة. لقد مررتنا بتجربة حزينتة خلال النصر الذي حققه عبد القادر على الجنرال تريزيل. بعد أن أمضي عدة أيام في جيش عبد القادر

استطاع أن أمطر تفاصيل محددة حول هذه التجمعات المسلحة لدى العرب، مع أن الكل لا يمثل معا مجموعة كاملة مثل تلك التي توجد لديهم، والتي تدبرها الإرادة القوية والنيرة لهذا الرجل الرائع.

عندما ذهبت، كمسافر بسيط، مع عبد القادر، عاد الأمير من البعثة التي وضعت تحت سيطرته محافظة التيطري وجزءا من الجزائر العاصمة. يتألف جيشه من 1200 من المشاة، ممن يشكلون هيئة دائمة، و 5 إلى 6000 رجال من القبائل، مجهزون بكافة التجهيزات تقريبا، ولكن في هذا العدد، يجب أن نحسب مجموعة من 3000 رجل من الفرسان المميزين، وكان البقية كتلة من خليط من الناس المسلحين والمجهزين بشكل سيئ. تتألف المدفعية من أربعة أجزاء خفيفة، ولكنها كانت سيئة بمختلف عياراتها، موضوعة على عربات، كانت هذه العربات مترهلة وبذراعين مرتبطتين باليغال المخصصة لسحب المدفعية. تم نقل الذخيرة على البغال، وكان هناك في الجيش عدد كبير من البغال والجمال لنقل الخيام والأمتعة. كان مع الأمير خمسون فارسا (موكالية) دائما ومجنذا، وهم يشكلون حرسه الشخصي.

بما أننا في وقت الحصاد، كان الأمير لا يحتاج إلى الكثير من الناس، وقام تدريجيا باستبعاد فرسان القبائل التي أبتعد عنها واستبدلهم بفرسان القبائل التي اقترت منها، بحيث أنه مهما حصل من كل جانب، لم يزد جيشه، وثبت على الرقم 7 إلى 8000 رجل. لكنني اعتقد أنه إذا كان يريد

أن يحصل على كل شيء لم يكن عنده دائما، كان بإمكانه أن يجمع خلال تقديم الأراضى من الضفة اليمنى من الشلف من 25 إلى 30000 رجل، في خطوات الانتقال من معسكر إلى آخر، كانت الأمتعة والمدفعية، والمخيمات، تنقل تحت حراسة من المشاة المجندين وتلك المجموعات من الأشخاص غير المسلحين جيدا، والتي تحدثنا عنها في وقت سابق. سار الأمير مع الفرسان في خط معركة متواصلة بعمق متفاوت، ولكن بشكل كبير جدا، وعلى مئة قدم ثبت على كل جناح سرب بشكل منتظم. وقف عبد القادر في الوسط، وأحيط به الضباط الرئيسيون وتواجد وراءه جيشه (موكالية)، الذي كان يرفع رايات عائلة، وقد تقدمه اللواء العام. وقد وضع هذا الأمير ببساطة شديدة ودون أي أنواع من الزينة، و وضعت فوق رأسه مظلة من ديباج الذهب فقط.

تم ترتيب المخيم بالطريقة التالية: كانت خيمة الأمير جميلة وواسعة جدا، في الوسط، وكانت تحت حراسة "الشاوشر" فقط أو المحضرين. حول هذه الخيمة، وعلى بعد مسافة معتبرة، كانت تلك الخيمات الخاصة بالأمناء، وتلك الخاصة بـ "الموكالية" إلى جانب الشجر العام. وكان خمس أغوات قريبين من الأمير وكانت مواقعهم في اتجاهات ومسافات محددة من خيمة أميرهم. أما القاييد الذي وضع تحت أوامرهم فاستقر بنفس الطريقة حول الأغوات، وشيوخ والفرسان حول قائدهم. شكلت ساحة المخيم مربعا بأربعة زوايا حيث وضعت المدفعية.

وضعت حيام المشاة المجهزة على الجوانب الأربعة للمخيم، التي تحده، وبهذه الطريقة كانت المشاة تغطي القوسان، ثم رفع المخيم وتعدده بسرعة تثير الإعجاب، دون أن يبدو بأن أحدا تلقى الأوامر في هذه العملية، وفي وقت المفارقة خرج الأمير من خيمته وذهب للجلوس على كرسي وضع أمام المدخل الرئيسي، حيث كان يسمح للجميع بتحيته.

وفي الوقت نفسه، تم إزال خيمته وتحميلها على الجمال؛ وبهذه الإشارة، تم تنزيل جميع الخيام الأخرى وحملت بنفس الطريقة. عندما وصلنا إلى موقع المخيم الجديد، كانت خيمة الأمير هي الأولى التي نصبت، وتلتها بعد ذلك الخيام الخاصة بالأغوات في الاجتماعات والمسافات المحددة، ثم تأتي خيام الآخرين من حوله. وقد تم كل ذلك في رمشة عين، ودائما بنفس الطريقة، بحيث كان المخيم لا يزال بنفس المظهر.

ساد النظام الكبير في جلسة واجتماع هؤلاء الرجال المسلحين مثل القبائل العديدة والمختلفة. بعيدا عن الصراخ والشجارات والشتائم، كان الجميع يعيش في السلام والاتحاد. كل يعرف ما عليه أن يفعل، ويفعل ذلك دون تردد ودون صحيح. ومع ذلك لم يكن هناك أية قواعد للاتضباط كما هو الحال لدينا. كل شيء واضح فيها بنحس النداء، تفتيش الحراس والمعاقبة، بشدة مثيرة للضحك. أعترف بأنني كنت متفاجئا كثيرا بالرؤية السلام والنظام في المخيم. هذا ما جعلني أقوم بتأملات حول الغرور في قوانيننا الشهيرة على الخدمة الداخلية للحملة. صحيح أن العرب ليس لديهم تجار النييل. هذا ما يفسر الكثير.

لقد حذرت القارئ بأنه لا ينبغي أن نحكم على جميع اجتماعات العرب بالاستناد على تلك التي وصفناها. ومع ذلك، كان يجب على جيش باي تسليطة أن يكون لديه نفس العناصر التي توجد لدى عبد القادر؛ ولكن أشك في وجود حسن النية والتفاني للزعيم، في الواقع، لم يكن أحمد باي إلا ذبلا للحكومة التركية، في حين يبدو عبد القادر أنه قد دق ناقوس الخطر من الجنسية العربية، التي يجب أن تثير بالضرورة التعاطف لدى الشعوب الأصلية. أما بالنسبة للتجمعات التي كانت لدينا "للقتال" في ولاية الجزائر العاصمة، فقد كانت دائما قليلة ومفككة، حتى تلك التي كانت في سوق علي، تحت إدارة دوق روفيجو، و"القبائل" في بجاية أكثر عنادا من عرب الجزائر، لكنهم ليسوا أكثر اتحادا.

وقال عدة أشخاص أنه كان من المستحيل الوصول إلى العرب، وبالتالي التخلص منهم. هذا غير صحيح، في البداية اعتقدت ذلك، وقد ذكرت في المقال السابق بأننا نسير بشكل صحيح، ونادرا ما كنا نلجأ إلى استخدام القوة، ولكن عندما يصبح العمل ضروريا، ستكون هناك وسيلة لدفع الحرب إلى النهاية، لا سيما في ولاية الجزائر العاصمة، حيث يكون العرب أكثر قابلية للخسارة من أي مكان آخر. للقيام بذلك، لا ينبغي أن لا نسير ضد قوات متحركة مثل ما كانت القوات الخاصة بهم، وبشكل متكتلاتنا الثقيلة، والنشر ضدهم ما هو مميز من تركيبات الاستراتيجية غير المجدية تماما في هذا البلد. لا يجب أن نفقد صلاحية أننا نعطي منظمنا العسكرية

في مدن ومناطق أو طان محافظة الجزائر العاصمة.

الجزائر العاصمة.

الجزائر عاصمة الممتلكات الفرنسية التي تقع شمال أفريقيا، وتقع على خليج مفتوح جدا يمتد بين خليج أو كيب كاكزين وكيب مانيفو. الميناء واسع جدا وغير آمن. ومع ذلك، هذا ليس موقعا بحريا غير مهم، لأنه لا يشكل إلا بعض الأخطار التي تهدد الملاحة في شهري فيفري ومارس. ومن المؤكد أيضا أنه في حرب بحرية سيكون من المفيد جدا لفرنسا.

بنيت الجزائر إلى حد كبير على منحدر تلي حاد. المدينة السفلى، وهي عبارة عن سهل، تعبرها ثلاثة طرق رئيسية تؤدي ثلاثتها إلى مكان الحكومة، والتي تحتل المركز. هذا المكان الذي يطل على البحر، واسع جدا و سوف يكون لطيفا جدا عندما تكون المنشآت التي يجب أن تحيط به قد تم بناؤها. البلدة العلوية هي متاهة من الشوارع الصغيرة الضيقة والمتعرجة. وواحدة منها فقط طويلة وأوسع قليلا من الأخرى. هي

في العديد من الحالات. ولكن يجب ألا تكون لديها هيئة عظيمة من 1800 حتى 2400 من المشاة والفرسان والمدفعية الذكية والمجهزة بشكل صحيح. وتحتل معهم الغذاء والدخيرة. وتشكل هذه الهيئة ذاتها رأس العمود وعندما تغطي بالعدو، سيحاولون صده إلى النهاية. في البلدان المكتشفة حيث الكثائن ليست عظيمة، تحمل مجموعة الفرسان بالمؤن، ويختار كل رجل عدوه، ولا يتوقف حتى يهزمه. فمن المؤكد أن شعبنا الأكثر ارتفاعا سيصل على الأقل إلى المناطق الخاصة بالعدو. في الأماكن التي يمكن للمرء أن يخشى الكثائن، ينتظر مشاة جيش الفرسان للعبور معها في الممرات الخطيرة واستئناف طريقها بعد ذلك، هناك صفوف منتظمة تتبع المجموعة الخفيفة من المشاة، لدعمها في حالة الفشل، بدعم من المجموعات المدججة. تتمتع بهذه الطريقة بفوائد التكتيكات الأوروبية وتلك المتعلقة بكيفية القيام بحرب العرب. يجب أيضا جعل القوات منظمة وأكثر تفتنا، وإزالة الأشياء الكثيرة غير المجدية، واستبدالها بالجهال كوسائل للثقل بدلا من الجرارار.

كتبة الزواوة وهيئة "سباهيس" المنظمة يمكن أن تشكل نواة هذه المجموعة الخفيفة من الفرسان، التي يكون اسم الفيلق الأفريقي مثاليا لها.

تلك الموجودة أسفل المدينة، والتي تؤدي إلى القصبة، حيث أخذت اسمها.

يشكل عام الجانب المادي للمدينة هو مثير للإشمئزاز. البيوت التي ليس لديها نغمة أي فتحات خارجية، هي متقاربة جدا بحيث تلمس بعضها تقريبا من الأعلى، والممرات الضيقة التي تسمى الشوارع، هي، في الواقع، قنوات مظلمة يمكن أن تتخلها مثل المجاري. لكن بعد بضعة أيام من التعرف على هذا البناء، الذي تعارض فيه حرارة المناخ على بقية المحاسن. لم نصطدم إلا بالحركة الاستثنائية الموجودة في هذه المدينة، التي تزدهم شوارعها باستمرار مع حشد متافر وغير متجانس من الناس بتنوع ذبهم وعاداتهم، مما يعطي صورة أكثر تنوعا وإثارة للاهتمام.

الرغبة الكبيرة التي كانت لدينا هي أن نجعل من الجزائر واحدة من المدن الأوروبية، بتوسيع وتصويب الشوارع الرئيسية، التي كانت على نحو غير مناسب في كثير من الأحيان، والتي تحتاج إلى العديد من عمليات الهدم. الإدارة التي وضعت كل الإجراءات الرسمية للتدمير، والتي ذكرت بإعادة البناء، وعارضت ببطء قراراتها في نشاط الأفراد الخواص الذين كانوا يسعون إلى استبدال المباني المغاربية التي حطمتها المطرقة الإدارية بمباني أوروبية، مما أدى إلى مرور مدة أربع سنوات من التدمير دون إعادة البناء. لكن في الأخير، ومنذ عام، تمت إزالة بعض الخواجهز، وبدأت الجزائر العاصمة الجديدة في الظهور من تحت أنقاض القديمة. ولكن من المؤسف أن نتخل تماما عن الهندسة المعمارية

العربية التي كانت رشيقة جدا ومناسبة جدا للمناخ، وسيكون من السهل جدا وضع بضعة تعديلات طبقية لتغيير عاداتنا. نحن قد عرفنا من قبل الجزائر من وجهة نظر عسكرية، ونحدثنا عن جدرانها وحصونها، كما كانت في ذلك الوقت الذي احتلها فيه الفرنسيون. ونحن لن نكرر ذلك. كان يسكن في البلدة في تلك اللحظة 6000 أوروبي بما في ذلك الموجودون في ضواحي المنطقة، و14000 (14 ألفا) من المسلمين 5000 من اليهود.

يمكن أن نضخم هذه المقالة بمجموعة من التفاصيل والاعتبارات عن الجزائر، ولكن وجدت بالفعل، بأنها ستجد مكانها في أجزاء أخرى من هذا الكتاب.

"الفحوص" أو ضواحي الجزائر العاصمة، هي منطقة جميلة حيث الطبيعة مميزة جدا و تعبرها مجموعة من الوديان العميقة الواسعة، وواقرة النباتات، العين هناك تحديق بفرحة في مجموعة متنوعة من المواقع الخلابة التي تنافس بعضها البعض، بحيث يجد المسافر صعوبة في التعرف على الأماكن التي لم يحل فيها بعد إلا بوجهتين أو ثلاث وجهات نظر فقط. كما أن الرقابة المثيرة للإعجاب، لا وجود لهذا إلا في هذا البلد الجميل، الذي يشبه المشكال البارز، ويدون التوقف عن التأمل المستمر لهذه المجموعات الجديدة.

يقطن الفحوص الآن سكان مختلطون يضمون السكان الأصليين والأوروبيين، وهي خاضعة تماما كما هو الحال في مدينة الجزائر العاصمة نفسها.

تقسم إلى سبعة أقاليم هي: بوزريعة، بني موس، زاوية، عين زبوجة، بئر
خادم، القبة، الخامة.

كل هذه الأحياء لديها قائد والذي يعتبر لدى الأهالي مثل الشيخ.
ولكن بالنسبة لنا فهو أكثر تواضعا من لقب شرطي. هؤلاء الشيوخ
تحت قيادة قائد الفحوص، الذي يقطن بالجزائر العاصمة، ويحصل على
راتب يقدر بـ 90 ستيا، لليوم الواحد. يوضع تحت الأوامر المباشرة
للقائد ومعه سبعة من الحراس الذين يتلقون نفس الأجر. راتبه كان
يقدر بـ 80 فرنك في الشهر. هو موضوع تحت الأوامر المباشرة للقائد
المرك. كل هذه المنظمة لا تخلو من العيوب تماما، كما ينظر إليها، لأنها
ترك الأوربيين دون رئيس (قائد)، باستثناء تلك القرى مثل القبة ودالي
إبراهيم، التي كان لديها ما يشبه رؤساء البلديات بلقب قائد الأحياء.
وينبغي تقسيم الفحوص إلى بلديات برؤساء بلديات أوربيين ونواب
من الأهالي. هذا ما يضمن العمل الإداري، الذي يعاني من نقص عمال
أو وكلاء للتوساطة في الريف، وجعل مراقبة أو رصد المرك أسهل
وأكثر انتظاما. في الحالة الراهنة، ترتكب مضايقات وأعمال عنف ضد
الحسين الواحد ضد الآخر دون أن يلاحظها أحد تقريبا. هنا يوجد
العرب الذين دمروا الممتلكات الأوربية، وهناك يوجد الأوربيون
الذين قاموا بالاستيلاء التعسفي على ممتلكات العرب، من قبل حراس
استولوا على ماشيتهم، وأراضيهم، ثم قاموا بالابتزاز بلا رحمة. هناك

من ضامن علنا لأنه وجد بهذه الطريقة وسيلة للحصول على فائدة
مضمونة من ممتلكاتهم: هذا اعتداء جماعي من المستعجل إيقافه".
بعد التعرف على كل الفحوص، يبقى لنا أن نتحدث حول كل حي
سكني على حدة.

بوزريعة تأخذ اسمها من جبل بوزريعة، الموجود فيها: بعدها من الشمال
والشرق البحر، ومن الغرب الساحل، ومن الجنوب بوايين بفصلانه، الأول
من حي بئر خادم، والثاني من حي بني موس. وتقسم أراضي الـ قسمين
إلى قسم السفلي الذي يمتد على طول البحر، والعلوي والذي يضم سهولا
من جبل بوزريعة وتوابعها. الجزء السفلي ضيق وجبل جدا وخصب جدا،
ويمتد لكيب كاكترين. الطلاقا من منطقة "يسكاد"، التي لم يزرها الفرنسيون
إلا نادرا، والور الذي يقطنونها، يعيشون في عزلة تامة. المسار على طول البحر
في هذا الاتجاه، والطريق الذي يربطه به في حالة سيئة جدا. ولكن هذا الجزء
الجميل من الفحوص، يستحق أن يعامل على نحو أفضل في هذا الصدد. عند
مدخل هذا الجزء السفلي توجد مزرعة الناي القديمة، والتي جعلها دوق
روفيغو مستشفى رائعا، على الرغم أنه جعل ليكون مكان إقامته في الصيف.
وبجانبه يوجد مستشفى سالياتريارة ويعيداه به يوجد حصن الإنجليز، ويوجد
بعيدا أيضا حصن يسكاد، الذي كان موقعا الأخير في هذا الاتجاه. بالصعود
من الجزء السفلي إلى الجزء العلوي لبوزريعة، يعطى الممرات أهمها تلك التي
تشكل الفحوص الغربي لبوزريعة: هذه المسارات نادرة ومثيرة. ومع ذلك، فهي

(1) تقسيم فحوص إلى بلديات حدث مؤخرا فقط. ستعرف به عندما نتحدث
عن إدارة الجنرال إيرتون.

مرحوب فيها جدا كواحدة على الأقل من الممرات الجيدة للسير في مصلحة استغلال المزارع في الأرياف البعيدة، التي تغطي قسم بوزريعة المناسبة جدا لزراعة أشجار الزيتون. يحتوي الجزء العالي في هذه المنطقة على عدد كبير من المنازل الموزعة التي يقطعها الممر، وهم في بوزريعة العظمى و بوزريعة الصغيرة، غير بعيد كثيرا عن الأولى، توجد منطقة المرباطين بسبدي يوسف. بعد هذه النقطة، هناك حضور قليل للأوروبيين في المنطقة. هناك في حبي بوزريعة يوجد 150 من الأهالي القادرين على حمل السلاح.

بني مسوس، على يمين الطريق المؤدي إلى دالي إبراهيم، وما وراء قصبة هولندا، يوجد حبي صغير لا مثيل له في الجبال والخصوبة؛ العديد من الأوروبيين لديهم ممتلكات هناك. هناك 42 من الأهالي القادرين على حمل السلاح. هناك قرية مور لحمل نفس الاسم.

عين زبوجة هي المنطقة التي تقع فيها قرية دالي إبراهيم، وهي جنوب بني مسوس قليلا أوسع وأقل جمالا من سابقتها. سكان المنطقة في حالة حمل السلاح بالنسبة إلى 67 من رجالها في هذا الحبي يوجد واد جميل يسمى القندوس. تم بناء قرية دالي إبراهيم في المقام الأكثر جفافا في البلاد. أردنا اختياره موقعا عسكريا كنتيجة مبهمة، وقد طسح بكل شيء من أجل هذا الاعتبار أو الحساب، الذي لم يعد أحد البؤر الاستيطانية التي كانت عندنا في القويرة. ما يمكن أن يكون جيدا لاقامة معسكر، وهذا بالتأكيد لا يكلف أي شيء بالنسبة إلى قرية زراعية، وكان على المستوطنين في دالي إبراهيم، في الصيف، جلب الماء على بعد نصف

ميل من منزلهم؛ في هذه القرية ذات المنازل البائسة تضم 230 شخصا الذين ولدت عليهم 304 هكتارا من الأراضي. إلى جانب دالي إبراهيم يوجد المعسكر الذي يحمل نفس الاسم، والذي تشغله كتيبة وهو يتكون من تكتات من طابق واحد من الطين وتم تغطيتها بالقش، ورتبت على شكل مقلع بأربعة جوانب القديم مظهر المعقل.

الزواوة، وراه بني مسوس، وباتجاه البحر، هو حبي مليء بالسكان إلى حد ما، ولكنه غير واسع كثيرا، ويقال إن الزواوة أخذوا اسمهم من الأتراك الذين استقروا هناك حوالي قرن من الزمان. هناك في زواوة 73 رجلا من الأهالي ممن يعملون السلاح.

بئر خادم هي أكثر المناطق اكتظاظا بالسكان في الفحوص، وهي تمتد على طول المسار الجديد بهذا الاسم، من مرتفعات مصطفى باشا، إلى جسر واد الكرمة: أنها تأخذ اسمها من مقهى مغربي جميل، و نافورة رائعة تحتل المركز، نجد في الفحوص العديد من المقاهي التي تستخدم كنقاط للقاء أو الاجتماع بين السكان، ولكنها ليست أكثر جمالا وأفضل موقعا من تلك الموجودة في بئر خادم. على بعد ربع ميل من المقهى، يوجد المعسكر الذي يسمى أيضا بئر خادم. نجد أيضا في أراضي بئر خادم معسكر تقصيرين، الذي يقع بين دالي إبراهيم، وبئر خادم، والسكان الأصليون لهذه المنطقة من المحتمل أن يحمل 221 رجلا منهم السلاح.

القبه، ما بين بئر خادم و"أراث" (الحراش)، على مرتفعات جنوب شرق

البليدة.

تم بناء البليدة في سفح الأطلس الصغير على بعد 12 ميلا جنوب الجزائر، في وضع جميل وعلى الأراضي الخصبة جدا والماء موجود فيها بوفرة. ليس هناك ما هو أكثر جمالا من هذه المدينة الساحرة، ويحيط بها حزام سميك من أشجار البرتقال والليمون. بنيت البليدة بشكل منتظم عن الجزائر، وعادة ما تكون الشوارع على نطاق أوسع وأكثر توافقا. ولديها جدار واحد فقط في حالة سيئة. سكان المدينة، الذين يشهدون تطورا واسعا، كانوا يقدرون ب اثني عشر الى 15000 نسمة، لكنهم يتراوحون اليوم ما بين 5 و 6000 فقط. شهدت المنطقة زلزالا رهيبا في عام 1825 مما أثر عليها، بما في ذلك قتل الكثير من الناس. حاولت الحكومة التركية إعادة بناء بعض المنازل الأبعد من الجبل، ولكن الحظيرة المسيجة فقط هي التي بنيت في هذه المدينة الجديدة. وهذا ما يسمى البليدة الجديدة.

القلية.

القلية هي مدينة صغيرة جدا، أو بالأحرى قرية من 1500 الى 1800 نسمة، بنيت على شاطئ مازافران الأيمن، على بعد ثلاثة أرباع ميل من النهر، وعلى مسافة من هذا القبيل من البحر. وتقع في واد خصيب، وتحيط بها الحدائق الجميلة. القلية هي مدينة مقدسة للعرب، أيضا، على الرغم من ضعفها، إلا أنها لا تخاف من هجمات الأعداء.

مصطفى باشا هذا الحي عرضة لازدهار الزراعة فيه، ولكن الجزء الذي يجاور متيجة غير صحي، وهذا هو المكان الذي هنا نجد المزرعة المعروفة بالمزرعة النموذجية، والتي من المتوقع أن تكون قد سميت هكذا، ولم تكن أبدا من المزارع النموذجية. تحت إدارة الجنرال كلوزيل، تم تشكيل شركة مجهولة لاستغلالها، لكنها لم تفعل شيئا يمكن أن يجعل المزرعة تستحق ذلك اللقب. قرية القبة الأوروبية كانت تتميز بموقع أفضل، على الرغم من أنها أكثر بؤسا من دالي إبراهيم، وكان لديها 92 شخصا تم توزيعهم على 150 هكتارا من الأراضي. على بعد نصف ميل من هذه القرية، على قمة المرتفعات، يوجد المخيم الذي يحمل نفس الاسم. منطقة القبة الأصلية لديها 136 شخصا قادرا على حمل السلاح.

الحامة، أصغر منطقة في الفحوص، وتمتد على طول البحر تحت مصطفى باشا والقبة. وهي جميلة رائعة وخصبة، والتي يجتازها طريق المنزل المربع، على طول البحر، وتلك المنطقة المسماة قسنطينة، على طول تلال مصطفى باشا، صعودا الى القبة، من خلال المقاطعة، ونزولا إلى الشرق سهول المزرعة النموذجية. نجد على هذا الطريق، على بعد ميل من الجزائر العاصمة، مقهى وقرية الحامة المعروفة بين الأوروبيين باسم "بلاتان". على طريق إاليت المربع، نرى مقهى حسين داي، وحي الفرسان الذي يحمل نفس الاسم ليس بعيدا عن الحديقة الشهيرة للتجنس. لا يوجد سوى 41 رجلا قادرا على حمل السلاح.

دلس.

دلس هي مدينة صغيرة مثل القليعة، وتقع على حافة البحر، عند سفح
ثلة مغطاة بالمساحات الخضراء. تقوم مع الجزائر، التي تبعد عنها بحوالي
19 ميلا، بتجارة نشطة نسبيا في الفواكه وغيرها من المنتجات. سكان دلس
مصريون في من صباغة القماش.

شرشال.

شرشال هي قيسارية (القيصرية) القديمة، عاصمة موريتانيا القيصرية،
التي أول لها جوبا II اهتماما خاصا لتجميلها. ولم تبق الا القليل من بقايا
القوة السابقة. وبالكاد تثل الآن ثلاثة الى 4000 نسمة. تحتوي المنطقة على
ميناء صغير، ويتكون من شريط من الأراضي البعيدة قليلا عن البحر، والتي
تبدو أنها وضعت بيد انسان. المدخل كان يحميه قصران مسلحان بالمدافع.
سكان شرشال حريون، وقد دافعوا دائما بنجاح ضد القبائل المجاورة عندما
كانوا يتعرضون لهجوم. كانت تقيم بعض التجارة مع الجزائر.

مقاطعة بني خليل.

بعد مقاطعة بني الخليل من الشمال الفخوص أو صاحية الجزائر، ومن الجنوب
مقاطعة التطري، ومن الشرق أراث (الحراش)، الذي يفصلها عن بني موسى
والى الغرب شقة ومارالمران اللذان يفصلانها عن مقاطعة واد السيت. وتتكون

من ثلاثة أقسام رئيسية وهي "الساحل"، سهل أو منطقة بوفاريك والجبل.
الساحل هي الأقرب في التقسيم الى الفخوص، وفي التضاريس، هي مغطاة
بسات المصطكي والبلغميط (النخيل القزم) والأش (نبات عطري) وغيرها.
تحتوي بعض الوديان الحصبة والمروية جيدا. مجرى الماء الرئيسي للساحل
هو واد كرامة أو نهر التين، الذي يصب في الأراث (الحراش)، ليس بعيدا عن
المرحلة النموذجية. ويتقسم الساحل إلى أربعة كانتونات أو أقاليم وهي أولاد
فايد (أولاد فايت) والمعالمة وبين شاوا (بوشاوي) والدويرة.
أولاد الفايد، الذي يوجد مقره بجانب البحر المجاور لسيدى فرج هو الاقليم
الذي تقل فيه الجبال في الساحل. يحتل المركز سهلا خصبا هو سهل سطاوالي،
الشهير بمعركة 19 جوان 1830. كل شيء في هذا الكانتون (الاقليم) يعود بنا
الى ذكريات تاريخ هذه الفترة، وهنا توجد سيدى فرج نقطة هبوط الفرنسيين.
الطريق الذي بنوه عبر الاقليم من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي
وهو عملي جدا، على الرغم من أنه لم تتم المحافظة عليه. طريق الدويرة بدأت
في 1833 وهي تمر الى شرق أولاد فايد. المراكز الرئيسية لسكان كانتون أولاد
فايد هي عين أسطاوالي والشرافة وأولاد فايد، وحوش شيو.
المعالمة منطقة واسعة، ولكن مأهولة بالسكان، بين أولاد فايد ومنيحة. وهي
منطقة جبلية وتعبرها وديان واسعة وعميقة. المراكز الرئيسية للسكان فيها هي
معالمة وحوش بن كندورة، وحوش بن عمرو ودعكنة والسعدية، وبندورة وبين
شعبان، وحوش توتة وحوش بيرى، وهي مزارع أو قرى قريبة من مزارع القواف.

والتي هجرت نتيجة هيب الحبوط. الطريق من الجزائر العاصمة الى القليعة، هو مسار سبي جدا يعبر هذه البلدة من الشرق إلى الغرب. الاتصالات بين جاني مازافران، يكون بمعبرين (جسرين) واقعين على بعد 1/2 ميل عن بعضهما البعض: الأول يسمى مقطع خيرة، وهو يوجد في رافد واد ومازافران وواد بوفاريك، في عمق أحد المرات، أما الثاني فيوجد في الجزء السفلي من الوادي: وهو المعروف باسم مقطع التصاري. المنطقة الموجودة فوق وتحت هذين المعبرين أو الجسرين عبارة عن غابة جميلة، هذه الغابة رطبة وتدخل في الجزء الذي يمتد الى سهل منيجة، وهو في هذا الاتجاه، ويبدأ على مسافة قصيرة من مقطع خيرة.

الدويرة، أقل هذه الكانتونات اتساعا في الساحل، ولكنها جبلية مثل المعالقة، الموجودة شرقها، وتتركز الكثافة السكانية في حوش باب حاسم والكرارية والدويرة وأولاد منديل، التي تقع عند سفح التلال. ويحتل معسكر الدويرة وسط البلدة.

بن شاوا، تقع في شرق الدويرة، وهي في جزء التلال من السهل. المراكز السكانية تتواجد في بن شاوا، وأولاد سليمان، وأولاد بن الحاج. الجزء الموجود في السهل تحتله غابة بثر توتة، التي تعبر الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة والبليلة.

يوجد حي بوفاريك كله سهل ويعبره من الشرق إلى الغرب نهر يحمل نفس الاسم، ويصب في مازافران بالقرب من مقطع خيرة: ثم

نفسه إلى ثلاثة كانتونات، والتي هي أوتا ومريجة والحمائد. توجد أوتا ما بين طريق البليلة والأراث (الحراش): هي ليست عصابة جدا في محيط هذا الطريق، ولكنها تغير مظهرها على ضفاف النهر: المراكز السكانية الرئيسية هي أولاد شبل، وهي واحدة من أجل القرى في السهل وقوريت وسوق علي، ومزرعة البيلك، حيث يوجد مبنى كبير، وحوش⁽¹⁾ بايل الغرب.

المريجة، كما يوحي اسمها، رطبة ومستنقعية جدا وتشكل المستنقعات فيها بالقرب من نهر بوفاريك. المراكز السكانية الرئيسية هي: حوش بن خليل ومريد وبوعاقب. بالقرب من هذا الحوش الأخير يوجد سوق بوفاريك؛ هناك عدة تيارات مائية (أنهار صغيرة) في هذا المكان، التي يعبرها طريق البليلة عبر عشرة جسور حجرية في حالة سيئة جدا. الحمائد هو الجزء الأكثر جمالا من مقاطعة بني خليل. فهي تمتد إلى سفح الأطلس، والمراكز الرئيسية السكانية فيه هي قرواو وزحلوقة وهي قرى كبيرة جدا؛ حوش أربيزا وحوش الشاوش ومزارع بيلك، حيث يوجد أيضا عدد كبير من المباني التي يسيطر على سوق بوفاريك: طريق السوق إلى البليلة يفصل بين الحمائد ومريجة.

جزء من مقاطعة بني خليل موجود في الجبل وهو غير معروف كثيرا. ويشمل قبائل "قبائل" بني مسرة، وبني مسوس وبني صالح، بني مسرة هي قبيلة ذات كثافة سكانية ضئيلة جدا؛ نسمي فروكة،

(1) الحوش هو مزرعة. - جمعة هي قرية. - الدشرة هو اسم القرى في الجبال. العرش هو مقاطعة فيها قبائل. - الدوار هي قرية من الخيام.

الجزء الثالث، 5.

جزء من أراضيها التي تلمس أراضي بني موسى. بني صالح توجد شرق بني مسرة، فوق البلدة، وتضم هذه القبيلة حوالي 500 بندقية، ولكن 7 أو 8 فرسان فقط، وهي غنية وخصبة، وكان قائدها العربي بن براهيم، الذي كان لمرتين قائد المقاطعة. كان شيخ بني صالح في سن 8 سنوات بعد وفاة والده الذي كان له هذا اللقب. بني مسوس توجد جنوب شرق بني صالح، تماما في قلب الجبل، وهي قبيلة صغيرة ترتبط بموقعها الى بني صالح.

يتم تقييم عدد سكان مقاطعة بن خليل بحوالي 3000 أسرة. من الصعب حكم هذه المنطقة المغيظة، ولكنها أقل شجاعة في السهل. يمكن أن تضم 700 فارسا و 1200 من المشاة. الحجوط، التي تعامل الناس بازدياد كثير في بني خليل، كتبت ضدهم أغاني مريحة للغاية، حيث يعرفون بتجار الزبدة الجبن. تحت إدارة الأتراك، كان هناك في "أوطان" (مقاطعة) بني خليل قائدين للعاشور، واحد منهما بقي في الحمايد، والآخر في الساحل. قائد "أوطان" (مقاطعة) كان له في البلدة الجبل، ملازم أول يحمل لقب شيخ المشايخ، وكان في نفس الوقت قائد العاشور لهذا الجزء من المقاطعة.

بالإضافة إلى العشر، تدفع المساهمات في "أوتان" (المقاطعة) كل شهرين، تقدر بـ 2,675 ريال دران صغر (1,605 فرنك). بين الاحتفال برمضان ويبرام حوالي 8,800 ريال (5,280 فرنك) المبلغ الموجه الى الداي وموظفيه. وأخيرا يأخذ القايد شهريا، 200 ريال أو 120 فرنك. ومجموع هذه المساهمات يرتفع بالتالي الى 16,350 فرنك في السنة.

الجزء الثاني، 5.

يحصل قايد "أوطان" (مقاطعة) أيضا على بعض السلع التي توضع للبيع في سوق بوفاريك: يحصل في يوم واحد على 1 بوجو أي 1 فرنك و 80 سنتيا. عن بغل، أو إبل أو ثور يتم حجزه، وكما كان يحصل على حصة كبيرة نسيا من جميع الغرامات: يقدم له زوار البلدية أسبوعيا ربعين من الأغنام، ومقدار شعير و 8 خبزات.

يوجد في حوش بن عمر في الساحل، أطلال أو آثار مباني تقول عنها التقاليد القديمة للمنطقة أنها كانت قصرا لأميرة مسيحية، تدعى متيجة، التي أعطى اسمها لسهل متيجة. هذه الأميرة، التي يقال أنها كانت ذات سلوك غير مضبوط جدا. هل كانت هذه كافا التي دفنها مارمول بالقرب من هنا؟

"أوطان" (مقاطعة) بني موسى.

"أوطان" (مقاطعة) بني موسى هي أقل اتساعا، ولكنها الأجل والأكثر خصوبة في محافظة الجزائر: يجدها من الشمال القحوص وفي الجنوب بني خليفة، وإلى الغرب الخراش، الذي يفصلها عن بني خليل وإلى الشرق منطقة كراتشة. وتسمى المنطقة بالخراش وجومة وهو النهر الغزير التي يصب بالضفة اليمنى تحت المزرعة النموذجية. تضم المنطقة قسمين رئيسيين وهما السهول والجبال. سهول بني موسى هي منطقة جميلة ذات كثافة سكانية عالية مقارنة مع بقية مناطق متيجة: تحتوي على 101 حوش مشجرة، وبالقرب بالماء وقرية من بعضها البعض، وتنقسم بدورها إلى سبع مناطق، وهي: شيرابة وأولاد حامد والخميرات وأولاد سلامة، والمرابة الشراقة وبني خورلي والمرابة الغرابية.

الجزء الثاني، 5.

وينقسم الجبل إلى سبع مناطق، وهي بني عزون و بني محمد، بني كشميت و بني زرقين و بني أثيا و بني جليل و بني غمد.

ويقام سوق بني موسى كل يوم أربعاء، في المكان الذي اتخذ اسم "أربعاء" هناك عند سفح الجبل.

تحت إدارة الأتراك كان هناك في بني موسى قايد للعشور. قايد "أوطان" (مقاطعة) غير محدد التعاملات: لم يكن لديه إلا الحقوق التي يحصل عليها في السوق، وحصّة من الغرامات. يدفع "أوطان" (مقاطعة) بني موسى مبلغا شهريا يقدر ب 700 فرنك، بالإضافة إلى العشر.

تستطيع بني موسى بالكاد توفير 200 فارسا و 300 من جنود المشاة.

"أوطان" (مقاطعة) خشة.

يحد "أوطان" (مقاطعة) خشة من الشمال البحر، إلى الجنوب مقاطعة بن لجياد و حمزة، ومن الشرق بقورصو، الذي يفصل بينها وبين "أوطان" (مقاطعة) إيسر، و من الغرب بني موسى. تروى المنطقة بواد الحراش، Arath والحميز وواد الرغاية و قورصو، وهي تلمس الفحوص بالقرب من مصب الحراش، فوق وتحت المنزل المربع. لعبور هذه المنطقة يوجد فوق النهر جسر حجري ناعم جدا من خمسة أقواس.

سهل خشة، بها في ذلك التلال بمثابة نوع من الطرق للسير إلى الأطلس على الأقدام، وينقسم هذا الاتجاه إلى 8 مناطق، وهي زروالة، في التلال التي تحدثنا عنها. هذه البلدة جميلة بشكل مثير للإعجاب. كما نجد القرية الكبيرة

الجزء الثاني، 5.

والجميلة كدرة، جنوب زراولة في السهل. ميريحة وأولاد أداغ وأولاد بسام،
وأولاد ساعد وشعير بن جنان وأرواش.

يضم جبل خشنة: في الوسط، قبيلة "قبائل" أمال، وفي الغرب قبيلة واد
الزيتون، التي يقطنها الكرغليون بالكامل تقريبا، أحفاد الذين تم نفيهم من قبل
الداي، منذ ستين سنة تقريبا. من الشرق قبائل بني عائشة. هذه القبائل الثلاث
غنية جدا بأشجار الزيتون، وتقيم مع الجزائر تجارة كبيرة في الزيت. طريق
قسنطينة الذي يعبر خشنة، يمر على واد زيتون. سهل خشنة خصبة للحبوب
بما فيه الكفاية: بعض المستنقعات بين المنزل المربع وكدرة، وعلى ضفاف واد
رغاية: هناك على الضفة اليمنى من النهر، على بعد ميل من البحر، مزرعة
جميلة بنفس الاسم، حيث يوجد ما يقرب من مستقر لـ 900 حصان، يمكن
أن يكون ذلك جميلا جدا ليكون موقعا عسكريا، ولكن ربما يكون غير صحي.
حوش رغاية على بعد أربعة أميال شرق المنزل المربع: في نصف هذه المسافة،
نجد راسوتا، حيث يوجد مبنى من الحجر في حالة سيئة. منطقة روستا يحتلها
العرب الذين جمعهم الجنرال فوارول تحت قيادة بن زكري. على بعد ربع ميل
من هذه المزرعة نجد حصن المياه (برج الكيفان) على حافة البحر: كان العرب
يسهرون على حراسته، وهناك بعض المدافع: على بعد ميلين من هنا يوجد
خليد وحصن ماتيغ، حيث لا تزال هناك بعض المدافع المثبتة.
خشنة غنية بالمراعي الخصبة والجميلة، وخاصة على حواف الحمير: حقق
الجيش الفرنسي، في عام 1833، حصادا وقيرا من التبن. في عام 1834، ذهب
الفرسان لأخذ الأخضر منه.

في هذه المقاطعات، بين كيب أو خليج ماتيفو ومصب الحمير، نجد آثار وبقايا روستانيوم، وهي مستعمرة رومانية تسمى أيضا روسغانيا أو روسكانيا أو روستيزيا. يحتفظ حوش الرغاية أيضا بآثار بهذه الأسماء. لا يزال في هذه المدينة يوجد الحطام الذي يشكل ميناء ومقاطع من الجدران المرتفعة قليلا، والتي تشر على مساحة واسعة إلى حد ما، حتى تحت الأرض، بعض الفيساء، ولكن لا يلاحظ أي شيء ملحوظ عن وجود حصن. يمكن أن نجد الميداليات وشظايا التماثيل. يجدها المرء في الكثير من الأحيان.

نرى في كانتون أو بلدة أولاد بسام، تخطيطا يتم الاحتفاظ بشكله جيد، ولكن الجدران هوت على الأرض. الحفريات تنتج أيضا بعض الميداليات حول هذه النقطة.

بالقرب من القرية الجميلة الخضراء، توجد أنقاض من قلعة قديمة والتي تظهر بناء رومانيا. يمكن أن تجمع 800 حصان و 1500 من المشاة.

أوتلزان إيسير.

يحد "أوطان" (مقاطعة) إيسير (يسر) من الشمال البحر، ومن جنوب حمزة من الشرق "أوطان" (مقاطعة) إيسير، الذي يفصله عن سباعو وإلى الغرب فورصور، الذي يفصله عن "أوطان" (مقاطعة) خشنة الحصية جدا، وإن كانت هناك بعض المستنقعات، ويحتوي على عدد كبير من القرى الصغيرة، جميعها قرية جدا من بعضها البعض: جانب إيسير الذي يقع في الجبل يشهد تجارة كبيرة مع الجزائر بالزيت. ورغم أن هذا "الوطن" (مقاطعة) يقع في ولاية الجزائر

العاصمة، إلا أن باي التيطري عين فيه قائدا. اليوم ليس هناك زعيم معترف به، ولكن منذ أن توقف بن زمون عن التصرف العدائي معنا، على الرغم من أنهم لا يعترفون بسلطتنا بأي شكل من الأشكال.

"أوطان" (مقاطعة) سباعو.

يحد "أوطان" (مقاطعة) سباعو من الشمال البحر، ومن الجنوب قبيلة قوية من "قبائل" فليسة؛ ومن الشرق الزواوة، وإلى الغرب من إيسير. وتسقى من إيسير، ويوبارك وواد سباعو، التي تتدفق في البحر.

قائد سباعو كان قويا جدا تحت الحكومة التركية، وكان لديه حق الحياة والموت، كما كان محاطا بالقبائل المستقلة، مما كان من الممكن أن يعطيه قوة كبيرة. عاش في حصن سباعو على نهر من نفس الاسم. مازال هذا الحصن مسلحا بستة مدافع، لم يعد يحتله أي شخص. على بعد ميلين إلى الشرق، كان هناك حصن آخر حصن يسمى تيزي وزو، الذي يقال انه قد تم تدميره من قبل العرب: على مقربة من هذين الحصنين كان يقطن العمراوة، وهي قبيلة قوية من "القبائل" والتي تمتد على السهول والجبال. وبالاتجاه إلى الشمال على بعد أربع ساعات سيرا على الأقدام من سباعو الحصن، توجد بلدة صغيرة تسمى دلس، على حافة البحر. ضواحي هذه المدينة تقطنها قبيلة "قبائل" فليسة البارد (فليسة البحر)، التي تعترف بسلطة قائد سباعو، والتي تمتد أيضا إلى القبائل "القبائل" في الجبال على مقربة من الشرق، من سهل متيجة. متقدم التسميات

الجزء الثاني، 5.

التالية حسب مقربة المناطق الى البحر: بني أوغانون، بني سيناد، بني سالم، بني يراتد، بني طهر، نزيلونة، وبني خلفون.

إلى الشرق من هذه القبائل يوجد "القبائل" المتكونة من القبائل الرئيسية مستقلة وهي زفون، كايلا، بني ايدل، بني عبد الله وبني أوغليس ومزاية التي تحيط أراضيها ببوجي (بجاية).

قبيلة فليسة موتاقة في شمال "أوطان" (مقاطعة) سباعو، هي هائلة وقوية جدا. وهي مقسمة إلى 19 كانتونا والتي يمكن أن تضع كل 400 إلى 2000 رجل تحت السلاح. تقوم فليسة بصناعة مسحوق البارود والأسلحة، والتي تتمثل في الغالب في الياتاغان، ولها سمعة كبيرة في البلاد: في أراضيها يوجد جبل جرجرة، وهو أعلى نقطة من الأطلس الصغير، ومترل كبير المرابطين بن ليري؛ وفي فليسة أيضا، ولكن هذه المرة عند مدخل السهل، إلى أقرب نقطة من ايسير يقطن الشهير بن زمون. منزله يوجد على بعد ميلين من برج منايل، مزرعة البيلك، التي تقع في ايسير، وتدعى بني ششة.

ولاحتماء سكان فليسة بنى الأتراك قلعة فوق سباعو، في مكان يسمى بوغاي، وهو تحت حماية حامية قوية. كان لديهم زمول في سباعو وفي تيزي وزو.

"أوطان" (مقاطعة) حمزة.

تقع مقاطعة حمزة خارج سلسلة الأطلس الصغير، وكانت تنتمي إلى محافظة قسنطينة، ثم تيطري، التي فصلت عنها منذ 8 أو 10 سنوات. سكن قايده

الجزء الثاني، 5.

"أوطان" (مقاطعة) في سهل حمزة، في الحصن الذي يحمل نفس الاسم، حيث كان هناك حامية تركية قوية دائمة. لم يكن يحكم فقط في السهل، ولكن في قبائل "القبائل" بلعزار أيضا، وأولاد بني الله، وأولاد مدور، معه قبيلة أولاد بليل العربية، التي تشكل معا مجموعة فرسانه.

تم غزو حمزة مؤخرا من طرف قبيلة قوية من البدو الرحل أولاد المعادي، التي يتزعمها أبيل دياب بن حامد العدو الكبير لحامد باي: لقد كتبوا لنا عدة مرات لعرض خدماتهم في حالة التوجه الى قسنطينة. في عام 1833، هزموا القوات التي أرسلها حامد باي في محافظة التيطري الذي يعيش في دريسا وراء جرجرة.

بنيت قلعة حمزة على أنقاض مدينة من أوزا أو أوزيا. العرب يطلق على هذه الأطلال اسم سور الغزلان. بعض هذه كان قائما في عهد "شو" الذي يجر العديد من المخطوطات أو النقوش اللاتينية هناك.

"أوطان" (مقاطعة) عريب.

عريب هي قبيلة عربية من الصحراء جاءت لتستقر في سهل حمزة، الذي كان له قائد خاص، المستقل عن قائد "أوطان" (المقاطعة)، منذ غزو أولاد المعادي، تفرقت عريب. أولئك الذين توجهوا الى متيجة تجمعوا بعد ذلك في حوش راسوتا تحت قيادة بن زكري.

"أوطان" (مقاطعة) بني جباد.

تقع هذه المقاطعة شمال مقاطعة الحشنة، وتتكون من الجبال والهضاب العليا: ويقطنها العرب وقبيلة "قبائل" كستولة. يوجد هناك الكثير من القمح وتزرع أشجار الزيتون والقوة (نبات صبغي). يعيش هذا البلد في فوضى عارمة. عين الدوق دو روفينو بن شنعان في منصب القايد، الذي اغتيل بعد ذلك. أراد باي قسطنطين أن يضع أحدهم على طريقته، والذي كان دلي حاسم كرجلي من أولاد زتون، ولكنه طرد من طرف السكان.

"أوطان" (مقاطعة) بني خليفة.

يحيط هذه المنطقة من الجنوب والغرب محافظة التيطري، يحدها من الشمال بني موسى، وإلى الشرق بني حمزة وبني جباد: ويسكن فيها كل من بني خليفة، وبني سليمان وبني سليم، ولم يعين هناك أي قايد. المنطقة جميلة جدا وجد خصبة.

"أوطان" (مقاطعة) السبت.

"أوطان" (مقاطعة) السبت، هي الأكبر في محافظة الجزائر، وتمتد جنوبا إلى بلدة مليانة. يحدها من الشمال البحر، ومن الغرب بني مناصر، وبني خليل: الأنهار الرئيسية التي ترونها هي: بورومي، وواد جرو وواد شقة، التي تشكل معا مازافران، التي يصب في البحر، على بعد ميلين من قليعة: تنقسم المنطقة إلى السهل والجبل.

الجبل يشمل موزاية وسومائة وبني مناد وبوخلوان. توجد موزاية غرب بني صالح، وهي قبيلة "قبائل" قوية يمكن أن تتطور ما يقرب من 1000 من المشاة، ولكن لا يوجد لديها فرقة الفرسان. وهي تمتد على جانبي الأطلس؛ الطريق الرابطة بين البليدة والمدينة تفصلها عن سومائة، وهذه الطريق عملية وجيدة في عدة أماكن: هنا يوجد عمر الثنية، المشهور بمعركة 21 نوفمبر 1830. هناك في أراضي هذه القبيلة استغلت مناجم الرصاص والنحاس في السابق، ويبدو أنه يمكن استخدامها مرة أخرى، لأنها لا تزال غنية جدا. سومائة هي قبيلة "قبائل" الموجودة غرب من موزاية، وهي أقوى هذه الأخيرة. يمكن أن توفر 1500 من المشاة و 200 فارسا، وهي مقسمة إلى خمسة مناطق. سوق سومائة الذي يعمل كل يوم أحد في الموقع: يقع على بعد حوالي ساعة واحدة سيرا على الأقدام من مزارع عين الدم، وعمورة وأوار الواد، التي تنتمي جميعا إلى اليلك. في شمال غرب سومائة نجد بني مناد، قبيلة "قبائل" أخرى، والتي لديها أكثر من 1000 من المشاة و 60 فارسا، وهي مقسمة إلى 14 كانتونا: في هذه القبيلة استبعد الأغا السابق محي الدين بعد قضية سوق علي، وهناك بني منزلا. بوخلوان هي في جنوب بني مناد التي كان يسكنها العرب والأتراك خلال الحكم التركي وكان معظمهم زموليين: لا يزال لديهم بعض النوع من التنظيم العسكري والاعتراف بسلطة أولئك الذين حكموهم في ظل الحكومة السابقة.

في سهل متيجة، تشمل مقاطعة السبت كل من الحجوط وثلاثة قبائل صغيرة وهي أولاد حيدان، زناكرة وبني علال. هذه القبائل الثلاث أتت أصلاً من الصحراء، ولكنها استقرت منذ فترة طويلة في متيجة. عبر أولاد حيدان الطريق إلى الغرب، واستقروا في الضفة اليمنى لواد جر زناكرة توجد على الضفة اليسرى للنهر، بالاتجاه نحو بني مناصر. بني علال توجد بين شفة وأولاد حيدان.

تشكل الحجوط مع القبائل الصغيرة الثلاثة متحدة مجتمعة، أكبر تجمع من السكان المحاربين في السهل. هم يعتزون بأنفسهم ومستقلون، وعلى استعداد تام ليشعروا جيرانهم بالتفوق. ولكن كان هناك الكثير من المبالغة في الحديث عن عمليات السطو فيها: لفترة طويلة، كان ينسب إليهم كل ما هو خطأ في السهل. الآن نحن نعرفهم أفضل من السابق، ولهذا يجب أن نتبعد عن هذه الاتهامات. أراضي حجوط جميلة جداً ومزروعة بشكل كامل، مما يشير إلى بعض العادات في النظام والعمل. يقام السوق كل يوم السبت بالقرب من مزرعة السبت، الذي كان في السابق مقر الإقامة المعتادة للقائد. نرى في منطقة الحجوط من قمة تلة، حيث يمكنك رؤية البحر، هرماً عالياً جداً، والمعروفة في المنطقة تحت اسم قبر الرومية (قبر المسيحية). يمكن أن يكون هذا النصب، وفقاً لما رمل، المكان الذي بني لابنة الكونت جوليان، أي كافا الشهيرة، أو

مكان دفن قدماء ملوك نوميديا، الذين وفق بومبونوس ميلا، قد دفنوا بين جول وايكوزيوم، وهذا يعني بين شرشال والجزائر. وهذا ما يفسر هذا الاعتقاد، وعموماً يقال كثيراً في البلاد "أن هذا المعلم (النصب) يحتوي على ثروة كبيرة." في قصص رائعة حول هذا الموضوع⁽¹⁾. تجدر الإشارة إلى زناكرة الذين يعيشون في الحجوط يحملون نفس اسم واحدة من الخمس قبائل الرئيسية في اليمن، والتي، وفقاً لليو أفريكانوس، استقرت في أفريقيا. كما تذكر في كثير من الأحيان علاقة زناكرة في تاريخ العرب في إسبانيا. معرفة كل ما يعرف عن أصل أولئك الذين يعيشون حالياً في "أوتان" السبت هو أنهم أتوا من الصحراء.

(1) هذه واحدة من تلك القصص لإثبات أن العرب لم يفقدوا الاهتمام بهذا النوع من الحكايات المقتبسة من ألف ليلة وليلة. كان هناك، منذ فترة طويلة، في أرض الحجوط رجل يدعى يوسف بن قاسم وقد كان غنياً وسعيداً جداً في بابلته. كانت زوجته لطيفة وجميلة، وأطفاله أقوياء. وبما أنه كان شجاعاً جداً، أراد أن يذهب إلى الحرب، ولكن على الرغم من شجاعته، تم اعتقاله من قبل المسيحيين، الذين أخذوه إلى بلادهم، وتم بيعه على اعتبار من الرقيق. بالرغم من أن سيده كان يعامله بلطف بما يكفي، إلا أنه كان يعيش حزينا، وكان يذرف الدموع الغزيرة عندما يفكر في كل شيء فقده. وفي أحد الأيام، كان يعمل في الحقول، وبدى مكثباً أكثر من المعتاد، وبعد الانتهاء من مهمته، جلس تحت شجرة بدأ يفكر بالأم. وقال في نفسه: "يا للأسف! بينما أنا أزرع حقول سيدي، فمن نراه يزرع حقولي؟ ما الذي يحدث لزوجتي وأطفالي؟ أنا حكم على أن لا أراهم مرة أخرى، وسأموت في بلد الخونة؟" وبينما كان يسمع شكواهم المحزنة، حتى أتاه رجل شديد، كان يرتدي زي العلماء. اقترب هذا الرجل وقال له:

أيها العربي، من أي قبيلة أنت؟ لجابه بن قاسم -لنا من الحويظ-
في هذه الحالة يجب أن تعرف قبر الرومية.

- نعم أعرف... ولكن للأسف! مزرعتي، حيث تركت كل كل ما هو
محبب لي، ليست سوى على مسافة ساعة من السير عن هذا النصب.

- من ستكون سعيدا لرويته ثانية، والعودة إلى المجتمع الذي تحب؟

- هل تسألني عن ذلك؟ ولكن فائدة التمني دون تحقق أي شيء؟

- زد عليه السيمى، أستطيع فعل ذلك، أستطيع فتح أبواب عشيرتك
(مطقتك) وأعطيك إلى احتضان عائلتك. ولكن، أشرط عليك خدمة

مقابل ذلك، هل تشعر بذلك يمكن أن تقوم بها؟

- حيا نكلم، ليس هناك ما لا أستطيع أن أقوم به مقابل التخلص من هذا
السوق التعس، لكن لا تشترط على ما يمكن أن يأخذ منى روحي.

- قال المسيحي: لا تقلق بهذا الشأن. سوف أذهب لأشتريك من سيدك،
وسوف أوفر لك الوسائل للعودة إلى الجزائر العاصمة. عند العودة إلى

المنزل، سوف نمضي ثلاثة أيام لتفريح مع العائلة والأصدقاء، وفي اليوم
الرابع سوف نذهب إلى قبر الرومية، سنشعل نارا خفيفة على مسافة

قريبة من النصب، وستحرق فيها هذه الورقة التي سوف أعطيها لك. هذا
الأمر سهل جدا للتنفيذ. القسم لي بذلك سوف تقوم بما طلبته منك وسوف

أعطيك حريتك.

وافق بن قاسم على ما طلبه منه المسيحي، وأعطاه ورقة مغطاة
بالأحرف السحرية التي لا يستطيع فهم معنى. في اليوم نفسه، استعاد

حريته، وتوجه إلى الميناء البحري حيث أبحر إلى الجزائر. لم يمكث
سوى بعض اللحظات في هذه المدينة، وكان متحمسا جدا لروية زوجته و

أطفاله، وذهب بأسرع ما يمكن إلى قبيلته. أترك لكم فرصة تخمين وتخييل
فرحته وفرحة عائلته. جاء أصدقائه أيضا للاحتفال معه، لمدة ثلاثة أيام

وكان حوته مكتنبا بالزوار. في اليوم الرابع، تذكر أنه قد وعد مخلصه،
ومضى في القبر إلى قبر الرومية. وهناك أوقد النار، وأحرق الورقة

الفضضة، كما طلب منه؛ وبالكاد كانت أكلت النار آخر قطعة من هذه
الورقة، حتى رأى بدهشة لا توصف، الآلاف من القطع الذهبية والفضية
تخرج من النصب عبر الحجارة. بدأ الأمر وكأنه خلية نحل تصدر بعض
المبوضاء الغريبة. كل هذه القطع، وبعد الالتفاف حول النصب للحظة،
انفلتت مسارها إلى بلاد المسيحيين بسرعة قصوى، وشكلت ما يشبه
عسودا طويلا غير منتهى، ما يشبه رحلات مجموعات الزرور. رأى
بن قاسم كل هذه الثروات تمر فوق رأسه. قرر بقدر المستطاع، وحاول
بيديه الحصول على بعض الأجزاء الصغيرة منها، بجهود مضنية دون
جدوى، وبعد ذلك قام برمي برنوسه إلى أعلى مستوى ممكن. كان ذلك
مناسبا واستطاع أن يسقط عند قدميه 02 قطعة من الذهب ومنة قطعة
من الفضة، ولكن بمجرد أن لمست هذه القطع الأرض، حتى ظهرت
قطع جديدة، وعاد كل شيء إلى سابق عهده. لم يتحدث بن قاسم عن ذلك
إلا إلى بعض الأصدقاء. وقد وصلت أحداث هذه المغامرة المذهلة إلى
الباشا الذي عرف بما حدث، فأرسل عمالا ليهتم بقبر الرومية، للحصول
على الثروات المتبقية فيه. بدأ هؤلاء بالعمل بحماس كبير، ولكن عند
أول ضربة بالمطرقة الأولى، ظهر شبح في شكل امرأة على رأس القبر
وهو يصرخ: علولة، علولة!!، تعالى لمساعدتي أو تعالى لإزالة كتورك.
و على الفور خرجت كائنات ضخمة كبيرة مثل الجردان من البحيرة،
ولاذ العمال بالفرار من لدغاتها قاسية. ومنذ ذلك الوقت، كل لم نكلل أي
محاولة لفتح قبر الرومية بأي نجاح، وقال العلماء إن هناك مسيحي واحد
فقط يمكنه الحصول والاستفادة من الثروة المحجوزة.

"أوطان" (مقاطعة) بني مناصر أو شرشال.

تضم مقاطعة شرشال مدينة بهذا الاسم، وقبائل من "القبائل" بني مناصر، وشنوان وتساورية: هي منطقة جبلية خصبة بالحبوب، النهر الرئيسي الذي يرويها هو تيفرت الذي يتدفق في البحر، بين شرشال وتنس.

بني مناصر، التي تحيط أراضيها بشرشال، وهي قبيلة كبيرة جدا، ويمكن أن تضم 2000 حتى 3000 شخص.

توجد شنوان شرق بني مناصر، وتقتصر على الحجوطيين. سكان هذه الأرض حرييون، ولكنهم سقطوا في وحشية فظيعة. توجد تساورية غرب بني مناصر، وهي تلمس اقليم تنس.

حول الأحداث التي وقعت لجيش أفريقيا، نتيجة لثورة 1830⁽¹⁾.

نيم، في 24 جويلية 1831.

على الرغم من كتيب السيد كتروبارب الذي يحمل ذكريات الحملة الأفريقية، قد وصل بالفعل الى طبيعته الثانية، لم أعرف ذلك الا منذ بضعة أيام. قرأته باهتمام وبالفائدة التي أن تلهم جميع الذين شاركوا في الحملة القصيرة والمجيدة في الجزائر، وهي الفائدة التي تتقاطع مع الصداقة التي تجمعني بالمؤلف. ومع ذلك، أعتقد أنه يجب الإشارة الى التأكيدات الخاطئة التي تملئها روح الحزب، والذي لم يستطع الا تضليل الرأي لدى مواطنينا على الطريقة التي استقبل بها جيش أفريقيا في ثورة جويلية المقدسة.

كان صدور المراسيم (الأوامر) قد عرف في الجزائر يوم أو يومين من

(1) لم تنشر هذه المذكرة في الوقت الذي كتبت فيه، لأنه تم إرسالها إلى الناظر العسكري من جانب آخر غير الصحافة، وفشل في التصدي لها. وأنا أقدمها هنا كمعلومة عن أحكام جيش أفريقيا في بداية ثورة 1830.

قبل الانتقام الذي اجتذب الناس وحتى السماء نفسها، غاضبة في دين القسم. كان هذا الخير موجود لدى بعض الناس فقط، والفرح الذي انتابهم لم يدم طويلا ليختفي في لحظة بصر. لم تنتشر كثيرا في الجيش، وبقيت متمركزة في القصبية. انصار الحرية على الطغيان انتشر بسرعة البرق. تلقى القادة الأوامر للإتصال بأنفسهم بضباطهم. كان ذلك بعبارات غامضة، أي ما يشبه: كن حذرا وانتظر المزيد من المعلومات قبل أن تقرر. كتب في جدول أعمال السيد بورمونت بنفس الطريقة، وكان كما يلي:

الجزائر، 11 أوت 1830.

"أصوات غريبة تدور في الجيش، ولم يتلق المارشال القائد أي إخطار رسمي يمكن أن يعتمد. في جميع الحالات، خط واجبات الجيش سيرسم بهذا القسم وبالقتون الأساسي للدولة".

طلبت من السيد كتروبارب إذا كان يرى هناك أي أثر للتفاني في الشرعية الوارد في الصفحة 105، المراد به تكريم زعيم جيش أفريقيا. أما بالنسبة لي، كل ما أراه هو اللامبالاة السياسية الذي لا يستحق الثناء بلا أدنى شك، ولكنه أكثر مرونة ليتناسب مع متطلبات المستقبل التي لا تزال غير مؤكدة إلى حد ما. تم الحكم على السيد كتروبارب بنفس الطريقة في شهر أوت الماضي، وسوف أثبت ذلك في الأسطر التالية.

ولكن إذا كانت القيادات الرئيسية غير مبالية، وكان في شهر سبتمبر في

اجتماع عند الجنرال بووي، وقد كانوا حتى في الصفوف السفلى في ذلك المكان. تم تشكيل مجموعة قوية مباشرة لتحمل أي نوع من التقسيم مع غالبية مواطنينا. اجتمع السيد بورمونت في 12، مع جميع كبار الضباط السامين في القصبية. يقال السيوف قد أخرجت، وأكثر من عقيد مزين الآن بالريش بالالوان الثلاثة سيقيم على الحديد على الموت من أجل الشرعية. السيد بورمونت، المتأثر بأبنائه الشجعان والمخلصين، بقي مع البعض من الشباب ذوي النية الحسنة، وتقاسم لحظة من هذا الحماس. كانت المسألة في قيادة الجيش في نورماندي حول دعم حقوق الأسرة المتراجعة؛ مشروع مثير جدا للسخرية ليكون لفترة طويلة للسيد دي بورمونت. كان هناك اتصال سخي في العمق، وصياني من حيث الشكل متنقل من سواحل بروفانس (المحافظة) بواسطة الماركيز غير المؤذي كثيرا ألبرتاس، وأنا لا أعرف بأي وسيلة، أعطي بعض الأمل لأعداء الثورة، ويميل إلى جانبهم حشد من السياسات المنتظرة. كان للسيد ايسكار الإقدام البارد على هذه القطعة السخيفة من القسم الثالث الذي يقشعر له البدن. السيد كتروبارب يعرف ذلك أكثر مني.

أعطيت أوامر لعودة القوات التي كانت لدينا في بجاية ووهران إلى الجزائر. هذا التدبير (الاجراء)، الذي تملبها خطورة الظروف، لا يمكن أن تفعل أي شيء خاص بحكم مسبق على التوايا المستقبلية للسيد. دي بورمونت، بأنها يمكن أن تكون نتيجة للخوف الذي خلقه الانفصال المفاجئ مع إنجلترا. كان هذا، في

الجزء الثاني، 6.

الواقع، ما قدم في تفسير القائد العام عن هذه الحركات في تقريره الرسمي. كان السيد يسبرز، رئيس هيئة الأركان العامة، المكلف باستقصاء ترتيبات (إجراءات) الاميرال دوبري. هذا الأخير، الذي تمت تغطيته بسخف، والذي سيكون، وآمل ذلك، غير قابل للمحوسب بتقاريره المخادعة والمليئة بالكاذب، التي وردت وأجيب عنها بالنشويش، ومن خلالها اخترقت روح المعارضة لأي إجراء مدقع. ومع ذلك، وعد بعدم عرض المبنى الجديد قبل الجيش، وأضاف بأنه سيغرق السفينة التي يرفع شراعها دون أمره. أنا لا أقول ذلك لانتقام السيد دوبري، الذي لا ألومه إلا على الغرور الذي يأتي كل يوم لمعاقبته بإيجاعات حزينة. إذا ما أراد هذا الأميرال اتخاذ هذه التسهيلات ليقرر، مهما يقال، فقد تصرف انجاء ذلك كما تصرف شخصياتنا السياسية دون استثناء. ومن المعروف جيدا الآن أن الثورة قام بها الشعب وحده، الشعب صاحب الأيدي سوداء ونكران الذات والتفاني في أداء الواجب. ولكن لنعد إلى موضوعنا.

تأكد السيد دي بورمونت من عدم التسرع بسبب البحرية، ما بث فيه راحة كبيرة. وبشهادة جميع الذين عرفوه، يعتبر التردد جزء عميقا من شخصيته. في اليوم الموالي للجمعية الصاخبة في القصة، قدم أدلة جديدة. كانت هناك مجالس جديدة، ولم يتم قبول سوى الجنرالات، ولم يقرر شيء. الجنرال تولوزي ولاهيت تحدثا أولا، خصوصا حول الحاجة إلى الفصل بين قضيتنا وقضية البلد. احتفظ بتفاصيل الجنرال تولوزي نفسه. قدمها في سبتمبر، على الطاولة، لدى الجنرال

الجزء الثاني، 6.

بريحي. سلوك الجنرال لاهيت هو على الأرجح ما قاله السيد كترويارب الذي سماه الجحود الواضح، والذي أراد تمريره بهدوء لكي لا يزعج قلب القارئ الحساس. لم ينظر الجيش الى ذلك بنفس المنظور. وبالمصادفة، التي لا يمكن تفسيرها، لقيت مواهب هذا الجنرال الشجاع تقدير السيد كوت أنغولم. هل كان هذا السبب الذي من شأنه أن ينسى السيد لاهيت مهامه اتجاه المواطنين؟ استمر تردد السيد بورمونت حتى 16 أوت. أراد أن يمدد ذلك مرة أخرى. من جهة، تلقى رسالة ودية من الجنرال جيرارد، الذي طمأنه على موقفه الشخصي. ومن جهة أخرى، مودته الطبيعية لأسرة كان قد ضحى بكل شيء من أجلها، مما كان يجعله يرغب في موقف جيش لم يحسم أمره بعد في ظل الراية البيضاء، يمكن أن يقدم له بعض الفرص في انتخاب الدوق دي بوردو. هذا الحساب تم إحباطه. كانت الفكرة الراسخة لدى الجيش هي الاتحاد مع الوطن الأم. لقد أعلنت الجمهورية، نابليون الثاني، أو السيد دي بوردو الذي كنا سنكتبه. أردنا في المقام الأول لأن نبقي فرنسيين. كانت القضية الرئيسية هي انتصار الحرية التي نصفق لها بقوة وكانت القوة في يد الشعب. كنا نرغب في البقاء معاً من أجله، لنقدم شكلاً من أشكال الحكم إلى الذي اعتمد. هذا لم يكن يشبه اللامبالاة السياسية لمعظم قادتنا في أي شيء. أردنا أن نعرف بالثورة، التي اعتمدنا لها الألوان التي كنا نريدها كنتيجة، كنا نريد وكان لنا الحق في ذلك، وقد حصلنا على ذلك بالرغم من المقاومة العنيدة.

الجزء الثاني، 6.

قلنا أنه تم تشكيل مجموعة لمقاومة أي تقسيم بيننا وبين فرنسا. كان على عدد كبير من الضباط الذهاب إلى السيد دي بورمونت ليطلبوا عرض الألوان الوطنية. كان على السيد الجنرال لاهيت أن يطلع على هذا المشروع من قبل نقيب المدفعية مارسي، والذي يعتبر الآن قائد مرب القناصين الجزائريين، الذي أبلغه عن موافقة جميع أولئك الذين شكلوه. وصل ذلك إلى آذان السيد دي بورمونت وسارع بلا شك إلى تقريره. تقدم السيد الجنرال أوريل في مساء يوم 16، إلى القسم 3، الذي كان أكثر إضطراباً، وجعل الضباط يتخلون عنه، قائلاً أنه سيكون عملاً من أعمال العصيان المهددة، بما أننا نكون راضين. في الواقع، ظهر جدول الأعمال الذي استبدل العلم ذو الألوان الثلاثة بالعلم ذو اللون الأبيض الذي ظهر بعد ساعات قليلة، المصمم على النحو التالي:

الجزائر، 16 أوت 1830.

"صاحب الجلالة، الملك تشارلز 10 و صاحب السمو، دوقين في تنازلوا 2 أوت عن حقهما في التاج لصاحب السمو دوق بوردو. مرر المارشال، قائد الجيش، القانون الذي يتضمن هذا التنازل المزدوج، والذي يعترف لصاحب السمو، دوق أورليانز كملازم عام للمملكة".

"مطابقة لأوامر صاحب السمو، الملازم العام للمملكة، الشارة والعلم بالألوان الثلاثة سيكون بديلاً للشارة والعلم الأبيض".

"غدا، في الساعة 8:00 صباحا، سنرفع العلم بألوانه الثلاثة. أعلام ومعايير الأفواج تبقى واردة في حالاتهم. ستتوقف القوات عن حمل الشارة البيضاء. سيتم استبدالها بالألوان الثلاثة، عندما نلتقى كمية كبيرة نسبيا بحيث يمكن أن تأخذ جميع القوات على حد سواء دفعة واحدة".

يبدو أن هذا الضابط يعرف منذ البداية سيادة الدوق دي بوردو. كنا قلقين قليلا. المهم كان الانضمام إلى الثورة الذي ورد تقريبا.

زعم السيد كتر وبارب بأنه لن تكون هناك أي صرخة لتحي أو تنحني أمام العلم الجديد، وتوجه إلى حيث أغلبية الجيش بصعوبة. لكن الكثير من الأعلام الملونة تم نقلها بواسطة الضباط والجنود على الأكواخ والخيام والمنازل الريفية حول الجزائر العاصمة. أوقف مفهوم وشعور الملاءمة، الذي كان مشرفا جدا، أية حال صاخبة من خلال تغيير الألوان. كان لدينا أيضا واجبات الوفاء تجاه هذا العلم الآخر، الذي حملته أذرعنا المنتصرة إلى الشاطئ الأفريقي: عرف الجيش كيف يوفق بين الجميع.

قدمت طريقة حتى يتسنى للجميع معرفة مشاعر الخاصة، في اشتراك مفتوح مع جرحى شهر جويلية. وفي غضون أيام قليلة أنتجت كميات كبيرة. كان ظهور الألوان الوطنية إشارة لانطلاق عدد كبير من الضباط، الذين أضعهم في ثلاث فئات: الأولى، المكونة حصريا من الجنرالات وكبار الضباط، الذين يسعون لتكريس العدالة دون انتظار الحكومة الجديدة؛ فكريات مؤمنة

ولقد صدقنا والثانية، التي كانت أكثر عددا، ثم تشكيلها من الضباط من جميع الرتب، الذين أعلن عنهم بالقوة عن طريق الحساب أو التدريب، عندما كان نصر الثورة مازال يبدو غير مؤكد، ولم يريدوا أن ينفوا ذلك، إلا بالعودة بعد ذلك مرة أخرى كما فعل الكثير منهم. أما الفئة الثالثة فقد شملت عددا قليلا من المناصرين للسلطة التشريعية الحقيقية والصادقة، وهم أناس طيبون وأصحاب قرار، وأضح منهم في المقدمة السيد كترويارب. هؤلاء أعطوا، ببساطة، استقلالهم. سمعت معظم البقية الأخرى تحت الباب من الخلف، ما إذا كان يطلب منهم تنفيذها أو إصلاح أو إجازة نقاهة. بالعودة إلى فرنسا، وجدوا حكومة متساهلة، تحت أعلام انتهت بالتنظيم، على الرغم من الاحتجاجات. من القليل من العار، خاصة عندما كان التقدم هو ثمن الانسحاب من المبادئ، وهو الشيء الذي حدث مع الكثيرين.

قال السيد كترويارب أن الضباط الذين عادوا إلى فرنسا في ذلك الوقت كان لثمانين الجيش لن يخشى أي هجوم قادم قبل أن يغادر. لا أعلم شيئا بهذا الخصوص. وعلاوة على ذلك، فإن عددا من الذين ذهبوا كان بعد وصول الجنرال كلونيل، وهذا يعني في الفترة التي كان يتوقع فيها المرء بالضرورة لعمليات عسكرية جديدة.

السيد كترويارب كان يعتقد أن السيد بورمونت كان بإمكانه الإبقاء على مجلس وصاية السيد دي بوردو. وهذا يتطلب أمرين، القوة والطاقة بين أعداء

الثورة، والضعف لدى أصدقائه. ومع ذلك، للحصول على الحقيقة، يجب علينا أن نعكس هذا الاقتراح. كان الجنرالات وقادة الفيلق موجودين لمدة طويلة في صفوف الملكيين، وهذا صحيح، ولكن فيما يخص الموارد المالية، لم يفكروا إلا في مصالحهم المادية. ارتفاعها في معسكرات بونايرت، في الوقت الذي لم تعد تحسب فيه البلد من أجل شيء، وهؤلاء السادة قاموا بعملهم مثل "كوندوتييري" (تعني بالاطيالية القائد) الحقيقي. الشعور السياسي الوحيد الذي يعرفونه هو الخضوع للسلطة. أثقل خطأ يمكن أن تقترفه ثورة جويلية، كان الضغط على البونابارتيين، والتفكير للحظة واحدة بأن أناسا مثل هؤلاء يمكن أن يتواجدوا في مجتمع غاطر بشكل كبير جدا ومربح بشكل ضعيف مما حلم به السيد كترويارب، هو ما يمكن أن صيانية (ساذجة) حقيقية. لنفترض، مع ذلك، أن الأشياء كان من الممكن أن تنجح، وكان على الجيش أن يقاوم، وجميع المشاعر، الحسنة والسيئة، والطموح، والوطنية، وحب الحرب، وشعور السلام كان قد حارب ضد القادة. قال السيد كترويارب بأنه كان بإمكاننا أن تسمح لكل شخص باختيار علمه: هل يمكن أن يقدم مثل هذا العرض بشكل جدي؟ بطبيعة الحال، في هذه الحالة، بوصول السيد دي بوردو إلى الجزائر العاصمة، كما افترض السيد كترويارب، فبالكاد سيجد السيد كترويارب نفسه لمساعدته على إزالة المركب الذي ذهب للبحث، في أرض المنفى، عن أسرة جلييلة. هذه الأفعال تبدو صيانية (ساذجة) بوضوح. وعلاوة على ذلك، هل كان للمجموعة الملكية فرص للنجاح في الجيش الأفريقي، الذي لم يفكر السيد دي بوردو في الاستفادة منه.

قدمه السيد كتروبارب للطرف المهزوم مثل القائد الذي يجب عليه أن يثبت عينه عليه (يراقبه بشدة)، وفي هذه التبة (الارادة)، رفعه إلى السماء. ومع ذلك، مؤلة الظروف التي تواجد فيها السيد دي بورمونت، كان الناشطون الملكييون بعيدون عن الاقتناع به. ترك السيد ايسكار الجيش قبل رفع العلم بالالوان الثلاثة، عاملة بشكل سيئ بسبب أحكامه للانضمام إلى الحزب القاتل. هنا هو الحكم الذي أصدره السيد كتروبارب نفسه على هذا الجنرال العام، في أوت الماضي، والمحادثة الصغيرة التي جمعتني معه في ذلك الوقت. كان ذلك في 17 أوت، في نفس اليوم الذي رفع فيه العلم بالوان الثلاثة. التفت بالقرب من حصن باب عزون السيد كتروبارب الذي عاد من القصة. لم أراه منذ تلك الأحداث. قلت له: "هناك أشياء عظيمة، ولكن أمل، مع ذلك، أن صداقتنا لن تعاني. الفرق في وجهات نظرنا السياسية لم تمنع تشكيلها، سقوط حزيكم لا ينبغي أن يدمره. أخذ يدي وقال لي "كن متأكدا من ذلك، أنا أحب دائما الناس الذين أستطيع تقديرهم. لكن بورمونت هنا! أما "الطين دائما يبقى طينا"، ويضيف "أنظر لي كل شيء منحه النظام الملكي النقي، البائس! سأظل أحتفظ بشهادة خسة (ندائه)". وأظهر لي بيانات جدول الأعمال الذي ذكرناه سابقا. ثم قال لي بأنه قدم استقالته للمارشال الذي وجد كتاباته غير لائقة، ورفض التكفل بها، في حين قال له كتروبارب: "سيدي، يمكنك أن تبلغ عني إلى شرطة الحكومة الجديدة التي ستخدمها"، وأشياء أخرى كثيرة جدا وأكثر عفا. هكذا كان رأي السيد

كتروبارب بالسيد بورمونت، قبل ست سنوات، مختلفة تماما، كما يمكن أن نرى، من تلك المصريح بها اليوم. ربما اعتقد السيد كتروبارب أن الملكيين يجب، في هذه اللحظة، أن يجمعوا كل القوى وعدم صد أي شخص. الطريقة الذكية التي مدح بها السيد بورمونت يمكن أن تبرز بأن هذه الكلمات لم تصدر من القلب. كلمات الثقة وخطاب القسم التي توجد غالبا بجوار اسمه، تشكل تصالحا تعيدا. كانت تبة السيد بورمونت في العودة إلى فرنسا، حيث أعطت الرسالة التي كتبها جيران له، أملا وصحافتا لايحاد الترحيب والحمية. في الواقع، ساعم هذا الجنرال في مجتمع كبير ومجيد، يستحق الاعتراف به والامتنان له في فرنسا. الحكومة عظم من الأمة. لكن المارشال سمح لاعتقالاته التي تشير إلى تلميحات وأشياء كافية. على أي حال، السيد بورمونت الشكر بالجزائر، لم يبحر إلى سواحل فرنسا، بل أبحر إلى إسبانيا على متن سفينة أجنبية. كل الذين أحاطوا به يوم الانسحاب، لا أحد منهم حياه أو ودعه! ولكن العدو أحد الأعداء من الحرب التي يشي إليها، والذي رمقه بنظراته على متن السفينة، التي تقوده إلى أرض النقي، عرف بعض الدموع على مصائبه، ولم يحش أن يرفع فكرة التجدد باسمه.

نهاية المجلد الأول

جدول المحتويات

المحتويات الواردة في المجلد الأول

الجزء الأول

الكتاب الأول: نظرة عامة حول الحالة الجغرافية والتاريخية والسياسية لمجلس
وعالية الجزائر العاصمة سبب حرب فرنسا ضد الجزائر - الحصار - الأعمال
التحضيرية للحملة - مغادرة جيش الحملة 5
الكتاب الثاني: أحداث الرحلة - الفيوط في سيدي فرج ومعركة 14 جوان
- القواعد الدفاعية للأتراك - معركة سطوالي - معركة سيدي خالف -
معركة سيدي عبد الرحمن بونيف - الاستيلاء في الجزائر - حصار قلعة
الإمبراطور - حيازة قلعة الأميراطور - استسلام الجزائر 35
الكتاب الثالث: دخول الفرنسيين إلى الجزائر العاصمة - ثقة السكان
على الرغم من بعض الاضطرابات الجزئية - كثر القصة - نزع السلاح من
الأهلي - استطراد داخل الحكومة في الجزائر تحت هيمنة الأتراك - اضطراب
إداري بعد الاحتلال - اللجنة المركزية للحكومة برئاسة السيد دوني
- مجلس مدينة - الشرطة الفرنسية - الشركة اليهودية - المنح والجمارك
إلخ 75
الكتاب الرابع: المني على خليج أو كيب ماتيفو - إخلاء سيدي فرج والحصون
- تركيز الجيش حول الجزائر العاصمة - الحراب الذي كان نتيجة لذلك -
رحيل حسين باشا - تعيين السيد بورمونت مارشال فرنسا - العلاقات مع

العرب - الإسطراد في ولاية الجزائر العاصمة وعلى وظائف ألقا - تعيين
عبدان من الألبين سيوكا ألقا العرب - بين زعون - رحلة من البليلة - رحلة
بونة (عالية) - رحلة وهران - بحيرة مراد بحرية - ثورة بني التيطري -
ثورة 1830 - مغادرة السيد بورمونت 87
الكتاب الخامس: وصول الجنرال كلوزيل - لجنة التحقيق - تنظيم جنود
للجيش - تشكيل الزواوة - لجنة الحكومة - تنظيم الخدمات العامة المختلفة
- العدل - الجمارك - إجراءات المصاهرة ضد الأتراك والشركات - المؤرخة
السودجية - تحليل مختلف الإجراءات الإدارية 115
الكتاب السادس: العلاقات مع العرب - سرحلة المدية - الإسطراد في محافظة
التيطري - أخذ البليلة - معركة التية - احتلال المدية - تعيين من عمر
بني التيطري - القتال وحقية البليلة - تقليص الجيش - الخرس الوطني
الجزائري - الصيادون الجزائريون - استبعاد عبدان - العقيد مونتيري
ألقا - المعاهدات مع تونس حول محافظة قسنطينة ومحافظة وهران - إعلام
المدية - مغادرة الجنرال كلوزيل - حالة المسحرة لدى رحيل الجنرال
كلوزيل 137
الكتاب السابع: وصول الجنرال بارتران - السير العام لإدارته - السيد
بونديروت ستوارد أو رئيس هيئة احتلال مجلس الوصاية - نظرة عامة على
الأعمال التي تقوم بها الإدارة العسكرية - تأسيس رسوم التسجيل -
استحواد الأوروبيين على الجزائر العاصمة - المحاولات الثقافية - تحليل
مختلف الإجراءات الإدارية 169

| | |
|--|-----|
| الكتاب الثامن. العلاقات مع العرب. - اغتيال القايد كرانشة. - رحلة في | |
| السهل. - الاعتراف بالقلية. - الأعمال التضاريسية. - حملة بني صلاح. | |
| - حملة المدية. - اضطرابات الانسحاب. - القتال بالقرب من المزرعة | |
| النموذجية. - تعيين الحاج محي الدين الصقر بن سيدعلي بن مبارك آغا العرب. | |
| - الرحلة المؤسفة الى عنابة. - وفاة القائد أوندبي (هوندر). - الجنرال | |
| بويبي في وهران. - تنظيم المرافق العامة في وهران. - وصف المحافظة. | |
| تذكير الجنرال بارتزان العام | 203 |

الجزء الثاني.

| | |
|---|-----|
| 1. من شمال أفريقيا قبل الفتوحات الاسلامية | 247 |
| 2. استقرار العرب في أفريقيا | 263 |
| 3. عادات وتقاليد العرب | 289 |
| 4. طريقة مقاومة العرب | 321 |
| 5. بشأن المدن و"أوطان" محافظة الجزائر العاصمة | 335 |
| 6. حول الأحداث التي وقعت لجيش أفريقيا، نتيجة ثورة | |
| 1830 | 363 |

نهاية جدول المحتويات للمجلد الأول.



هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 50 لعيد الاستقلال



Assala
culture

57، شارع ديدوش مراد، الجزائر

هاتف/فاكس: 021 444 700